مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

أمّا بعد!..[(٤)] فقد كانت الأمة المحمّدية - في صدرها الأول في عهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتابعيهم بإحسان - متمسِّكينَ بكتابِ ربهم وسُنَّة نبيِّهم، هادين مُهتَدين، موحِّدِينَ لربهم عابِدين، لا يَتَّبعون رايةً إلا رايةَ الكتابِ والسُّنة، متنوِّرين بنور الإيمان وخالص التوحيد، مُلتزمين بهدي الإسلام، تربّوا تربيةَ بيت الرِّسالة، ونشأوا في دار النبوة، آمَنوا كما خُوطبوا، ولم يَلبِسوا إيمانهم بظلم، فصاروا أئمّةً في الدِّين، وأئمّةً في الدُّنيا، وفازوا بالخير العظيم.

---

(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

(٤) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلِّمها لأصحابه، كما يُعلِّمهم التشهد للصلاة، وقد وردت عن ستة من الصحابة وتابعي واحد، أخرجها أبو داود في سننه: كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ص٣٦٨ برقم٢١١٨) ؛ وابن ماجه في سُنَنه: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (ص٣٢٩ برقم١٨٩٢) ؛ وأخرجَها مُسلِمٌ في صحيحه دون الآيات: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣٨٥/١ برقم٨٦٨) ؛ وانظر تخريجها مفصَّلة وتصحيحها في رسالة خاصة فيها للمحدِّث الألباني بعنوان: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يُعلِّمها أصحابَه.

ثم إنه مِنْ أعظمِ نِعَم الله علينا أنْ حَفِظ دينَه الإسلامي الحنيف بعلماء ربَّانِيين كانوا ورثةَ الأنبياء في علمهم، وقاموا بأداء حق الله فيه، وحقوقِ الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

لكنَّ مَن حَمل مِن أعداء الله على رقبته وِزْر عداء الشريعة الإسلامية الحقيقية ذهب يستبدل الذي هو زور وبهتان بالذي هو نور وإيمان، ويشكك فيما تضمنته الشريعة من المعاني السامية الفريدة، وخاصة ما يتعلق منها بالعقيدة، ليزعزعوا الإيمان في القلوب، ويوجدوا الحواجز بين العباد وبين الرب المعبود.

إلا أن أولئك العلماء من فرسان الشريعة، الذين أوقفوا حياتهم لخدمة دينه الحنيف، كانوا لهم بالمرصاد، فبينوا للناس زيف هؤلاء وضلالهم وزيغهم، وأبطلوا شبهاتهم ومكرهم، وبينوا للناس حقيقة التوحيد وخالصه، ودرأوا عنه زيف الزائغين وانتحال المبطلين، واشتغلوا بأشرف ما يشتغل به العبد وهو تحقيق توحيد رب العالمين، وتعليم الناس إياه، فإنَّ شَرَف العِلْم بشرَف المعلوم، ولذا كان علم التوحيد مِن أجَلِّ العلوم وأشرَفِها، بلْ لأجلِه أُرسلت الرسل جيلاً بعدَ جيل، وأُنزِلَتِ الكُتب كتاباً بعد كتاب، وهو أساسُ الدِّين وأصلُه وقَوامه، ولذا كان اهتمام السلف الصالح والعالِمِ الناصح ببيان التوحيد الخالص فوق كل اهتمام، وقد استغلوا كل شاردة وواردة لنشر التوحيد، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة، وصنفوا تصانيف عديدة، فكانوا هم القادة والزعماء حقًّا، وهم النَّاصحون للأُمّة، وقائدوهم إلى الخير والإصلاح، لكونهم أخذوا بأعلى مطلوب وأجل مقصود، فلله الحمد والمنة.

وفي قائمة هؤلاء العلماء الأجلاء الذين اهتموا غاية الاهتمام بجناب توحيد الملك العلام فضيلة الشيخ العلامة **أبو محمد بديع الدين شاه الراشدي السِّنْدي**، المتوفى سنة ست عشرة وأربع مائة وألف للهجرة، رحمه الله وأدخله فَسيحَ الجِنان.

فأردتُ أن تكون رسالتي هذه في بيان جهود هذا العلَم الجليل، حيثُ وقع اختياري للبحث على جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد عنونت لها بـــ **"جهود الشيخ بديع الدين شاه الراشدي السندي (ت ١٤١٦هـــ) في تقرير عقيدة**

أهل السنة والجماعة‘‘ سائلا الله اللطيف الخبير أن يسدد قلمي ويلهمني الرشد والصواب، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

وقد كان هذا الشيخ الجليل والعَلَم النبيل ممن أوقف حياته لنشر دين الله الحنيف، بالتدريس والوعظ والإرشاد، والمشاركة في المؤتمرات الدعوية، وكان يسافر كل سنة إلى المملكة العربية السعودية - حرسها الله من كل سوء — للنشاط الدعوي؛ فقام بإلقاء كلمات بالعربية والأردية بالحرمين الشريفين، كما قد ألقى محاضرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في عهد العلامة مفتي ديار السعودية الشيخ ابن باز[1] رحمه الله تعالى، وله قرابة مائة وخمسين كتاباً أو أكثر في شتى أصناف العلوم، فكان رجلاً كأُمة، وممن أمضى حياته لنصرة دين الله، ناشراً لتوحيده، مناوئاً للبدَع والشركيات، معلناً البراءة من أهلها، مناصراً لعقيدة أهل السنة والجماعة، موالياً لهم وذابًّا عن منهجهم، معتمِداً في ذلك كلِّه على الكتاب والسُّنة، وذلك جَليٌّ ظاهِرٌ من خلال كتبه ومقالاته.

وقد كان رحمه الله متوقد الذكاء، قوي الحافظة، ذا شأن وشهرة، ومكانة وجلالة في أوساط أهل العلم.

وأما تمذهبه بمذهب أهل السنة والجماعة ودفاعه عن أسلافهم وأخلافهم الصالحين، والرد على مخالفيهم ومناوئيهم فهذا منثور ومنشور في كتبه، وهو أمرٌ يَعرِفه عنه كلُّ مَن له أدنى إلمام بمصنَّفاته؛ ومن أبرز ذلك كتابه القيِّم: «الطَّوامُّ المُرْعِشة في بيانِ تحريفاتِ أهلِ الرأْي المُدْهِشة» ، دافع فيها عن علماء السنة وأعلامهم وكُتبهم المصنفة في السُّنة، كالإمام البخاري رحمه الله تعالى وصحيحِه الجامع.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، وُلد بالرياض سنة ثلاثين وثلاث مائة وألف للهجرة، من أشهر شيوخه محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ؛ تولى عدة أعمال من القضاء والإفتاء والتدريس والرئاسات، من مؤلفاته: «الجهاد في سبيل الله»، و«وجوب لزوم السنة والتحذير من البدعة»، وغير ذلك كثير؛ تتلمذ عليه خلق لا يحصون؛ توفي سنة عشرين وأربع مائة وألف للهجرة. انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبد العزيز ابن باز: (١/٩-١٢).

كما أن إكثاره من نقل كلام السلف الصالح أئمة السُّنَّة وسَلَفِهم الصّالح في سياق التأييد والمناصرة لهم -أمثال الإمام مالك، والإمام أحمد ابن حنبل، والإمام أبي سعيد الدارمي[١]، والإمام الآجري[٢]، وشيخِ الإسلام ابن تيمية[٣]، وتلميذَيه الحافِظَين ابن القيم[٤] . . . . .

---

(١) الدارمي هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، ولد قبل المائتين بيسير، أبو سعيد، الحافظ الناقد؛ سمع أبا اليمان، ونُعيم بن حماد، وخلقاً كثيرا؛ وحدث عنه محمد بن إسحاق الهروي، وأحمد بن محمد العنبري، وخلق كثير؛ له تصانيف في الرد على الجهمية، منها: «النقض على بشر المريسي»، سماه ناشره: «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»؛ وله: مسند كبير. توفي سنة ثمانين ومائتين للهجرة. انظر: طبقات الحنابلة: للقاضي أبي يعلى: (١١٣/٢ برقم ٢٩٨) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (٣١٩/١٣ برقم١٤٨).

(٢) الآجري هو: الإمام المحدث، أبو بكر، محمد بن الحُسين بن عبد الله البغدادي، الفقيه المحدِّث صاحب التواليف، منها: «الشريعة» في السنة، وكتاب «الغُرباء» ؛ سمِعَ أبا مسلم الكَجّي، وجعفرا الفِرْيابي، وغيرهما؛ وروى عنه أبو الحسَن الحَمّامي، وأبو نُعيم الأصبهاني، وآخرون؛ مات بمكّة في المحرَّم سنة ستين وثلاث مئة، وكان من أبناء الثمانين. انظر: طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي: (١٤٩/٣ برقم١٣٣) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٣٣/١٦-١٣٦).

(٣) ابن تيمية: هو الإمام تقيّ الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني؛ وُلد سنة إحدى وستين وست مائة، بلغ شيوخه أكثر من مائتي شيخ، وسمع الحديث من القاضي شمس الدين بن عطاءالحنفي، وابن أبي بكر الهَرَوي، وخلقٍ كثير؛ توفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (٢٩٥/١٨) ؛ ومعجم المعاجم والمشيخات: ليوسف عبد الرحمن المرعشلي: (٤٠٥/١-٤٠٦).

(٤) ابن القيِّم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب، من أهل دمشق، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار الفقهاء؛ وُلد سنة إحدى وتسعين وست مئة؛ من مصنفاته: «الطرُق الحُكْمية»، و«الفروسِيّة»، و«مَدارِج السالكين»؛ تتلمذ على ابن تيمية، وانتصر له، وهذب كتبه، ونشر علمه؛ مات سنة إحدى وخمسين وسبع مئة للهجرة. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني: (٤٠٠/٣-٤٠١) ؛ والموسوعة الفقهية الكويتية: (٣٣٣/١).

وابنِ كثير[1]، وأمثالهم من الأئِمَّة والحُفَّاظ رحمهم الله جميعاً- يدُلّ دلالة واضحة على موالاته لهم وتَمَذْهُبه بمذهبهم، وأنه سَلك مَسلكهُم في المنهج وأبواب الدِّين والاعتقاد.

وقد كان جُلّ اهتمام الشيخ في دروسه ومحاضراته وكلماته، ومصنفاته ومؤلفاته بيانُ التوحيد وعبادة الله عزوجل، حتى في خطبه التي تكون في مناسبات أخرى ومواضيع مختلفة يستهلها بالتوحيد، بل لقد اشتهر بدعوته إلى التوحيد بأقسامه الثلاثة -هذا مع تبحره في أبواب العلوم الشرعية الأخرى- كما تدل على ذلك مؤلفاته في مواضيع شتى.

كما أنَّ الشيخ شاه كان له إلمام كبير بالصناعة الحديثية وأسماء الرجال، كما يظهر ذلك جليا في دروسه في شرح أحاديث صحيح البخاري، وغير ذلك من ثروته العلمية من المصنفات والصوتيات.

يقول عنه الشيخ ثناء الله الأمرتسري[2] رحمه الله: (يرأس مؤتمرَ اليوم شابٌّ عالمٌ

---

(١) ابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي، عماد الدين، مفسر فقيه، ولد سنة سبع مائة أو بعدها بيسير، ونشأ بدمشق؛ وله في التاريخ: «البداية والنهاية»، وعمل «طبقات الشافعية». من أشهر شيوخه الإمام ابن تيمية، وقد امتحن به؛ مات سنة أربع وسبعين وسبع مائة. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني: (١/٣٧٣-٣٧٤).

(٢) هو ثناء الله بن خضر الأمرتسري الهندي: المفسر المناظر؛ وُلد سنة سبع وسبعين ومائتين وألف؛ من شيوخه الحافظ عبد المنان الوزير آبادي، ومحمود الحسن الديوبندي، وآخرين؛ أنشأ جريدة أهل الحديث الأسبوعية، واشتهر بمناظرة الطوائف والفِرق، وترأس بعض المؤتمرات؛ من تصانيفه كتاب «تفسير القرآن بكلام الرحمن» بالعربي، و«التفسير الثنائي» بالأردو؛ توفي بباكستان سنة سبع وستين وثلاث مائة وألف للهجرة؛ وقد وصفه الشيخ ربيع المدخلي في «حُجية خبر الآحاد» (ص٤٧) بـــ: العلامة المجاهِد المحدِّث الشيخ. وانظر: الأعلام: للزركلي: (٢/١٠١) ؛ وترجمته في مقدمة كتاب: أربعين ثنائي (الأربعون الثنائية) أردو: لمحمد علي جانباز: (ص١١) ، وفيه ترجمته بعنوان ''مولانا ثناء الله الأمرتسري'' لمحمد اشتياق شاهد: (ص١٦).

من السِّنْد[1]، ماهر بأسماء الرِّجَال) وسيأتي مزيد من ذكر فضائله ومحاسنه العلمية في ترجمته إنْ شاء الله تعالى.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

- الموضوع مهم جدًّا؛ لأنه موضوع يتعلق بتوحيد الله جَلَّ جلاله؛ الذي أُرسِلَت الرُّسل، وأُنزِلت الكُتب، وخُلقت الجِنُّ والإنْس مِن أجله، وخلقت الجنة والنار جزاء لمن قَبِله أو تَركه وراء ظهره، وجُعِلت السَّعادة، أو الشّقاء لمن وَجِل قلبُه عند ذكرِه، أو اشمأزَّ وأعرض عن ذكره، وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسل، وأهمُّ ما كُلِّف به الانسان في الحياة الدُّنيوية، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[2].
- أنَّ الانحرافَ في التَّوحيد أعظمُ ما يكون على العبد خطورة، إذْ أنه انحراف يتعلق بحقِّ المعبود، ولذا كان الاهتمام بمثل هذا الموضوع في غاية الأهمية.
- فيه إبرازٌ لجانب من جوانب جهود شخصية علامةٍ من علماء الإسلام في باب العقيدة، وخدمة لعلومه، رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

---

(١) السِّنْدُ: بكسر أوّله، وسكون ثانيه، وآخرُه دال مهملة: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا: السند والهند كانا أخَوَين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح، يقال للواحد من أهلها سِنديّ، وبعض يجعل مُكْران منها ويقول: هي خمس كوَر، فأوّلها من قبل كرمان: مكران، ثم طوران، ثم السند، ثم الهند، ثم المُلتان. ومن مدُنها دَيبل، والتيز، وهي أيضاً على ساحل البحر فتحت في أيام الحجاج بن يوسف، ومذاهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (٢٦٧/٣).

(٢) سورة الذاريات: (٥٦).

- وتزداد أهمِّيةُ مثل هذا الموضوع في وقت تضاعَفت أعداد علماء السوء والأئمة المضلِّين فيه، وساد الجهل في عامة الناس، وقد طُرِحَت في شتى وسائل الإعلام شُبهاتٌ عن توحيد الملك العَلام لِتنطلي على السُّذّج مِن العَوام، فلا بد من توقيفهم وتبصيرهم بحقيقة دينهم.

أسباب اختياري للموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع لأسباب عديدة أهمها ما يلي:

١- ما يحظى به هذا الموضوع من أهمية، كما أسلفت الإشارة بذلك آنفا.

٢- البعد لدى بعض المسلمين عن حقيقة توحيد رب العالمين ومذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة.

٣- يكون هذا الموضوع الأول بنوعيته؛ حيث لم يكتب سابقا -حسب علمي- موضوعٌ كرسالة علمية في هذا المجال فيما يختص بجهود الشيخ بديع الدين الراشدي رحمه الله في هذا الباب.

٤- ما سبقَ ذِكره من انتشار التّيّاراتِ الانحرافية وكثرةِ دعاة الباطل من أصحاب الأهواء والشهوات، أو ممن ينتسب إلى العلم من أهل التلبيسات والشبهات، الذين يدعون إلى التشكيك في الإسلام ورفع الاعتماد عن رب العباد وربط المخلوق بالمخلوق بحجج واهية ؛ فكان لِزاماً على أهل السُّنّة والجماعةِ أهلِ الحديث والأَثر كشفُ الغطاء عن هذه التَّلْبيسات، ونفيُ الشرْك عن دينٍ سادَ على الدِّيانات، بالصَّدِّ والوقوف أمام هذه الأمواج الغُثائية بأسلحة العلم والبيان.

فلهذه الأسباب وغيرِها، وبعدَ استشارةٍ من بعض إخواني الفضلاء ومشايخَ أجلاء رغبتُ في الكتابة في هذا الموضوع، سائلا الله العليم الخبير أن يوَفِّقني ويسدِّدَ قَلَمي لما يحبه ويرضاه، ويعيذني من الزيغ والزلل، إنه السلام، ومنه السلام، تبارك ربي ذو الجلال والإكرام.

أهداف الموضوع:

١-نشر عقيدة أهل السنة والجماعة في أوساط المسلمين العامَّةِ منهم والخاصَّة.

٢-إقامة الحجة على من لم يقبل عقيدة السلف الصالح، وبيان أنها هي العقيدة الصحيحة التي لا نجاة إلا فيها.

٣-إبراز جهود العلامة بديع الدين شاه الراشدي في باب التوحيد والعقيدة.

الدراسات السابقة للموضوع:

بعد البحث والتحرّي عن دراساتٍ مِن هذا النوع وجدتُ أنه لم يتعرّضْ بحثٌ علميٌّ أو رسالةٌ علميّة لموضوع: ''جهود الشيخ بديع الدين شاه الراشدي في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة''.

خطّة البَحث:

احتوَتِ الخطّة على مقدِّمة، وتمهيد، وبابَيْن، وخاتمة، وفهارسَ تفصيلية.

– المقدمة:

اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف منه، والدراسات السابقة للموضوع، وخطة البحث، فالمنهج الذي سرت عليه في البحث.

– التمهيد: ترجمة العلامة بديع الدين شاه الراشدي السندي:

وفـــيه فصــــلان:

<u>**الفصل الأول :**</u> **عصر الشيخ وبيئته؛** وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.

<u>**الفصل الثاني :**</u> **في ترجمته؛** وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية رحمه الله؛ وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته.

المطلب الثاني: أسرته وقبيلته.

المطلب الثالث: نشأته.

المطلب الرابع: وفاته رحمه الله.

المبحث الثاني: حياته العلمية؛ وتحته مطالب:

المطلب الأول: تلقيه العلم.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه.

المطلب الرابع: قيامه بالدعوة إلى مذهب أهل الحديث.

المطلب الخامس: اهتمامه بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

المطلب السادس: اهتمامه بكتب السلف.

المطلب السابع: تلامذته.

المطلب الثامن: إجازاته.

المطلب التاسع: كتبه ومؤلفاته.

المطلب العاشر: مناظراته ومناقشاته.

المطلب الحادي عشر: سفره إلى خارج البلاد.

المطلب الثاني عشر: إمارته لجمعية أهل الحديث.

الباب الأول : جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالإيمان بالله:

وفـــيه فصـــلان:

الفصل الأول: جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد المعرفة والإثبات:

وفـــيه ســـتة وثـــلاثـــون مـــبحـــثاً:

المبحث الأول : قواعدٌ في الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: أسماء الله وصفاته كلها توقيفية.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى كلها حسنى.

القاعدة الثالثة: أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف.

القاعدة الرابعة: أسماء الله غير محصورة.

القاعدة الخامسة: إثبات الأسماء والصفات يكون بلا تحريف ولاتعطيل ولاتكييف ولا تمثيل.

القاعدة السادسة: القول في الصفات كالقول في الذات.

القاعدة السابعة: أسماء الله وصفاته ليست حادثة بل هي أزلية أبدية.

القاعدة الثامنة: تنقسم صفات الله تعالى إلى قسمين ذاتية وفعلية.

القاعدة التاسعة: صفات الله لاتقوم بغيره من المخلوقات.

المبحث الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: الإلحاد في الأسماء الحسنى.

المبحث الرابع: صفة الربوبية.

المبحث الخامس: أدلة وجود الخالق.

المبحث السادس: الرد على الدهرية.

المبحث السابع: الرد على القدرية.

المبحث الثامن: صفة الخلق والملك والتصوير.

المبحث التاسع: تدبير الأمور والتصرف في القلوب.

المبحث العاشر: إثبات صفة الحياة الكاملة لله تعالى.

المبحث الحادي عشر: صفة العلم.

المبحث الثاني عشر: صفة القدرة.

المبحث الثالث عشر: صفة الرحمة.

المبحث الرابع عشر: صفة السمع.

المبحث الخامس عشر: صفة البصر.

المبحث السادس عشر: صفة الوجه.

المبحث السابع عشر: صفة اليدين.

المبحث الثامن عشر: صفة القدم.

المبحث التاسع عشر: صفة النفس.

المبحث العشرون: صفة الاستواء.

المبحث الحادي والعشرون: صفة العلو.

المبحث الثاني والعشرون: عرش الله.

المبحث الثالث والعشرون: الكرسي.

المبحث الرابع والعشرون: المعية.

المبحث الخامس والعشرون: صفة القرب.

المبحث السادس والعشرون: رد الحلول والاتحاد.

المبحث السابع والعشرون: صفة النزول.

المبحث الثامن والعشرون: صفة المجيء والإتيان.

المبحث التاسع والعشرون: صفة الضحك.

المبحث الثلاثون: صفة الغضب.

المبحث الحادي والثلاثون: صفة الاستحياء.

المبحث الثاني والثلاثون: صفة الكلام.

المبحث الثالث والثلاثون: رؤية الله تعالى.

المبحث الرابع والثلاثون: هل يوصف الله تعالى بالجسم والجوهر والعرض ؟

المبحث الخامس والثلاثون: بيان أن صورة الله تعالى لا نظير لها.

المبحث السادس والثلاثون: الأسماء التي عدها من أسماء الله تعالى وما ذكر لها من معاني.

الفصل الثاني : جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في باب توحيد العبادة:

وتحـــته خمسة وعشرون مـــبحثا:

المبحث الأول: تعريف العبادة.

المبحث الثاني: شروط قبول العبادة.

المبحث الثالث: تعريف الشرك.

المبحث الرابع: أهمية التوحيد وخطر الشرك.

المبحث الخامس: فوائد التوحيد وأضرار الشرك.

المبحث السادس: معنى الطاغوت والوثن والصنم.

المبحث السابع: الغاية من خلق الثقلين هي توحيد الله في عبادته.

المبحث الثامن: الاستدلال بالربوبية على الألوهية.

المبحث التاسع: الله هو الذي يستحق أنواع العبادة كلها.

المبحث العاشر: الدعاء.

المبحث الحادي عشر: الشفاعة.

المبحث الثاني عشر: ما يتعلق بالتوسل.

المبحث الثالث عشر: مسألة سماع الموتى.

المبحث الرابع عشر: الرجاء والخوف والخشية.

المبحث الخامس عشر: التوبة والاستغفار.

المبحث السادس عشر: اتخاذ الولي من دون الله.

المبحث السابع عشر: النذر.

المبحث الثامن عشر: الغلو في الصالحين.

المبحث التاسع عشر: الشرك في الألفاظ.

المبحث العشرون: التشريك بالتعبيد لغيرالله تعالى في الأسماء.

المبحث الحادي العشرون: السحر.

المبحث الثاني والعشرون: الفرق بين السحر والمعجزات والكرامات.

المبحث الثالث والعشرون: الكهانة والعرافة.

المبحث الرابع والعشرون: التمائم.

المبحث الخامس والعشرون: الشرك في الطاعة.

الباب الثاني : جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق ببقية أركان الإيمان ومباحثه، ومسائل عقدية متفرقة: وتحـــته ثلاثة فصـــول:

الفصل الأول: فيما يتعلق ببقية أركان الإيمان؛ وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الخامس: الإيمان بالقدر.

الفصل الثاني: فيما يتعلق ببعض مباحث الإيمان؛ و فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان.

المبحث الثاني: بيان أن العمل من الإيمان.

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الرابع: مسألة الحكم بما أنزل الله.

الفصل الثالث: في مسائل عقدية متفرقة؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الصحابة.

المبحث الثاني: الخلافة والحكم.

المبحث الثالث: لُزوم السنة والتحذير من البِدع.

المبحث الرابع: بيان مَن هُم أهلُ الحديث، وألقابهم، والدفاع عنهم، والتحذير من الافتراق.

المبحث الخامس: الرد على المناوئين لمذهب أهل السنة والجماعة.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

الفهارس : وتكون على النحو التالي:

أ – فهرس الآيات القرآنية.

ب – فهرس الأحاديث النبوية.

ج – فهرس الآثار.

د – فهرس الأعلام.

ه – فهرس الكلمات الغريبة.

و – فهرس المصادر والمراجع.

ز – فهرس الموضوعات.

المنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث:

المنهج الذي سرتُ عليه في هذا البحث على نحو ما يلي:

١ - تقسيم الخُطة إلى مقدمة، وتمهيد، وبابَيْن، وخَاتمة، وفهارس تفصيلية.

٢ - جمع جهود الشيخ رحمه الله فيما يتعلق بتقريره لعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك من خلال كل ما يتسنى لي من قراءة الكتب والرسائل والمجلات والدوريات والفتاوى، وسماع الصوتيات وغيرها من الوسائل.

٣ - عزوُ آيِ القرآن إلى مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني .

٤ - عزوُ أحاديث النبي عليه وعلى آله الصلاة والتسليم إلى مصادرها -من دون إلتزام بتخريجها من جميع مصادرها التي وردت فيها- ، فإنْ كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بعزوه إليهما أو أحدهما، وإن كان في غيرهما من كتب السنة عزوته إليه ونقلت حكم أهل العلم على الحديث.

٥ - شرح الألفاظ الغريبة إن وجدت من خلال المعاجم اللغوية، إلا أن تكون تلك الألفاظ واردة في الأحاديث فمن كتب غريب الحديث أو كتب الشروح.

٦ - لا أتصرف في النصوص عند نقلها إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، مع بيانه.

٧ - ترجمة الأعلام غير المشهورين الواردة في صلب البحث ترجمة موجزة.

٨ – التعريف الموجز بالأماكن والبُلدان والفِرق والطوائف، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٩ - الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٠ - ترجمة النصوص غير العربية إلى اللغة العربية.

١١ - ذكر أسماء المراجع غير العربية كما وردت، ثم أذكر معناه بين القوسين باللغة العربية؛ حتى لا يتوهم كونها عربية.

١٢ - أذيل البحث بفهارس لازمة على حسب ماذكر في الخطة.

تمهيد

تَرْجُمَةُ الْعَلَّامَة بَدِيْعِ الدِّيْن شَاه الرَّاشِدِيّ السِّنْدِيّ

وفـــيه فصـــــلان

الفصل الأول

عصر الشيخ وبيئته

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول
الْحَالَـةُ السِّـيَاسِـيَّة

منذ بُزوغ أنوار الإسلام وطلوع بُدور الهداية ونور الإيمان على يد سيِّد الأنام عليه الصلاة والسلام كان لتجار العرب علاقة وَطِيدة مع بلاد الهند[1]، ولذلك كانت أشعة الإسلام قد امتدت على أيدي بحّارة العرب وتجارهم إلى الأماكن القريبة منها في وقت مبكر، وإن كان وصوله فيها ليس كانتشاره في غيرها مما قرب من جزيرة العرب ومهبط الوحي، وذلك لبُعدها عن منبع الرسالة.

وقد كانت بلاد السند حينه معروفة عند المسلمين العرب الأوائل، بل كانت لهم علاقة متينة مع أهل السِّند، وذلك لما ذَهَب المسلمون بسَبَايَا الهند إلى بلاد العرب ضمّوهم إلى أهاليهم وجعلوهم موالي لهم.[2]

فلما جاء عهدُ الخليفة الراشد عمرَ بنِ الخطّاب ﷺ وغَلبت العَساكِر الإسلامية على العِرَاق[3] . . . .

(١) الهند: جمهورية فيدرالية تضم خمسة وعشرين ولاية وسبعة أقاليم، تقع في جنوب آسيا، حيث تشغل أراضي تمتد من جبال الهيمالايا في الشمال، إلى كيب كورمورين على المحيط الهندي في الجنوب. يشترك معها في موقعها في شبه القارة الهندية المثلثة الشكل: باكستان في الغرب، والصين ونيبال وبوتان في الشمال، وبورما وبنجلاديش في الشرق، وإن كانت هي (أي الهند) تشغل معظم شبه الجزيرة. انظر: معجم بلدان العالَم بالأرقام: لمحمد عتريس: (ص١٢٦-١٣٠).

(٢) انظر: كتاب المنمق في أخبار قريش: محمد ابن حبيب البغدادي : (ص٤٣١).

(٣) عراق: العراق المشهور هي بلاد، وهي علَم على أرض بابل، سميت بذلك من عِراق القربة، وهو الخرز المثني الذي في أسفلها، أي أنها أسفل أرض العرب. وقيل: سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد، ودنا من البحر. وقال الخليل: العراق شاطىء البحر، وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطىء دجلة والفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (٤/٩٣-٩٥).

فتحوا الأُبُلَّة[١]، وقد كانت حينئذ مركزاً رئيسياً لملوك فارس، يحمونها بأساورهم[٢]، ويحاربون منها في البَر العربَ، وفي البحر أهلَ الهند، كأنها نقطة الاتصال بين المغرِب والمشرِق، وكانت بلاد سواحل الهند إلى سَرَنديب[٣] مِنْ مستعمراتِ إمبراطورية[٤]

---

(١) الأُبُلَّة: بضم أوّله وثانيه، وتشديد اللام وفَتْحِها؛ بلدةٌ على شاطىءِ دِجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة؛ حكي عن الأصمعي في قولهم الأُبُلَّة: كانت به امرأةُ خمَّارَة تُعرف بـــهوب في زمن النّبْط، فطلبَها قوم من النّبط، فقيل لهم هوبُ لاّكا، بتشديد اللام، أيْ: ليستْ هوبُ ههنا، فجاءتْ الفُرْس فغلّطَت، فقالت: هُوبُلّتْ، فعرّبتْها العرب فقالت: الأُبُلّة. انظر: معجم البُلدان: للحموي: (١/٧٦-٧٨) ؛ وانظر: مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لصفي الدين البغدادي: (١/١٨) ؛ والبداية والنهاية: لابن كثير: (٥/١٩).

(٢) الأساورة جمع إسوار من أساورة فارس وهم الفُرْسان، يقال: رَجلٌ أسوار من أساوِرَة فارِس، وهو الفارس من فرسانهم المقاتل. انظر: تهذيب اللغة: للأزهري: (١٣/٥١) ؛ والصِّحاح: للجوهري: (٢/٦٩٠).

(٣) سرنديب: جزيرة من الجزائر المشهورة في البحر المسمى هركند، وهي جزيرة كبيرة مشهورة الذِّكْر، وهي ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً، وفيها جبل الرهون، سامي الذرْوَة، عالي القِمَّة، يُعتقد عنه أنواع من الخرافات، وبين هذه الجزيرة والبَرِّ المتصل بالهند مجاز صغير، وتحاذي من أرض الهند أغباب وهي أجوان، تسمى أغباب سرنديب. انظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الإدريسي: (١/٧١-٧٨).

(٤) الإمبراطورية: مصدر صناعيّ من إمْبِراطُور: نوع من الحُكم الذي يسيطر على عدد من الشعوب والأقاليم، كالإمبراطوريّة الرومانيّة قديمًا، والإمبراطوريّة البريطانيّة قبل نهاية الحرب العالميّة الثانية؛ وتطلق كذلك على دولة كبيرة المساحة، كثيرة العدد، عظيمة القوّة، تشتمل على أمم وشعوب، من أجناس وثقافات مختلفة، وتتكوّن بالغزو والفتح. معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار عمر: (١/١١٦).

فارس، يَنصر ملوكُها ملوكَ فارس ضد الإسلام والمسلمين.[1]

وأول غزوة في بلاد الهند والسند كانت في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في سنة خمس عشرة من الهجرة، وكانت تلك الغزوات في أيامه ﷺ ضمن غزوات فارس، جاء المسلمون إليها مجاهدين.[2]

و لم يستقرّ العرب في الهند أيامَ الغزوات الأولى ويومَ فُتحت السِّنْد، غيرَ أنَّ استمرار الغزو، وقدومَ الكثير مِن المسلمين إلى الثغر، ومجاورة الأجزاء التي يحكمها المسلمون قد جعل انتشار الإسلام يعمّ معظم مناطق السِّنْد.[3]

وبخروج هؤلاء أهل الهند والسِّنْد من رِقَّةِ الملوك الكَفَرة وعبودية الأصنام إلى عَدْل الإسلام، والحُرِّية التَّامة التي لا يُقيِّدها إلا الشَّرْع الحنيف تمتّعوا بسماحة الإسلام والمسلمين وبجميع الحقوق الانسانية، وصَبَغُوا حياتَهم بصِبغة الثقافة الإسلامية، ولعبوا بدور النشاط في ميادين العلم والدِّين، حتى ظهر منهم أئمة الدين، وحفاظ الحديث، والفقهاء، وعلماء السِّيَر والمغازي، وأهل الفَضل والتقوى.

وقد كان الإسلام في بلاد السند في حيوية وإشراق، وكان نعم المصباح المنير والهادي الأمين، بحيث ما حل الإسلام منها في مكان إلا وحل السلام فيه ورحل الظلام، وارتقت الحالة السياسية، والتأم الشمل، ونمت الحياة، وزالت غياهب الظلم والاستبداد، وازداد العلم والعدل في الامتداد، حيث كان أغلب المسلمين فيها من أهل الحديث.[4]

---

(١) انظر: العِقْد الثمين في فتوح الهند ومَن وَرَد فيها من الصحابة والتابعين: لأبي المعالي أطهر المباركفوري: (ص٣٢).

(٢) انظر: العِقْد الثمين: للمباركفوري: (ص٣٣).

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي: لمحمود شاكر: (الجزء التاسع عشر ص٣٧-٣٨).

(٤) انظر: نقض قواعد في علوم الحديث: لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

ثم آل أمر المسلمين في بلاد السِّنْد فيما بعدُ إلى التشتُّت والانقسام، والتفرق والتفتُّت التام، لإعراض كثير من أهلها عن الدِّين الإِسْلامي، إعراضاً إمَّا كُلياً بالكفر والإلحاد، أو إعْراضاً عن تعاليمه الصحيحةِ السَّامية الصّافية عن شوائبِ البدعة وخرافات الاعتقاد، مما أدى إلى التردي في مهاوي الخسارة والفساد، وقد حمى الله من ذلك جماعة أهل الحديث.

بل وآل الأمر في عصر الشيخ بديع الدين أن انتُهِكتْ محارم الله، وتخلّف الناس عن إقامة حدود الله، مما كان من أسباب زوال نعمة الأمن، وانتشار الاختلاف والفُرقة، كما أشار الشيخ إلى ذلك بقوله: (لماذا انعدم الأمن عندنا؟ لماذا لاتقام حدود الله؟! والله لو أنكم نفذّتُم حدود الله هنا لصارت دولة باكستان[1] بأكملها مأوى للأمن؛ يقوم الأمن، وتزول الفُرقة ...)[2] فإنَّ الأمْنَ والاجتماع على الكلمة لا يحصل إلا بتعظيم شعائر الله وإقامة حدوده سبحانه.

وقد عاش الشيخ رحمه الله في الفترة ما بين سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف وسنة ست عشرة وأربع مئة وألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهي فترة كثر فيها تقلب الحوادث، وأعظم المظاهر من ذلك تقسيم الهند إلى جزئين،

---

(١) باكستان: ''باك'' يعني طاهر، و''استان'' يعني البلاد أو البقعة؛ فأصبح المقصود من الكلمة: بقعة الأطهار وبلادهم. وهي دولة انفصلت عن الهند إثر الخلافات في التوجّهات السياسية، فإلى جانب المسلمين الذين رأوا الدعوة إلى الوحدة الوطنية تضم الهندوس والمسلمين ضد الانكليز، قام أولئك الذين رأوا ضرورة الانفصال وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثرية، فكونوا دولة تعرف بباكستان، وأول من نادى إليها الشاعر محمد إقبال، وظهرت في (١٣٦٦/٠٩/٢٧هـ - ١٩٤٧/٠٨/١٤م). انظر: التاريخ الإسلامي: لمحمود شاكر: (٤٩/١٩-٥٠ ، ١٢٥).

(٢) حقوق العباد (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣٣).

وانفصال باكستان عنها كدولة مستقلة للمسلمين عام ١٩٤٧م، وما تبع ذلك من الأزمات والمصائب عليهم من قتل وتشريد وإخراجهم من ديارهم واضطراب كبير.[١]

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: لمجموعة الباحثين: (٤/١١٥).

المبحث الثاني
الْحَـــالَـةُ الْعِـــلْمِـيَّةُ

لقد عاش الشيخ رحمه الله تعالى وسط أسرة تنتمي إلى العلم وتُقدِّره، وتَعرِف فضلَه وتُبَجِّل أهلَه، وسَأُبيِّن فيما بعد ما يخصُّ أسرته في هذا المجال، إلا أن الكلام عن البيئة التي ترعرع الشيخ في أوساطها وكبر، فلها شأن آخر؛ فكانت الغلبة والسؤدد على معظم مناطق السند إذ ذاك للجهل لاسيما بالعلم الشرعي، بل كان الأمر قد وصل في بعض النواحي إلى ما يسمى بالجهل المركب بسبب إصرار أهلها على ما هو خلاف للحق الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

وما نُسي العلم في قومٍ وحَلَّ محلّه الجَهل إلا انتشر فيهم الشِّرْك والبِدع بأنواعها، وطغى فيهم الإلحاد والاستشراق بسمومهما، وعمت ظلمات التصوف لديهم، وثارت العصبية للأحزاب والجماعات، واعتُقدِت اعتقاداتٌ خُرافية وأوهامية لا أصل لها إلا التقليد، أوالهوى ومحض تَشَهٍّ، أو الأقيسة الباطلة المعتمدة على عقول سخيفة.

وهذا الذي كان من عاقبة فُقدان العلم في المجتمع السندي، كما هي عاقبة كل مجتمع أعرض عن ذكر الله عزوجل وهَدْيِه القويم، فلا تكاد تجد قرية فيها ولا حياً من أحيائها إلا وفيه شعارات أهل الشرك من نداء غير الله تعالى، فعلَمٌ مكتوبٌ عليه : ''ياعلي مدد''، وبابٌ للمسجد منحوت عليه: ''يا رسول الله''، وأناس يقولون في دعائهم: المدد يا ولي الله فلان..!.

وهؤلاء تجدهم مع ذلك يُدافِعون عما اعتقدوه من الباطل، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل معتقداتهم الشركية، بل قد اتخذ بعض من انتسب إلى العلم بعضَ العبادات وسيلة للتجارة في الدِّين، وأكل أموال الناس بالباطل، وسبيلاً لاكتساب الجاه عند العوام، فحلَّلوا وحرّموا من غير دليل من القرآن أو السنة.

ثم إنه مما كان سبباً لفقد العِلم ونشر الجهل في البيئة التي عاشها الشيخ: انتشار الخلوات والزوايا[1] الصوفية في هذه البلاد، والتزام كثير من الناس هذه الخلوات والعيش فيها، وسماع كلام مشائخها من دعاة الجهل والتقليد الأعمى، كل ذلك يورث الأوهام والظنون في النفوس، مما يؤدي في النهاية إلى الانحراف عن الإسلام الصحيح، والسَّيْر وراء الأفكار الضالة، والأوهام الباطلة، ولربما أدى إلى الابتداع في الدِّين، بل والإشراك بالله عزوجل[2].

وهذه الحالة هي التي صوَّرها الشيخ بديع الدِّين السِّنْدي رحمه الله بقوله: (هذا التوحيد هو الذي من أجله واجَهَ الأنبياءُ الكرام وأتباعُهم أنواعاً من الأذى والشدائد، وقِصَصُهم مذكورةٌ في القرآن والحديث، إلا أنه مع الأسف كثير من الناس منهمكون في أنواع غير محصية من الشركيات، ولا يعلمون التوحيد، بسبب الانحطاط العلمي وغلبة الجهل، لاسيما في بلادنا السند، فإن الناس فيها أكثرهم يجهلون التوحيد، وسبب ذلك أنهم من جهة واقعون في فِتْنة التصوف، ومن جهة أخرى أبعدتْهم محاضراتُ علماءِ السوء عن التوحيد، حتى وصل الأمر إلى أنْ ظَنَّ الناس أن الأعمال الشركية هي عينُ الإسلام!!..)[3].

وفي جانبٍ مِن هذا لو قام الدُّعاة المصلحون وعلماءُ الحق بتعليم الناس عِلْمَ الوحيَيْنِ وفِقهَ النورين: الكتابِ والسُّنة وَصَفُوهم بأنهم لا يُعظِّمون النّبي..! أويكرهون تعظيمه صلوات الله وسلامه عليه -لأنهم يقفون فيه عند الحد الشرعي- وبأنهم يكرهون الأولياء وينكرون مكاشفاتِهم وكراماتهم..! والعوام يقبلون هذا منهم،

(١) الخلوات والزوايا هي عبارة عن أربطة خيرية معدة لنزول المشايخ الصوفية ومريديهم، والتي تسمى في بلاد الهند والسند بـــ"الخانقاه". انظر: فِرق الهند المنتسبة للإسلام: لمحمد كبير شودري: (ص٤٦ الحاشية).

(٢) انظر: فِرَق الهند المنتسبة للإسلام: لمحمد كبير شودري: (ص٤٦).

(٣) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: ص٢٨.

وذلك إنما هو لجهلهم بعقيدة الإسلام الحقيقية.[1]

ومع هذا الجهل الذي ساد على المجتمع السَّندي في أمر الدِّين -بإغواء أئمةٍ مُضلِّين- لم يكن ليغلب على نور العلم وأهله، وشعاع السُّنّة وأصحابها، إذْ سنة الله قائمة أنَّ الحق يعلو ولا يُعلى عليه، وأنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنَّ لكل قوم هاد، وأن أهل الحق لا يَضرُّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خالَفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك.

فكان مِنْ عظيم مِنَن المنّان ورحمة الرّحيمِ الرّحمن على هذه الخِطة من الأرض، أنِ اختار منها مِن عباده مَن يقوم بإعلاء كلمة التَّوحيد، ويَرفع رايةَ الكتاب والسُّنَّة، وينشر العقيدة الصحيحة الصّافيةَ مِن شوائبِ الشرك والبِدع، ويوضح سبيل الله لمن أراد الهُدى، ويدفع عن دين الله كل أذىً وعمىً ورَدى، وينفي عنه تحريف الغالِين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، ويدرأ عنه كلَّ زيفٍ وغلوٍّ وجَهلٍ وضَلال، فكان هنالك نوابغُ من العلماء الأعلام، لم يَملّوا من مقاومة هذا التَّيّار العنيف، وبذَلوا في سبيلِ نشرِ العِلْم الغاليَ والنَّفيس، فقاموا بالجهاد الكبير، متمثِّلين قولَ الله سبحانه: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾[2] يعني بالقرآن، كذا قال ابن عباس رضي الله عنه[3] كما في «تفسير ابن كثير»[4].

---

(١) انظر: حق وباطل عوام کی عدالت میں (الحق والباطل في محكمة العوام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٩-٢١).

(٢) سورة الفرقان: (٥٢).

(٣)) ابن عباس هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول أثبت؛ وفي الصحيح عنه أن النبي ﷺ ضمه إليه وقال: اللهم علِّمْهُ الحكمة. وكان يقال له حبر العرب؛ وفي وفاته أقوال: سنة خمس وستين، وقيل سبع، وقيل ثمان، وهو الصحيح في قول الجمهور. الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (٦/٢٢٨-٢٤٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٦/١١٦).

فألَّفوا كُتُباً نافعة، ومصنَّفات طيبة، في شتى العلوم الشرعية، من توحيد وتفسير وحديث وسيرة، وغير ذلك، واستعملوا غيرَها مِن شَتَّى وسائل نشر الدَّعوة الإسلامية الحنيفة، لكي يَنتشِرَ الخير ويُنأَى الغَير، ويعُمَّ الصّلاحُ والفلاحُ في المجتَمَع كلِّه.

* فمن أبرز مَن ظهر في السِّنْد وما جاورها مِن العلماء المتأخِّرين:

– الشيخ الإمام المناظر أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري رحمه الله تعالى، الذي اشتهر بمناظراته مع القاديانية[١]، ودحضِ أباطيلهم، وبَتْر حُجَجهم وقطع دَجَلهم.

– والحُسام البَتَّار، البَطَل الكرَّار، الرَّجُل الشُّجاع، الشيخ الأديب، إحسان إلهي ظهير[٢] رحمه الله وألحقه بالشهداء:

---

(١) القاديانية: هي فرقة تُعدّ امتداداً للفِرَق المنكرة لختم النّبوات بالنبوّة المحمدية، تحت رعاية الاستعمار البريطاني وأعداء الإسلام، وهي نسبة إلى قرية قاديان التي وُلد فيها مؤسِّسُها غلام أحمد بن غلام مرتضى ابن مِرْزا كُل أحمد سنة ست وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة، فتربى فيها، وانتسب إليها، فسميت حركته بالقاديانية، كما تُسمى بالأحمدية؛ نسبةً إلى اسم مؤسسها. من أهم عقائدها الباطلة: إنكار ختم النبوة، وادعاء كون المؤسس نبياً، ونسخ الجهاد؛ ولهم اعتقادات خرافية في ذات الرب سبحانه؛ تتواجد في الهند وباكستان وأفغانستان، وأجزاء من أوروبا، وأمريكا، وجنوب أفريقيا. انظر: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية: لد. عبد القادر صوفي: (ص٢٥٩ وما بعدها) ؛ والقاديانية دراسات وتحليل: لإحسان إلهي ظهير: (ص١ وما بعدها).

(٢) هو المجاهد إحسان إلهي ظهير، داعية باكستان، حامل لواء الذود عن أصحاب الرسول ﷺ ، ولد في سيالكوت عام ثلاث وستين وثلاث مائة وألف، والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ونال الترتيب الأول على الجامعة، وحصل عدة شهادات، وتقلد مناصب عديدة، توفي سنة (١٤٠٧هـــ) بعد إصابته عقب انفجار قنبلة وُضعت له في مزهرية أمامه أثناء إلقائه المحاضرة، ودُفن بمقبرة البقيع؛ كتبتْ عنه رسالة علمية بعنوان''الشيخ إحسان إلهي ظهير وجهوده في تقرير العقيدة السلفية والرد على الفِرق المخالفة''. انظر: الإعلام بمن زار الكويت: لوليد المنيس: (٣٠٩-٣١٢) ؛ وموسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري: لإبراهيم الحازمي: (٢٠٩/١).

والذي قد عُرف بفضح حقائق الرافضة[1]، والرد على البريلوية[2] فِرقة من غُلاة الصوفية.

– و كذلك مِن أبرَز هؤلاء العلماء الأجِلاء الشيخ الإمام العَلامة المحدِّث أبو محمد بديع الدِّين شاه الرَّاشدي السِّنْدي[3]، وجهود شخصيته في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة موضوعُ رسالتِنا هذه، رحمه الله تعالى وأدخله فسيحَ الجِنان، اشتهر باهتمامه في علم التوحيد وتخصُّصه في علم الحديث رِوايةً ودِراية.

إلى غير ذلك من العلماء الأفاضل، الذين حملوا في أعناقهم عِبء الدعوة إلى التوحيد والسنة، وتحذير البشرية من الشرك والبِدعة.

---

(١) الرافضة: اسم يطلق على كل من تبرأ من الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، أو سَبَّ الصحابة وشتمهم وتبرأ عنهم، رضي الله عنهم، وهم قوم من الشيعة يدّعون تولي عليّ بن أبي طالب ﷺ ، سُموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي حين قالوا له: إبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى فرفضوه وأرفضوا عنه فسموا رافضة، ولِسبهم الصحابة كفّرهم مَن كفرهم مِن العلماء. انظر: رسالة في الرد على الرافضة: لأبي حامد المقدسي: (ص٣٠٢ وما بعدها) ؛ ومقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري: (١/١٠٥ ، ١٣٦–١٣٧) ؛ والصارم المسلول على شاتم الرسول: لابن تيمية: (٣/١٠٥٥).

(٢) البريلوية: هي فرقة توجد باسمها في بلاد الهند وباكستان، وتوجد بعض عقائدها باسم التصوف في غيرهما من البلدان، كالدعاء والنذر لغير الله. أسسها أحمد رضا البريلوي، المولود في مدينة بريلي في ولاية أتر برديش من الهند، وقد سمى نفسه فيما بعد بعبد المصطفى، وكان يؤيد حكومة الانجليز، توفي في الخامس والعشرين من صفر سنة ١٣٤٠هــ، من أهم عقائدهم مع ما سبق الغلو في الأنبياء والأولياء، وأن نبينا ﷺ ليس ببشر، بل هو نور من نور الله، وعقيدة سماع الموتى، واعتقاد علم الغيب لغير الله، والحلول والاتحاد، وأن النبي ﷺ حاضر في كل مكان وناظر كلَّ شيء، وغير ذلك. انظر: البريلوية: لإحسان إلهي ظهير: (ص٧ وما بعدها).

(٣) وستأتي ترجمته مفصلة في الفصل الثاني من التمهيد، إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث
الْحَالَـةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ

قد رفعت الفتن رؤوسها في المجتمع السندي، مما كان لها أثر بالغ في تغيير الثقافة الاجتماعية وتحطم بعض قيمها ومبادئها، وضياع الهوية الدينية والاجتماعية، وسأذكر هنا نموذجاً من تلك الفِتَن التي أحاطت بذلك المجتمع في عصر الشيخ السندي رحمه الله تعالى:

أولاً فِتْنةُ التصوُّف والصُّوفية:

وكان من أعظم نتائج أثر الصوفية على المجتمع السندي في الظاهر انتشار اعتقاد الحلول[1] والاتحاد[2]، فهذا تسمعه يقول: الله في قلوبنا، وذاك يعتقد بأن الله في كل مكان، لا يخلو منه سبحانه مكان، والآخر ينشد بأن الله حالٌّ في جسد الأنبياء والرُّسل،

---

(١) الحلول في اللغة: مِن حَلَّ يَحُلُّ حُلولاً؛ أي: النزول، نقيض الارتحال؛ وفي الاصطلاح هو قولهم: إن الله تعالى حلَّ في أشخاص معينين بأعيانهم، أو أنه تعالى حلّ في كل مكان - تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيراً - وهم من غلاة المشبهة، وأكفرِ خلق الله. انظر: لسان العرب: لابن منظور: باب الحاء (٩٧٢/٢) ؛ والكليات: للكفوي: (ص٣٨٩) ؛ ومعجم التعريفات: للجرجاني: (ص٨٢) ؛ ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية: لمصطفى الخطيب: (ص١٤٩-١٥٠) ؛ ومعارج القبول شرح سلم الوصول: للحافظ الحكمي: (٣٦٠/١-٣٧٠).

(٢) الاتحاد من المصطلحات الصوفية والباطنية، وهو تصيير الذَّاتَين واحدة، أو كون الأشياء شيئاً واحداً، ولا يكون إلا في العَدد من الاثنين فصاعداً، يقال: اسْتَأْحَد الرَّجلُ: أيْ: انفرد. وهو في اصطلاح أهل وحدة الوجود: أن الوجود بأَسْرِه هو الحق، وأن الكثرة وهمٌ، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد، هو معبودهم في زعمهم. انظر: معجم التعريفات: للجرجاني: (ص١٠) ؛ والصحاح: للجوهري: (٤٤٠/٢) ؛ ودائرة معارف القرن العشرين: لمحمد وجْدي: (٦٧٨/١٠) ؛ وقصة الفلسفة: لوِلْ ديورانت: (ص٢١٦-٢١٧ ، ٢٣٤) ؛ ومعارج القبول: للحافظ الحكمي: (٣٦٠/١-٣٧٠).

والذي يزعم بأنه قد نزه ربه في اعتقاده وقدَّسه قال: بأنه تعالى لا يحوزه مكان؛ فليس هو في اعتقاده فوق ولا تحت، ولا في إحدى من الجهات الأربعة الأخرى، وهو يَحسَب أنه يُحْسِن اعتقاداً، ولا يدري المسكين أنه عَبَد معبوداً معدوماً؛ إذ هي من صفات المعدوم، وكل هذا من نتائج التعليمات الصوفية.

وكان للتصوف كذلك على سلوك المجتمع أثرا بالغاً، فهذا تجده يرى نفسه مزكاة زكية لكونه قد شارك في الأربعينات التبليغية[1]، والآخر تارك بيته وأهله والرَّعية، ظناً منه أنها أمور شيطانية[2] قد أمر الإسلام بالابتعاد عنها، فترك ما أوجب الله عليه تجاه أهل بيته وعشيرته، وهو يحسب أنه قد خرج في سبيل الله وإعلاء كلمته العليا..!.

ثانياً- فتنة تقليد الثقافات غير الإسلامية:

الضعيف يُقلِّد القَوي، حتى يميت إحساس الضعف لديه، هذا هو السبب الذي جعل بعضَ المسلمين يُقلِّدون غيرَهم؛ ليعتبروا أنفسهم أقوياء، ولما رأى بعض المسلمين أنفسهم ضعفاء أمام الحضارة المادية لدى غير المسلمين، ورأوا ازدهارها لديهم، ظنوا أن ذلك التقدم والرُّقي لعدم تديُّنهم وانسلاخهم من الأديان، وأن هذا التخلف الذي حَلَّ

---

(١) الأربعينيات التبليغية: مصطلح صوفي عند جماعة التبليغ في القارة الهندية، وهو ما يعبرون عنه باللغة الأردية بـــ ''چله (شِلَّة)''، والمقصود منه لديهم الخروج معهم لأربعين يوماً في السَّنَة أو في العمر من أجل دعوة الناس إلى الدِّين. انظر: كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، تعريفها، عقائدها: للدكتور سيد طالب الرحمن: (ص٣٩٥).

(٢) يعتقد بعض الصوفية (ككثير من أفراد جماعة التبليغ) أنَّ الأمور المباحة من التكسب والتسبب والترزق ولو كان عن طريق الحلال أصنام، لأنها تُلهي عن واجباته الدينية وعن واجبه نحو رب البرية، إلا إذا خرج في سبيل الله، ويقصدون بذلك الخروج للتبليغ معهم في الشهر ثلاثة أيام، وفي السنة أربعين يوماً، وفي العمر أربعة أشهر، ونحو ذلك من الأيام..!. انظر: كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، تعريفها، عقائدها: للدكتور سيد طالب الرحمن: (ص٣٩٥).

بالمسلمين إنما هو بسبب تمسُّكهم بالإسلام، وأنَّ الإسلام هو الذي أخّرهم عن ذلك التمدُّن والحضارة..!

وما علموا أن هذا التخلُّف ليس في الإسلام ولا بالتمسك بمبادئه السامية، بل إنما هو بسبب ضعف تمسُّكهم به وبمبادئه السامية، التي لم يتمسك بها أحد من البشرية إلا وقد ارتقى بها في الدنيا، كما يرتقي بها المسلمون في الدنيا والأخرى يومِ المعاد.

وليست القوة في المحاكاة، ولكن في عدة العَتاد، فشتَّانَ بيْنَ القويِّ وبينَ مَن يحاكيه، وإنما التقليد محاكاةٌ وليس بقوة، ثم إنَّ مِن أعظم ما يترتب على تقليد غير المسلمين وثقافاهم من الضَّرَر ترك مبادئ المجتمع المسلم وكراهتها، والانحلال في مبادئ الغير دون التمييز بين صحيحها وسقيمهما وفاسدها.

وهذه النقطة المهمة هي ما يشير إليها الشيخ بديع الدِّين السندي بقوله في جملةٍ تَستحِقُّ أنْ تُكتب بماء الذهب: (إذا قلَّدْنا غيرَنا من الأقوام كرِهنا ثقافتنا ومجتمعنا)(١).

ثالثاً – فتنة النِّساء و حُرِّيةُ المرأة المطْلَقة:

مِن الفِتَن التي أحاطت بالمجتمع الإسلامي حول الشيخ، وكانت نتاجاً لتقليد غير المسلين: فتنةُ النساء؛ فإن الشريعة الإسلامية الغرَّاء قد أعطت المرأة حريتها الكاملة التي تكون في صالحها والمجتمع، وأطلقتها من كل القيود التي تضر بها أو بالمجتمع، وليس كما زعم بعض الجهلة أنَّ الإسلام سلبها الحرية وحقوقها وألقاها في غياهِبِ الظُّلمات وقيّدها، كلا.. إنَّ الإسلام أعطى كل ذي حقٍّ حَقَّه، وأعطى للمرأة حُرِّيَتَها وحقوقَها، لكنه لم يجعل تلك الحرية حرية هماء عمياء، لم يجعلها كما أرادها الكافرون الشهوانيون، أوبعضُ من انتسب إلى الإسلام وهم لغير أهله محاكون، حيث لا حياء ولا عصمة، ولا أجسادُهن من ذئاب البشر مصونة..!

---

(١) إسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٥).

بل أعطاها حُرّيتها، وجعل لها فيها كمالها وعفافها، وحَفظ في حُريتها نَسَبها ونَسْلها، وضَمِن لها فيها دينها ودُنياها.

يقول الشيخ السندي رحمه الله مبيِّنا ذلك: (قد انشغلنا بمحاكاة غيرنا من الأقوام، ولذلك ترفع الفِتَن الجديدة عندنا رؤوسها، فهذه نعرة حرية المرأة؛ أي حرية هذه؟! الحرية المطلقة التي لا زمام لها؟!! هي فتنة لا تنتهي مع محاولتنا لصدها.

إنما حرية المرأة خدعة، أسَلَب الإسلام حُرّيتها؟! كلا.. بل أعطاها حُريتها ومقامها اللائق بها، حُرِّيةٌ فيها حِفاظ لِعِزّتِهنَّ وعِصْمتهنّ، ويبقى حياؤهن فيها مصوناً، إنما هي نتيجة الحرية الغربية أن يُسلب من المرأة فيها كل شيء، ونحن قد سَلَكْنا بالنساء سبيلهم هذه، ونسمي ذلك: ''حرية للمرأة''..!! ولذلك ترفع الفِتنُ رأسها فتنةً بعد فتنة)[1].

والشيخ السندي رحمه الله تعالى قد أدرك فَتْرَتَين مِن الزَّمَن؛ زمنٌ قبلَ استقلال باكستانَ وانفصاله عن الهند، وزمنٌ بعد الانفصال، وكان كثيراً ما يقارن بَيْن الفَترتَين مِن حيث التغيُّرات التي حصلتْ، فمثلاً يذكر أحياناً بعض مصايدِ الهندوس[2] للمسلمين التي كانوا يستغلونها لاصطياد شباب المسلمين عن دينهم وإبعادهم عنه والدعوة إلى الهندوسية، منها أنهم كانوا يأتون بفتياتهم المتبرّجات لِيُوقعوا رجالَنا وشبابَنا فريسةً لهم

---

(١) إسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٨).

(٢) الهندوس هم أصحاب الديانة الهندوسية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، تتخذ عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، ولا يوجد لها مؤسس معين، إلا أن الآريين الغزاة هم المؤسسون الأوائل لها، من أهم كتبها: «الفيدا»، و«قوانين منو». انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف د.مانع الجهني: (٢/٧٢٤).

ولأغراضهم، ويذكر أنَّ مِثلَ هذا يحصل في زمنه كذلك على أيدي المرشدِين المسلمين الذين يُلقَّبون بـــ ''پير (بمعنى المرشِد)''[1].

يقول الشيخ: (إني ناظرتُ بِيْراً في مدينة سَكَّهر[2]، فرأيتُ أنَّ عدد النساء اللائي جئن معه مثل عدد الرجال معه، وأما ما حصل بعد ذلك فإنه يقصُر لساني عن ذكره! هذه حقيقةٌ؛ أن هؤلاء لهم يد كبرى في جعل النساء متبرِّجات وإخراجهن من البيوت، ألا ترون ما يحصل عند القبور والأضرِحة؟! كيف تأتي النساء عندها..؟! هم يعلمون أنهم لا كسب لهم من غيرهن، إنما يجمعون النِّساء لكي يزدحِمَ الرِّجال عند الأضرِحة ...)[3].

(١) بير: لفظة باللغة الأردو، تُطلق في بلاد الهند وباكستان على مرشدٍ من مرشدي الصوفية خاصة، الذي يكون في نظرهم قد بلغ درجة الكمال، وكثيراً ما يُعتقد فيه من الكرامات، وربما وصل عند بعضهم درجة الكشوفات وادعاء علم الغيب، وكثيراً ما يُستغاث به ويُطلب منه المدَد من دون الله سبحانه، كما قال بعضهم في قوله الوثني في بيت شعري مناديا لغير الله تعالى: (المدد يا شاه شاهان المدد ... المدد يا بير بيران المدد) أي: المدد يا ملك الملوك ويا مرشد المرشدين..! كما في كتاب: حكم الله الواحد الصمد: للخجندي، نقلاً عن: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين الأفغاني: (١٠٨٧/٢-١٠٨٦) ؛ وانظر أيضاً من الكتاب نفسه: (٣٣٨/١ و ١١٩٥/٢).

(٢) سكهر: اسم منطقة في إقليم السِّنْد من المناطق الحارة، جنوبي باكستان؛ وهي مقسمة الى أربعة من الطبقات الإدارية، وهي؛ مدينة سكهر، وروهري، وصالح بَتْ، وبانو عقيل. انظر الموقع الإلكتروني بعنوان: منطقة السكهر، تم نشرها في ٢٠١٤/٩/١٦م، وتم النقل منها في تأريخ ١٤٣٥/١١/٢٢هـــ، http://en.wikipedia.org/wiki/Sukkur_District .

(٣) انظر: إسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٣).

ويقول الشيخ مبيناً فتنة النساء وكيف أنها أحاطت بالمجتمع الذي عاش فيه وضررها في مثال واقعي: (قبل فترة قليلة من الزَّمَن قدّم رئيس منطقة بهاولبور[1] قَدَماً إصلاحيًّا عندما كلَّمه بعض موقِّريها، وهو منع النساء من حضور قاعات السِّينما، فنشر الإعلاميون في الجرائد خبر تعطّل قاعات السينما كلِّها، فاجتمع مالكوها واستردوا هذا الأمر، بل أعلنوا أنَّ مَن يحضر مِن الرِّجال بلا نساء تلزمه تذكرة الدخول، ومن يُحضرهُنّ معه فإنه لا تلزمه التذكرة، فكان أنْ جاء في الجرائد الخبر بامتلاء القاعات السينمائية من اليوم الثاني! بل وصل الأمر إلى أنَّ أكثرَ المشاهِدِين لم يجدوا لهم المقاعِد مما اضطرّهم الأمر إلى أن يقفوا خارج القاعات ...)[2].

هكذا كان تأثير فتنةِ النساء على الرِّجال، والإسلام –كما يقرر الشيخ السندي– أعطى للمرأة حُرِّيتها في نطاقها، وجعلها حُرّية مقيَّدةً بما يرفع مكانتها وشرفها، ويحفظ عصمتها وعفتها، ويعزِّز عِزَّها وحياءَها، ويُنقذِها مِن المهانة والرَّذيلة.

رابعاً – فتنة السحر والشعوذة:

السحر والشعوذة من الأمور التي انتشرت في بلاد السِّند أيَّما انتشار، وانتشر قُبحها في قلبها وأطرافها، وارتفعت رؤوس السحرة والمشعوذين في جميع أرجائها، حتى وقع المجتمع السندي في فَكِّه بأكمله، نعم.. بأكمله، إلا من شاء الله، علم أهل ذلك المجتمع أم جَهلوا، فلا تكاد تجد بيتاً خالياً مِن شرِّه، حتى في بيوت كثير من الذين لا

---

(١) بهاولبور: من المناطق العريقة في بنجاب باكستان، وحدُّها من الشرق الممتلكات البريطانية في سِيرْسا، ومن الغرب نهر السِّنْد، ويقع النهر غاربًا شمال حدودها، وفي حدودها الشمالي يقع النهر بيكانير. انظر كتاب: «The History of Bahawalpur» (تاريخ بهاولبور) إنجليزي: لشَهَامَتْ علي: (ص٩).

(٢) إسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٣).

يؤمنون به ويحذرون عنه، ألا.. إنه عن طريق وسائل الإعلام بأنواعها، التي هي سِهامٌ رِدْفَ سِهام لِقَلع عقيدة الإسلام من قلوب الأنام، ونزع الروح الإيمانية من أهل الإيمان، وتعليق قلوب العباد بأمثالهم من العباد، وقَطْع صِلتهم بربِّ العِباد، في التوكل والخوف والرجاء وغير ذلك مما هو من صميم الاعتقاد، عصمنا الله من شره.

وأخيرا فإنَّ الأمن والاستقرار الاجتماعي لايمكن التمتع به ولا الحصول عليه إلا بالعودة إلى أحكام الشريعة وتطبيق التعاليم الإسلامية، وهذا الذي يوضحه الشيخ بديع الدين السندي رحمه الله تعالى بقوله: (مجتمعنا الذي كان مجتمع الأمن تغير إلى مأوًى للفِتن والفَساد، إنما نَعرِفُ أنْ نشتكي أنّ فلاناً قال كذا وكذا، وفلاناً قد فعل كذا وكذا، ونشكو عقوقَ الأولاد، وعصيانَ الزوجات.. ولكن السؤال هل أديتَ أنت حقوقهم؟! بل عصيت الله والرسول ﷺ ؛ غصَبْتَ أنت حق الله تعالى، فجعل الله مَنْ تحتَ يديك يغصبون حقوقَك ... لو أردنا أنْ يستقِرَّ لنا الأمن فإنه لا قرار له إلا إذا أمضينا حياتنا وفقاً للتعاليم الإسلامية)[١].

فهذه نظرة عابرة لأحوال إقليم السند وبيئةِ الشيخ السِّنْدي رحمه الله تعالى في وقته، ولا زالت الأمور على ما كانت مما وصفها الشيخ السندي في بعض أقواله، وهي تدلّ على صعوبة القيام بالدعوة في ذلك المجتمع، وخطورة مواجهة أعداء الشريعة الإسلامية من غير المسلمين، أوأعداء الوسطية الإسلامية المتمثلة في مذهب أهل السنة والجماعة ممن ينتسبون للإسلام ويتحزبون.

لكنها سنة الله تعالى في الخلق منذ القِدَم أنْ جعل لكل قومٍ هاد، يَثْبُت على الحق ويَصْمَد ضِدَّ الباطل، ويَنصر كلمة الله العليا، ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان الشيخ بديع الدِّين السندي رحمه الله تعالى -فيما عُرف عنه- ممن قام بحق الدعوة إلى الله في أوساط هذه الأحوال السياسية والعلمية والاجتماعية؛ مما يدل على صبره وتحمله، وقوة عزيمته، أجزل الله له المثوبة في الدارَين.

---

(١) إسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين: (ص٢٨-٢٩).

الفصل الثاني
في ترجمته

وفـــــيه مبــحــثـــــان

المبحث الأول
حَيـاتُه الشخْصِيّة رحمَهُ اللّه

وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول

اسْــمُهُ ونَسَــبُهُ ووِلادَتُــهُ

أولاً – اسْمُهُ ونَسَبُهُ:

هو الشيخ الفاضل الإمام العابد العلامة بديع الدِّين شاه الرّاشدي السِّندي، نسبة إلى السِّند، أبو محمد، تكنّى بابنه الأكبر، وكان يُلَقَّب بـــ''شاه'' –بِهَاءٍ أصلية–، وهي لفظة فارسية بمعنى: المَلِك[1].

وأما نَسَبه: فهو السيد الشريف أبو محمد بديع الدين شاه بن السيد الشريف إحسان الله شاه بن السيد الشريف رُشد الله شاه بن السيد رشيد الدِّين شاه بن محمد ياسين شاه بن السيد الشريف محمد راشد شاه، الراشدي، الحُسيني[2].

حيث يَصِلِ نَسبه إلى سِبْطِ[3] رسولِ الله ﷺ حُسين بن عليّ بن أبي طالب[4] رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) انظر: لسان العرب: لابن منظور: باب الشين (٢٣٦٧/٤) ؛ ومعجم الوسيط: لمجموعة من العلماء منهم إبراهيم مصطفى: (ص٥٠١).

(٢) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١) ؛ و''حياة المصنف''، لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢١/٢).

(٣) السِّبْطُ: واحد الأسباط: وهم وَلَدُ الولَد. الصِّحاح: للجوهري: (١١٢٩/٣).

(٤) هو حسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، الهاشمي أبو عبد الله، سِبط رسول الله ﷺ وريحانته؛ قال الزبير وغيره: ولد في شعبان سنة أربعٍ، وقيل سنة ستٍّ، وقيل سنة سبْعٍ. أخرج له أصحاب السُّنَن أحاديثَ يسيرة، قال الزبير بن بكار: قُتل الحُسين يومَ عاشُوراء سنةَ إحدى وستين، وكذا قال الجمهور، وشذَّ من قال غيرَ ذلك. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (٥٤٧/٢-٥٥٥).

ثانيا – ولادته:

وُلِد العلامة الشيخ أبو محمد بَديع الدين السندي في إقليم السِّند –ولذا نُسِب إليها، واشتهر بهذه النسبة– بقرية ''السيد فضل الله شاه'' التي تُسمَّى الآن بـــ ''**قديم پير جهنڈا** (بير جهندا القديمة)''[1]، في مُديرِيَّة حَيْدَر آباد[2].[3]

وكانت ولادته في العاشر من شهر يوليو عام خمس وعشرين وتسع مئة وألف من الميلاد، كما ذكر ذلك التاريخ الشيخ بنفسه حين سئل عنه[4]، وهو يوافق من الهجرة النبوية اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف.

---

(١) قرية بير جهندا القديمة: أي: قرية سيد العَلم القديمة؛ وهي قرية تقع في مديرية حيدر آباد، قريباً من قرية نيو سعيد آباد في إقليم السند، بباكستان؛ وأما اسمها القديم بقرية السيد فضل الله؛ فالظاهر أنه نسبة إلى الشيخ السيد فضل الله شاه الراشدي صاحب العَلم الثاني كعلامة قيادية له، وهو من عشيرة الشيخ بديع الدين السندي. انظر ''ترجمة المؤلف'' أول كتاب خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (الصفحة: س) ؛ وانظر الموقع الإلكتروني بعنوان: من محدِّثي باكستان – ملتقى أهل الحديث، أنور بن قاسم بن محب الله شاه الراشدي، تم نشرها في ٢٠١٤/٧/٩م، وتم النقل منها في تأريخ ١٤٣٥/١١/٢٥هـــ، http://www.ahlalhdeeth.com/vb/forum.

(٢) انظر: ''ترجمة المؤلف'' أول كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: للشيخ بديع الدين السندي: (صفحة: س) ؛ وانظر ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري المطبوعة مع كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: (ص٣).

(٣) حيدر آباد: هي مدينة من مُدن إقليم السِّنْد في باكستان، كانت تسمى قديماً ببيرون. انظر: التاريخ الإسلامي: لمحمود شاكر: (١٥/١٩).

(٤) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١).

والغريب أن بعض المترجمين للشيخ السِّندي ذكروا غير ذلك من التواريخ لولادته، فلعلهم لم يطلعوا على ما ذكره الشيخ نفسه عن تاريخ ولادته، فقيل إنها كانت في اثني عشر من الشهر الخامس المايو، عام ستٍّ وعشرين وتسع مئة وألف من الميلاد[1]، وقيل إنها كانت في الثامِن عشر من ذي الحجة عام ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، الموافق الخامس عشر من شهر يوليو عام خمس وعشرين وتسع مئة وألف من الميلاد.[2]

والمعتبر في ذلك هو الأوّل، لأنه شهادة صدرت من صاحب الولادة، فإنه كما قيل: صاحب الدار أدرى بداره، وأهل مكة أدرى بشعابها، والله تعالى أعلم.

---

(١) ''ترجمة المؤلف'' أول كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (صفحة: س).

(٢) انظر: عنوان ''حياة المصنف'' لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢١/٢).

المطلب الثاني

أُسْرَتُـــهُ وقَبِيلَـــتُهُ

كان انتماء الشيخ رحمه الله إلى أُسرة علمية فاضلة، وقبيلة شجاعة، وسأذكر في هذا المقام نبذة مختصرة عن هذه الأُسرة الرَّاشِدية.

فقد ذكر بعض مترجميه أن أسرته من القوافل التي جاءت مهاجرةً من العِراق إلى أرض السِّنْد في أيام فاتح السِّنْدْ محمد بن قاسم رحمه الله تعالى(١)، وكانت منذ أجيال تخدم الدِّين جيلاً بعد جيل ونسلاً بعد نسل، ولذلك كان الشيخ بديع الدين نجماً حيًّا من بيتِ فضل وكمال(٢).

ولما تُوفي جَده الأمجد السيد محمد راشد شاه(٣) المعروف بصاحب الروضة

---

(١) هو محمد بن قاسم بن محمد بن الحكم الثقفي: فاتح السند، وعامل الحجاج عليها؛ ولد سنة اثنتين وستين، وقاد الجيوش لسبع عشرة حجة، وولاه الحجاج ثَغر السِّند في أيام الوليد بن عبد الملك، فزحف إلى مُكران وفتح قنزبور وارمائيل والديبُل؛ واستسلم أهل البيرون وما بعدها إلى أن بلغ مهران، فعَبَره؛ وقاتله داهر -ملك السِّند- فقتل داهراً، وانبسطت يده في البلاد فتحاً وتنظيماً، ثم قتله معاوية بن يزيد بن المهلب؛ وقال ابن حزم: قتل نفسه في عذاب يزيد بن المهلب؛ توفي نحو سنة ثمان وتسعين. انظر: فتوح البلدان: للبلاذري: (ص٢٢٩) ؛ والأعلام، للزركلي: (٦/٣٣٣-٣٣٤).

(٢) انظر كلمة جاويد الحسن الصديقي بعنوان ''مقالاتِ راشديه اور صاحبِ مقالات (مقالات الراشدية وصاحب المقالات) المطبوعة على صفحة الغلاف الأخيرة لكتاب مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي.

(٣) هو الشيخ محمد راشد شاه الراشدي الحُسيني، الجد الأعلى للشيخ بديع الدين السندي، أحد دعاة التوحيد والسنة في إقليم السِّنْد، وصاحب «الملفوظات» التي جَمَعها له أتباعُه من بعده، وفيها من المسائل ما تدُلّ على محبته للسُّنة وإحيائه لها في السِّند. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو، لبديع الدين السندي: (ص١١ ، ١٢ ، ١٣) ؛ و''حياة المصنف''، لإفتخار أحمد الأزهري أولَ كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢/٢١).

خَلَّفَ بعده من أبنائه السيد حزب الله شاه[١] والسيد محمد ياسين شاه[٢]، وكانت لأبيهما علامتان قيادِيتان، العمامة والعَلم، فاختارت جماعتُه بعد وفاته أنْ تكون علامةُ العمامة على رأس حزب الله شاه، وعلامة العَلم تبقى عند محمد ياسين شاه، وهكذا انقسمت عشيرة الشيخ إلى قيادتين:

- أحدهما: يقال له بير بكارو (بمعنى المرشِد صاحب العمامة).
- والثاني: يقال له بير جهنده (بمعنى المرشد صاحب العَلَم).[٣]

وقد توالت عَلَامة العَلم القيادية عند أحفاده، فسِلسلة ذلك على الترتيب التالي[٤]:

١-السيد محمّد ياسِين شاه، صاحب العلَم الأول.

٢- السيد فَضل الله شاه[٥] (الشهيد)، صاحب العَلَم الثاني.

---

(١) هو حزب الله بن السيد الشريف محمد راشد شاه الراشدي، الحسيني، المشهور بصاحب العمامة، وهي علامته القيادية في وقته، ورثها عن أبيه بعد وفاته، وهو أحد أعمام الشيخ بديع الدين السندي. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١).

(٢) هو الشيخ محمد ياسين شاه بن السيد الشريف محمد راشد شاه، الراشدي، الحُسيني؛ وعلامته القيادية هي العَلم، وهو أول من تولى القيادة بعد أبيه، ولذلك اشتهر بأنه صاحب العلَم الأول؛ كان داعية ناصراً للسُّنة، وفي عهده بدأت سلسلة استئصال المراسم غير الإسلامية التي وُجدت لدى القبيلة الراشدية من قبل، كمراسم المرشِد ومريديه عند الصوفية. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو، لبديع الدين السندي: (ص١١-١٢).

(٣) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١).

(٤) انظر: المصدر نفسه.

(٥) هو الشيخ السيد الشريف فضل الله شاه الراشدي الحُسيني؛ إليه نُسبت قرية ''السيد فضل الله شاه'' في السِّند، كما يقال لهذه القرية: ''بير جهندا'' بمعنى: سيد العَلم؛ نسبةً إلى علامته القيادية؛ لأنه صاحب العَلم الثاني بعد محمد ياسين شاه، وهو من عشيرة الشيخ بديع الدين السندي.=

٣- السيد رَشيد الدين شاه[1]، صاحب العَلم الثالث.

٤- السيد رُشد الله شاه[2]، صاحب العَلم الرابع.

٥- السيد إحْسان الله شاه[3]، صاحب العَلم الخامس.

=انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري المطبوعة أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٣-٤).

(١) هو السيد رشيدُ الدِّين شاه بن محمد ياسين شاه بن السيد الشريف محمد راشد شاه، الراشدي، الحُسيني؛ صاحبُ العلَم الثالث، ورافع راية الجهاد، وله كتاب «الملفوظات» مِن جمْعِ أصحابه، مِن أهم ما فيها تقريره الاتباع، والنهي عن الابتداع، والردّ على الصوفية الوجودية، وأخرى من المسائل التي تدل على سُنِّيَّته، وكان قد اشتهر بصاحب البَيْعة؛ لأنه كوَّن جماعةً للمجاهدين، وأخذ منهم البيعة على الجهاد وعلى بعض الأحكام الأخرى؛ وبأمر منه أسَّس ابنُه مدرسة دار الرشاد. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو، لبديع الدين السندي: (ص١١-١٣) ؛ وعنوان ''حياة المصنف''، لإفتخار الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢١/٢) ؛ وقادياني اور جهندائي خاندان (القادياني وقبيلة الجَهندائيين) أردو: لبديع الدين السِّنْدي: (ص٤٨).

(٢) هو الشيخ أبوتُراب رُشد الله شاه بن رشيد الدِّين شاه بن محمد ياسين شاه؛ صاحبُ العلَم الرابع، وخادمُ مَسْلكِ أهل الحديث، حَصَل على السَّنَد في عِلم الحديث على أيدي عدد من العُلماء، وله تصانيف عديدة في مسائل التوحيد والسُّنة باللغة العربية والأردية والسِّنْدية، منها «التنقيد المعقول» و «دَرْج الدُّرَر في وضع الأيدي على الصَّدْر» ، وهو الذي أسَّس مدرسة دار الرَّشاد، والتي كان يعطى فيها لعِلم الحديث مقاماً خاصًّا بجانب علوم أخرى. انظر: عنوان: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: (ص٣-٤) ؛ وتوحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣١-١٣٢).

(٣) هو الشيخ إحسان الله شاه بن رُشد الله شاه بن رَشيد الدِّين شاه، الراشدي الحُسيني، صاحبُ العَلَم الخامس؛ ولد عام ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة، وهو أوّل مَن درَس الشيخ بديع الدِّين على يَدَيه؛ له رسالة «مَسْلك الإنصاف»، وكان إماماً في أسماء الرجال في وقته، وألَّف=

٦- السيد محب الله شاه[1]، صاحب العَلم السادس.

وهؤلاء الأعلام الفُضَلاء من أجداد الشيخ بديع الدين السندي -رحمهم الله تعالى- كلهم كانوا أصحاب الفضل ودعاة التوحيد ومنارات السُّنَّة في بلاد السِّنْد، يقول الشيخ بديع الدين في بيان تاريخ قبيلته وخدماتهم في نشر الدعوة: (ابتداءً من جَدّنا الأعلى السيد محمد راشد شاه إلى والدنا كلهم كانوا دعاة التوحيد والسنة في السند، ومنذ عهد صاحب العلَم الأول السيد محمد ياسين شاه بدأت سلسلة استئصال المراسم غير الإسلامية التي كانت توجد لدى قبيلتنا، وهي الأسرة التي مَحَت كثيراً من مراسم المرشِد ومريديه التي كانت هي محض البدعة ومخالفةً للشريعة خلافاً بيِّناً)[2].

فأسرة الشيخ أسرة علمية داعية مجاهدة، قامت في بلاد السِّنْد بإقامة السُّنة وإحيائها ونشرها، وقمع البدعة ومحاربة أهلها، وخاصة الصوفية الذين أحدثوا كثيراً من البِدَع العبادية منها والاعتقادية.

وسأذكر هاهنا عن هؤلاء الأعلام الأفاضل من أسرة الشيخ ما يُبيِّن مكانتهم وفضلهم:

فأما والده السيد الشيخ إحسان الله شاه رحمة الله عليه فإنه كان عالماً جليلاً،

=رسالة مختصرة في الدفاع عن الملِك عبد العزيز رحمه الله تعالى حين قيامه بهدم القِباب المبْنية على القبور، وقد أوذي كثيراً في سبيل السنة، وله عدد من المناظرات مع مخالفيه. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو، لبديع الدين السندي: (ص١١، ١٢، ١٤) ؛ و''حياة المصنف''، لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢١/٢) ؛ و''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري أول كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٣).

(١) هو السيد أبو الرّوح محِبُّ الله شاه بن إحسان الله شاه بن رُشد الله شاه، الرَّاشِدي الحُسَيني، أخو الشيخ بديع الدين السندي الأكبر؛ وهو مدفون بقرية بير جهندا في مديرية حيدر آباد في السند.

(٢) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢).

وعاملاً بعلمه فاضلاً، وهو صاحبُ العَلَم الخامس كما مرّ؛ ولد عام ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة[١]، وهو أوّل مَن درَس الشيخ بديع الدِّين على يَدَيه، كدراسة بعض الكتب العَربية والفارسية قبل توَسُّعه وتبحُّره في العلوم المختلفة[٢].

وللشيخ إحسان الله رسالة بعنوان «مَسْلك الإنصاف» مطبوعة باللُّغة السِّنْدية، وكان داعية متفانياً في سبيل نشر السُّنَن وقَمع البِدَع، فهو كما وصفه ابنه الشيخ بديع الدِّين حيث يقول: (بذَل الوالد المحترم كلَّ جُهده في نشر السُّنة واستِئْصال البِدعة، ودعا الجميع بقوله وعَمله إلى السُّنّة، وَهَبهُ الله تعالى مَلَكةً عظيمة في عِلم الحديث مع حفظه القرآن، وكان إماماً في أسماء الرِّجَال في وَقته ...)[٣].

ومما يُبرهِن على اهتمام هذا العَلَم الفَذّ بشأن توحيد الرَّبّ عز وجل والرد على الشركيات والدفاع عن أهل السُّنة أنه لما قامت المملكة العربية السعودية -حرسها الله تعالى من كل سوء- بهدم القِباب المبْنية على القبور وإزالتها اتباعاً لأمر الرسول ﷺ وقام المخالفون بضجة ضِدَّ ذلك -وذلك في عهد الإمام الملك عبد العزيز[٤] رحمه الله تعالى-

---

(١) انظر: اداء فرض كــ بعد هاته الهاكر اجتماعي دعا كا ثبوت (دليل الدعاء برفع اليدين بعد أداء الفرائض): لإحسان الله شاه الراشدي: (ص١٢٣).

(٢) انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري المطبوعة مع كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٣).

(٣) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ ، ١٤).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن محمد بن سعود، ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومُنشئها؛ وُلد في الرياض سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائتين وألف، واستولى على الرياض وجدّد إمارة آل سعود سنة تسع عشرة وثلاث مائة وألف، وأعلن سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة وألف توحيدَ الأقطار الخاضعة له، وتسميتَها بالمملكة العربية السعودية؛ توفي بالطّائف، ودُفن في الرياض سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة وألف، وخَلَفَه ابنه الملك سعود الأوّل وليُّ عهده في حياته، حفظ الله آلهم وأحفادهم ومملكتهم على نعمة التوحيد والسُّنة. انظر: الأعلام: للزركلي: (١٩/٤-٢١) ؛ وبعثة إلى نجد: لسانت جون فيلبي: (ص٢٥ وما بعدها).

كتب الشيخ حينها في تأييد المِلِك رسالةً مختصرة بأدلّتها باللُّغة السِّنْدية، ووَزَّعها في مناطق السِّنْد، مما كان لها أثر جيد على الناس، وتبصيرلهم بالحق[1].

وقد كان الشيخ إحسان الله من أكابر علماء أهل الحديث، عالماً متبحِّراً، حاملاً لِلِواء السُّنة والحديث في بلاد السِّند[2]، إلا أنه ما كان مِن وارثٍ من ورثة الأنبياء الكرام في علمهم، وسالكاً في دعوته منهجهم وطريقتهم إلا وقد وَجد من الأذى والعداوة ما قد وجدوا، وقد لَحِق الشيخَ أنواعٌ من ذلك لِصَدْعه في الدعوة، فصَبَر عليها واستَمرّ، وفي ذلك يقول الشيخ بديع الدِّين عن والده: (ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الوالدَ المحترم بسبب عمله بالسُّنة أمام الملأ واجه عدداً من المشاق مِن جهة أصحابه وأعدائه، لكنه واصل بالصبر والعزيمة، وحصلت له عدد من المناظرات مع أهل العلم في السفر والحضر...الخ)[3].

هكذا أمضى حياته هذا الشيخ الفاضل في سبيل العلم ونشره والتواصي بالحق حتى وافاه الأجل.

وأما جده الشيخ أبوتُراب رُشد الله شاه رحمه الله تعالى؛ فهو صاحبُ العَلَم الرابع، وخادمُ مَسْلكِ أهل الحديث، كان من أهل العِلم ومحبيه ولأهله، وقد حصل على السَّنَد في علم الحديث على أيدي عدد من العُلماء الكبار.

كما أنّ له تصانيف عديدة في مسائل التوحيد والسُّنة باللغة العربية والأردية والسِّنْدية، التي كان لها تأثيرٌ بليغ في نشر مذهب أهل الحديث في السِّند، منها «التنقيد المعقول» و «دَرْج الدُّرَر في وضع الأيدي على الصَّدْر» ، وهو الذي أسَّس مدرسة دار الرَّشاد، والتي كان يعطى فيها لعِلم الحديث مقاماً خاصًّا بجانب علوم أخرى، وكان أكثر

---

(١) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢).

(٢) الإعلام بمن زار الكويت من العلماء الأعلام: لوليد عبد الله المنيس: (ص٩٧).

(٣) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣).

الأساتذة في السِّند من خريجي هذه المدرسة[١]، وهذه المدرسة هي التي تعيَّنَ الشيخ بديع الدِّين فيما بعدُ مدرِّسا فيها[٢].

وأما جَدُّه الثالث السيد رشيد الدِّين شاه صاحبُ العلَم الثالث رحمه الله كان من المجاهدين، وله كتاب «الملفوظات» التي جمعها له أهل جماعته، والتي مِن أهم ما فيها تأكيده على مسألة تقديم الحديث على الفقه المبني على الرَّأي، وردُّه على التصوف، وأخرى من المسائل التي تدل على موافقته لمذهب أهل السنة والجماعة، وكان قد اشتهر بصاحب البَيْعة؛ لأنه كوَّن جماعةً للمجاهدين، وأخذ منهم البيعة على الجهاد وعلى بعض الأحكام الأخرى، وبأمر منه أسَّس ابنُه مدرسة دار الرشاد[٣].

وأما السيد فضلُ الله شاه الشهيد رحمه الله تعالى، فهو صاحب العلَم الثاني.[٤]

وأما السيد محمّد ياسِين شاه رحمه الله فهو أحدُ الدُّعاة وناصري السُّنة، وهو صاحب العَلم الأوّل الذي ورثه عن أبيه كعَلامة قِيادِيَّة، وقد سبقت الإشارة إلى أنه أوّلُ مَن قام بنفي المراسم والعادات غير الإسلامية في الأسرة الراشدية[٥].

وأما جده الأعلى الشيخ السيد محمد راشد شاه رحمه الله تعالى، صاحب «الملفوظات» التي جَمَعها أتباعُه، وفيها من المسائل ما تدُلّ على محبته للسُّنة وإحيائه لها في السِّند، بل هو أوَّلُ من أحيا سُنّية الرَّكْعتَين قبل صلاة المغرب وعَمِل بها[٦].

---

(١) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ ، ١٤).

(٢) انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٣-٤).

(٣) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ ، ١٣).

(٤) انظر: المرجع نفسه: (ص١١).

(٥) انظر: المرجع نفسه: (ص١٢).

(٦) انظر: المرجع نفسه: (ص١٣).

ومن أحفاده الشيخ نُصرت الله شاه الراشدي السندي حفظه الله تعالى، صاحبُ أدبٍ جَمّ وخُلق كريم، وهو الآن يَسكن في إقليم السِّنْد، ويتولى الإشراف على المركز الإسلامي للبحوث العلمية في مدينة كراتشي[1]، وفي نِيُوْ سَعيد آباد[2] يقوم بدوره كمدير للمكتبة الراشدية لجده التي تركها من خلفه ذُخرا للعِلْم وطلبته.

---

(١) كراتشي: هي المركز المالي والتجاري لباكستان، وهي ميناء مهم في المنطقة، تقع المدينة على ساحل بحر العرب، شمال غرب دلتا نهر السند، وهي نواة العمل الإقليمي والنشاطات التقنية، ولها النسبة الأعلى من المتعلمين في البلاد؛ تعتبر كراتشي المدينة الأكثر سكاناً في باكستان حيث يقارب عدد سكانها أربع عشرة مليون نسمة. انظر: الموقع الإلكتروني بعنوان: كراتشي، ويكيبيديا، تم نشرها في ٢٠١٤/٦/١٠م، وتم النقل منها في ١٤٣٥/١٢/٦هـ، http://ar.wikipedia.org/wiki/كراتشي.

(٢) نيو سعيد آباد (سعيد آباد الجديدة) مدينة تقع في مديرية حيدر آباد، قريباً من قرية بِيْر جَهَنْدَاَ في إقليم السِّند، تبعد عن مدينة كراتشي مئتين كلومتر تقريباً.

المطلب الثالث

نَشْــــــأتُـــــه

وُلِد الشيخُ السِّندي بقَرية ''پير جهنڈا (بِير جَهْندا)'' في إقليم السِّنْد، كما سبقَ بيان ذلك، ثم خرج والده السَّيِّد الشريف إحسان الله مهاجراً من قرية بير جَهْنْدَا، وأسَّسَ قريةً جديدة، أنشأ فيها مدرسةً على أنقاض المدرسة التي كانت في القرية التي تركها، فالتحق بها الشيخ للدراسة في المرحلة الإبتدائية، وأخذ العِلم هنالك من بعض العلماء، فنشأ منذ الطفولة نشأة صالحة، بعيداً كل البعد عن الملاهي الدنيوية.

وقد تمكن من تعلُّم كثير من العلوم النافعة وهو صغير، ولقد كان أجداده من قبلُ بدءاً من جده الأعلى السيد محمد راشد شاه إلى والده السيد إحسان الله شاه كلُّهم من دعاة التوحيد والسُّنة[1]، وأهلِ الصلاح وطالبي الفَلاح، وأولي العزائم والهِمَم، ومعلوم ما لصلاح الآباء من آثار طيبة على الأولاد، فإنَّ الرَّجُل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة [2]؛ قال الله عزوجل: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (حُفظَا بصَلاحِ أبيهما، و لم يُذكَر لهما صلاح)[4].

فكذلكم نشأة الشيخ بديع الدين عليها تأثير كبير من جهة آبائه وأجداده، فَلَنِعْمَ الخَلَف لِنعمَ السَّلَف، رحمهم الله تعالى أجمعين.

---

(١) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٥/١٨٧-١٨٨).

(٣) سورة الكهف: (٨٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٥/١٨٧).

المطلب الرابع
وَفَاتُـــهُ رَحِمَـــهُ اللـــهُ

إنَّ مِن أعظم ما يَطرَأُ على الأُمّة الإسلامية من المصائب والآلام وفاةُ عالم من من الأعلام؛ حيث يُرفع العِلم بقبضه؛ فإن الله لا يَقبِض العلم انتزاعاً من أيدي الناس وصدورهم، ولكن يَقبِضه بقَبْض العلماء، وإن عالِماً كمثل عالِمنا الجليل الشيخ أبي محمد بديع الدين السندي رحمه الله تعالى لكانت سانحةُ وفاته من أعظم المصائب وأجلها على الأمة الإسلامية، وخاصة على أهالي أرض السِّنْد، حيث بقيت مرهونة بإحسان الشيخ رحمه الله بعد فضل الله تعالى، وبَقِيتْ على عاتقِ أهلِها أمانةٌ عظيمة وَضَعها على عواتقهم الشيخ حين قُبض، ألا وهي تبليغ ما تعلَّموه مِن الدِّين منه، ونشر مذهب أهل الحديث القائم على الكتاب والسُّنة على منهج سلف الأمة.

توفي الشيخ رحمه الله تعالى وأدخله فسيح جِنَانه بعد حياة حافلة بالعطاء العِلمي، وبذلِ جُهد مشكور في سبيل نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، ورفع راية الكتاب والسنة، في يوم السابع عشر من شهر شعبان عام ستة عشر وأربع مئة وألف من الهجرة (١٤١٦/٨/١٧هـــ)، الموافق اليوم الثامن من الشهر الأول من عام ست وتسعين وتسع مئة بعد الألف من الميلاد (١٩٩٦/٠١/٨م)، بعد صلاة العشاء، في منطقة موسى لين(١)، في مدينة كراتشي، فإنا لله وإنا إليه رجعون.

وفي اليوم التالي، اليوم التاسع صُلي عليه صلاة الجنازة، في منطقة آزاد بير جهندو، بنيو سعيد آباد، في مسجدٍ جامعٍ اسمه: المسجد الفردوس، وبعد صلاة الجنازة ذُهب به

(١) موسى لَيْنْ: حيٌّ من أحياء مدينة كراتْشي، بالسِّنْد، ولم أجد في المعاجم تعريفا لها.

إلى مثواه إلى يوم القيامة في مقبرة بقرية بير جهندا، ودُفن مع والده الفاضل الشيخ السيد الشريف إحسان الله شاه، وبجوار أخيه الأكبر الشيخ مُحِبّ الله شاه، رحمهم الله تعالى وغفر لهم أجمعين.(١)

وبوفاته تجد شمس السِّنْد وكأنها أظلمت على أهلها وتكوَّرت، فإنه حقًّا لقد كانت وفاته خُسراناً عظيماً لأهالي السِّند، بل لعالَمِ الإسلام كلِّه، وإنْ كان العلماء لم يكن في عددهم قِلة، لكنْ قد اغترب أولئك العلماء الذين هم مع كونهم علماء متقون زاهدون، لا يخافون لومة لائم في قولهم الحق، قلوبهم وأذهانهم مشربة بالتوحيد والسنة، وهم مع ذلك ذوو حِكمة وحِنكة وبصيرة، وإنَّ الشيخ شاه رحمه الله تعالى من المحسوبين من أولئك الفضلاء، والله حسيبه، نسأل الله أنْ يُكْرِمه بدار الكرماء.(٢)

---

(١) انظر: عنوان ''حياة العلامة السيد بديع الدين شاه الراشدي وخدماته، رحمة الله عليه'': لنصرت الله شاه الراشدي، أوَّلَ كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (الصفحة: غ) ؛ وانظر: مقدمة محمد عبد الهادي العمري على كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦) ؛ وتذكير الناهين بِسَيْر أسلافهم حُفّاظ الحديث السّابقين واللاحِقين: لربيع بن هادي المدخلي: (ص٣٦٠).

(٢) انظر: مقدمة محمد العمري على كتاب رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦).

المبحث الثاني
حَيَـــاتُــهُ الْعِــلْمِـــيَّةُ

وتحته اثنا عشرَ مَطلباً

المطلب الأول

تَلَقِّــيهِ الْعِــــلْمَ

أوَّل مدرسة للانسان بعد حِضن الأم أسرتُه، ومعلوم ما لأسرة الشيخ السِّندي من مكانة علمية، وفضلٍ في باب العلم والتربية، كما مرَّ بيان هذا الأمر، ولذلك كانت بدايات تلقيه العلم من داخل بيتِه وأُسرته، وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ اهتمام والده الشيخ إحسان الله شاه الراشدي به فيما يتعلق بتعليمه -ولاسيما العلوم الشرعية- كان في أعلى الغايات وأجَلِّ المقصودات لديه، ولذلك كان الشيخ قبلَ أنْ يَجلِسَ على رُكبتيه أمام مشايخه قد تعلَّم بعضَ الكُتب العربية والفارسية من والده المجيد[1].

كما تعلَّمَ منه أيضاً بعضاً من السُّنَن النبوية في صِغَره، ككيفية صلاة الوتر، ورفع اليَدين في الصلاة، وأحبَّ علوم العقيدة والحديث، وبها تميز إلى آخر عُمره، متأثراً بوالده الذي كان له اهتمام كبير بمسائل التوحيد والسُّنة، ولا أدلَّ على ذلك من كُتبه ورسائله التي خلفها من بعده[2].

ولم يدرس الشيخ في المدارس العلمية الرسمية[3]، بل التحق بالمدرسة الموروثة من أجداده ''مدرسة دار الرشاد'' فاستفاضَ واستفاد من أساتذها وعُلمائها[4]، وتَعلَّم قراءةَ القرآن إلى آخرِه في سَنة، ثم دَرَس الكُتب النِّصَابية باللُّغة السِّنْدية في سَنَتَين، وكذلك

(١) انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري المطبوعة أوّلَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٣).

(٢) انظر: كتاب رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٤).

(٣) انظر: ''مقدمة'' إرشاد الحق الأثري على كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (١٧/٢).

(٤) انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢١/٢).

الكُتب الفارسية في أقلَّ مِن سَنتين، ثم رفع قدمَه الأخرى لِتعلُّم العلوم العَربية، وأكملَ دراسةَ كتبِها النِّصابية في سِتَّة من السنوات[١].

أول الأمر كان الشيخ يختار الكتب لقراءتها على مشورة من والده، لكنه لما توفي رحمه الله بدأ يختار بعضاً منها على ذوقه، وأخرى بعد استشارة من أساتذته، فقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم، وبعض التفاسير، وكُتبِ الحديثِ وأصولِه، والفِقْهِ وأصولِه، والنَّحوِ والصَّرْف، وكُتبِ الأدبِ وعلمِ العقائد[٢].

ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ غالبَ مشايخه وأساتذته كانوا من الحنفية في مذهبهم، ولا سيما المدرِّسين منهم في مدرسة الأسرة الراشدية "دار الرشاد"[٣] التي منها تخرَّج الشيخ، وأكمل دراستَه النِّظَاميةَ فيها[٤]، وهذا هو سِرُّ تعمُّق الشيخ في المذهب الحنفي ومعرفته عنه، كما يتضح هذا جلياً لمن طالع كتبَه، إلا أنَّ بعضهم كان قد تأثر بمذهب أهل الحديث المنتشِرِ في دِيار السِّنْد، مما خَفَّفَ عليهم حِدّة التعصُّب المذهبي، فكان لأمثال هؤلاء تأثير كبير على الشيخ في تعليمه والتمسُّك بالسُّنة، ونبذه التعصب وعدم التقيُّد بمذهب من المذاهب لِتقليده[٥].

وأما بعضهم الآخر فقد كانت عصبيته لمذهبه قد بلغتْ ذِروتَها، حتى أدَّاه ذلك إلى أنْ حاوَل مَنْعَ الشيخ بديع الدِّين مِن دراسة كتب الحديث، وكُلَّما مَرّ بحديث يخالف

---

(١) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع نفسه: (ص١٦).

(٤) انظر: المرجع نفسه: (ص١٥).

(٥) انظر: المرجع نفسه: (ص١٦).

مذهبه الحنفي قام ليؤوِّل فيه وحوَّله عن المراد والمقصود منه ليكون مواطئاً وموافقاً لمذهبه..![1]، لكن الشيخ بديعَ الدِّين رحمه الله تعالى ثَبَت، ولم يتأثر من هذا الموقف سلبياً، وإنما ازداد بسببه رسوخاً في العلم، ومَيلاً في دراسة الحديث وعلومه، لِما كان قد تقرَّر لديه أنه لا حجة في شيء بعد الوحيين المنزَّلين: الكتاب والسنة.

يقول الشيخ في بيان ذلك بعد أنْ بَيَّن تعصُّبَ بعضِ شيوخه ومحاولتَهُ مَنْعَه مِن دراسة علم الحديث: (... لكن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ كانت مشيئة الله في حق دراستي علمَ الحديث، فتأويلاتُه في الأحاديث، ومحاضراتُه وكَلِماتُه المتكرّرة في تأييد الحنفية صارت لي امتحاناً عظيماً؛ هذه العقيدة قد كنتُ أَرْسَختُها في قلْبي: أنه لا حُجة في كلام أحد ولا دليل سوى القرآن والحديث، وأنَّ كلَّ قولٍ وفِعلٍ مُعارِضٍ للوحي الإلهي فهو مَردود؛ وإلا فإنه كان من الممكن أن يؤثِّر عليّ الشيخ المحترَم.

أحسَسْتُ ضرورة مطالعة كتب الحديث بسببِ أمرَين متضادين: رسوخٍ في العقيدة، وفي جانب آخر محاولات الشيخ المحترَم؛ فمع قلة البضاعة في الحديث واصلتُ في مطالعة كتب الحديث المشهورة والمتداولة لِدَرْك بعض المسائل المهمَّة ... وكُلّما ازدادتْ معلوماتي بسبب المطالعة كلما انكسرَتْ شوكة الشيخ المحترم ...) إلى أن قال رحمه الله: (فالمقصود أنه أتممت دراستي في عهد هؤلاء الأساتذة)[2].

وقد وَفَّق الله تبارك وتعالى الشيخ لِطلب العِلْم، فمع أنه لم يذهب قط للمدارس الرَّسمية التي تُدرَس فيها شتى العُلوم باللُّغة الأُردية، ولم تك هذه اللغةُ لغةَ الأُمّ لديه، كان فصيحاً بليغاً في أُرديته، خطيباً مفوَّهاً بها، كما تَدُل على ذلك خُطَبُه ومحاضراته الأردية المسجَّلة في الأشرطة المتداولة في أيدي الناس، وكُتبه ومصنَّفاته التي صنَّفها بالأردو، حيثُ

---

(١) هذا الشيخ هو محمد خليل بن محمد سليم لُدهيانوي، من منطقة خير بور بالسند، ولم أقف على مزيد من ترجمته. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦).

(٢) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦-١٧).

إذا تكلَّم بها أوكَتَب أفصحَ وأبْلَغ، بلْ وزَيَّن كلامه بالأشعار والأدَب، بعد تزيينه بكلام الله جلَّ جلاله، وأحاديث رسوله الأمين، عليه أفضل الصلاة والتسليم[1].

ومع ذلك كان الشيخُ -رفع الله قدره ومقامه- كثيرَ القراءة الذاتية، وكثير المطالعة لكتب السلف الصالح، الأوائل منهم والمتأخرين، في جميع العلوم الإسلامية، وخاصة ما كان منها يتعلق بالعقيدة الإسلامية، فواصَل في التعلُّم والمطالَعة والنَّظَر، حتى تمكَّن مِن شتى أصناف العلوم وتَبحَّر، ولاسيما علوم القرآن وعلوم الحديث، فبنظر الاجتهاد فيها تَبَصَّر، ولذا تراه كلَّما ذكر مسألة من مسائل الأحكام والفقه أورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مستدلاً بها لِما ذكره من المسائل والأحكام، فبنور الوحيين تنوَّر ونوَّر، فيا نورَ السموات والأرض نوِّرْ قبرَه بنور الإيمان، وأدخله برحمتك الجِنان.

---

(١) انظر: ''مقدمة'' إرشاد الحق الأثري على كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين: (١٧/٢).

المطلب الثاني
شُـــــيُوْخُـــــــــهُ

تقدَّمَتْ الإشارة إلى أنَّ الأوائل من شيوخ الشيخ السندي رحمه الله هم أساتذته الذين درس على أيديهم في مدرسة ''دار الرشاد''، وأنَّ أغلبهم كانوا مِن الأحناف المتعصِّبة سوى نفر قليل كانوا يميلون شيئاً إلى الاتباع دون التقليد، وله مِن دونهم مشائخ آخرون.

كما سبق أن الشيخ السندي كان كثير المطالعة الذاتية، وأنه كان يُكثِر من قراءة الكتب التي يراها أنسبَ لطلبه العلم، وأخرى كان يستشير عنها مشايخه.

وقد ذكر مترجموا الشيخ بديع الدِّين السِّنْدي رحمه الله تعالى أسماء عدَدٍ من شيوخه الذين تَتلمذَ على أيديهم؛ ومن أشهرهم:

١. والده الشيخ السيد إحسان الله شاه الراشدي، رحمه الله تعالى:

فقد تقدم أن الشيخ بديع الدِّين تعلَّم بادئ ذي البَدْء عند والده، حيث تعلّم منه أساسيات الدِّين في صِغره.

٢. السيد أبو الرّوح محب الله شاه الرَّاشدي، رحمه الله: وهو أخوه الأكبر.

٣. والشيخ عُبيد الله الحَنَفي السِّنْدي[1]، رحمه الله، درس عليه تفسير بعض السُّور

---

(١) هو عبيد الله الحنفي السندي، أحد العلماء المشهورين، ولد في بيت من بيوت الوثنيين في تاسع محرّم سنة تسع وثمانين ومئتين وألف في بلدة سيالكوت، وقرأ عن الإسلام، فهاجر إلى أرض السند سنة أربع وثلاث مئة وألف، وأسلم، وبايع على الطريقة القادرية، ودَرَس على يد العلماء الديوبنديين، ثم ولي التدريس في مدرسة دار الرشاد بالسِّند، وأسَّسَ جمعية مؤتمر الأنصار بديوبند، ووافاه الأجل في الثالث من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاث مئة وألف، ودُفن في قرية دينبور. انظر: نزهة الخواطِر: للشريف الحُسيني: (٨/١٣٠٠-١٣٠٣).

لجزء ''عَمَّ''، وشيئا من فن أسماء الرجال في آخر حياته.[1]

٤. وكذلك الشيخ الإمام العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمْرَتْسَرِي، رحمه الله.

٥. والشيخ الحافظ عبد الله بن رُوشَنْ دِيْن الرُّوبْرِيْ[2] رحمه الله، وأخذ الإجازة منه.[3]

وغيرهم كثير من علماء ومدرِّسي بلاد السِّنْد والهِنْد.[4]

---

(١) انظر: نقض قواعد في علوم الحديث: لبديع الدين السندي: (ص٥٥).

(٢) هو الشيخ عبد الله بن رُوشَنْ دين الروبري؛ وُلد سنة أربع وثلاث مائة وألف للهجرة في لاهور، استشهدت أربعة من بناته وابنه حامد على أيدي السِّيخ؛ وقد حفظ الشيخ القرآن في مدرسة الغزنوية، وتتلمذ فيها على معصوم علي، ومحيي الدين، وفيها تفقه؛ وبدأ تدريسه في مدينة رامْبُور في المدرسة العالية، وأنشأ مدرسة دار الحديث في روبر؛ من أشهر تلامذته بديع الدين شاه الراشدي، وأحمد الدهلوي مؤسس دار الحديث بالمدينة النبوية؛ ومن تصانيفه الكثيرة: «كلمة التوحيد»، و«تعريف أهل الحديث»؛ توفي سنة أربع وثمانين وثلاث مائة وألف. انظر ترجمته في: فتاوى اهلِ حديث (فتاوى أهل الحديث) أردو: لعبد الله بن روشن دين الروبري: (١/١١-٢٢).

(٣) انظر: نقض قواعد في علوم الحديث: لبديع الدين السندي: (ص٥٥).

(٤) من مشايخه أيضاً: الشيخ محمد المدني، والشيخ أبو إسحاق نيك محمد، والشيخ محمد إسماعيل بن عبد الخالق أفغان السندي، والشيخ ولي محمد بن محمد عامر قوم كيرية، والشيخ حافظ محمد أمين، والشيخ شفيع محمد سكرندي، والشيخ عبد الكريم، والشيخ محمد سلطان كوريجة، والشيخ محمد نور عيسى خيلي، والشيخ عبد الرحمن رامبوري، والشيخ قطب الدين هاليجوي، والشيخ بهاء الدين جلال آبادي، والشيخ محمد أيوب من أفغانستان، والشيخ محمد أحمد لُدهيانوي، والشيخ محمد عمر بن شيخ بن عبد الغني كدهري، والشيخ أبو محمد عبد الحق البهاولبوري، وغيرهم رحمهم الله أجمعين. انظر في معرفة شيوخه: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٥) ؛ و''ترجمة المؤلف'' أوَّلَ كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (صفحة: س)؛

= ورموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦) ؛ والإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد عبد الله المنيس.

المطلب الثالث

مَكَانَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ، وثَنَاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ

كانت للشيخ رحمه الله تعالى مكانة علمية مرموقة بينَ أوساطِ أهل العلم، وجلالةٌ بين طلبته، وذلك لتمكُّنِه في العلوم الشرعية وتبحُّرِه فيها، وقيامِه بخدمة مذهب أهل السنة والجماعة، ودفاعه عنهم، ووقوفه في نحر أعدائهم والرد عليهم ودحض أباطيلهم، وسأذكرُ فيما يلي مِن النُّقَاط بعض ما يجلي مكانته ويُبيِّن جَلالته وفَضله:

- فمن مكانته العلمية أنه لما جاء الممْلكةَ العربية السعودية -حرسَها الله تعالى مِن كلِّ سوء- عيَّنهُ فضيلة الشيخ عبد الله ابن حُميد رحمه الله[١] رئيسُ مجلس القضاء الأعلى بالمملكة مدرِّساً بمعهد الحرَم المكِّي، وقد بقي بالمعهد على مَنصّة التدريس سَنتَين.[٢]

- ويقول الشيخ أبو عمر محمد سليم حفظه الله[٣]، عن الشيخ السِّندي وآثار جهوده في الدعوة إلى الله تعالى في المناطق النائية من السِّنْد: (تضاعفت أعداد كبيرة في

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن حميد، من آل حسين بن عثمان، وُلد عام تسع وعشرين وثلاث مائة وألف، كان كفيف البصر، عينه الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله رئيسا لمجلس القضاء؛ من مشايخه محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وآخرون؛ توفي عام اثنين وأربع مائة وألف للهجرة. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: لعبد الله آل بسام: (٤/٤٣١) والإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد المنيس: (٣٢٠-٣٢١).

(٢) انظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: لبديع الدين السندي: (ص٤).

(٣) هو الشيخ أبو عمر محمد سليم، المدرس بالمعهد السلفي للتعليم والتربية، بمدينة كراتشي، تحت رئاسة الشيخ عبد الله ناصر الرحماني رئيس جمعية أهل الحديث بالسند، ولي معه بعض المجالسات لمذاكرة العِلم.

جماعة أهل الحديث بسبب سَعْيه الجميل، ولازال الأمر كذلك إلى اليوم)[1].

– ويقول عنه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي[2] حفظه الله تعالى: (إني قد عرفت الشيخ بديعاً رحمه الله بذكائه المتوقدة، وقوة حافظته، واستحضاره لنصوص الكتاب والسُّنة، وجالستُه مِراراً وتِكراراً في مكة والمدينة، وفي المسجد الحرام وغيره، وذاكرته في عدد من المسائل ...)[3].

– وجاء وصفه في كتاب «مُعجَم المعاجِم»: (أنه الشيخ العلامة، المحدِّث، الفَقيه الفَهَّامة، مُفيد الطَّلَبة، عالي الرُّتْبة)[4].

---

(١) انظر مقدمة الشيخ محمد سليم على كتاب: عيد ميلاد النبي ﷺ كى شرعى حيثيت (الحكم الشرعي لعيد ميلاد النبي ﷺ) أردو: لبديع الدِّين السندي: (ص٥).

(٢) هو الشيخ ربيع بن هادي بن محمد عُمير المَدْخَلي، مِن قبيلة المَدَاخِلة، وُلِد بقرية الجرادية غربي مدينة صامِطة سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة وألف؛ من أشهَرِ شيوخه الشيخ ابن باز، والشيخ حافظ بن أحمد الحكَمي، والشيخ الألباني، وغيرهم؛ تخرَّج من الجامعة الإسلامية بالمدينة، وترأَّس قِسم السُّنة بالدراسات العُليا فيها مراراً، وصار على مرتبة أستاذ كرسي؛ مِن مؤلَّفاته: «بين الإمامين مسلم والدارقطني» (رسالة ماجستير)، و«النكت على كتاب ابن الصلاح» (رسالة دكتوراة). انظر: الموقع الرَّسمي للشيخ ربيع بن هادي المدخلي بعنوان: ترجمة موجزة للشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي، تم نشرها في ٢٠١٤م، وتم النقل منها في تأريخ: ١٤٣٤/٠٩/٢٥هـ، (http://www.rabee.net/ar/sharticles.php?cat=١٠&id=٥٥).

(٣) تذكير الناهين بِسَيْر أسلافهم حُفَّاظ الحديث السابقين واللاحقين: لربيع بن هادي المدخلي: (ص٣٥٧ ، ٣٦٠).

(٤) معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات: ليوسف المرعشلي: (٩٦/٣).

- ويُبيِّن الشيخ محمد العمري[١] أنه لما انعقدَ مؤتمر عِلمي في مدينة بِرْمِنْغَهم[٢]، وحضر الشيخ السندي القاعة، قام له الشيخ الدكتور إمامُ الكعبة صالح بن حميد حفظه الله تعالى، وجعل له مكاناً بجواره، وذهب يقول: (ما أنا أمام هذا العلامة؟!)[٣] يَقصِد: لستُ بشيءٍ في العِلم أمام عِلم هذا العلامة.

- ولك أن تعرف مقدار علميّتِهِ وشأنَه في أوساطِ أهل العلم وشُهرته فيهم بأنه قد عُيِّن مِن جهة كبار علماء البلد رئيساً للمؤتمر العِلمي لأهل الحديث، الذي تم انعقاده في منطقة بتالة[٤] عام خمس وأربعين وتسع مائة وألف للميلاد بحضرة من العلماء الأجلاء؛

---

(١) هوالشيخ محمد عبد الهادي العمري، أحد تلامذة الشيخ السندي وأقربهم إليه، ولم أقف على مزيد من ترجمته. انظر مقدمته على كتاب رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص ٨).

(٢) بِرْمِنْغهم، أو: بِرْمنكهام، أوبِرمنجهام..الخ والنطق الإنجليزي هو: بِرْمِنْغَم، بدون الهاء والألف؛ هي ثاني مدن المملكة المتحدة سُكّاناً ومكانة، تقع في غرب الوسط (إنجلترا). انظر الموقع الإلكتروني بعنوان: برمنغهام (إنجلترا)، تم نشرها في ٢٠١٤/٨/١٦م، وتم النقل منها في تأريخ ١٤٣٥/١٢/٤هـــ، http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٣) انظر: مقدمة محمد العمري على كتاب رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨).

(٤) بتالة، أو بتيالا؛ مدينة من مدن بنجاب الهند، اكتشفت عام أربع وخمسين وسبع مائة وألف للميلاد على يد جورو بهادُر جي، تقع حول قلعة مبارك، وهي معقل المؤتمر الوطني الهندي. انظر الموقع الإلكتروني الإنجليزي بعنوان: بتيالا، تم نشرها ٢٠١٤/٩/٢٨م، وتم النقل منها في تاريخ ١٤٣٥/١٢/٤هـــ، http://en.wikipedia.org/wiki/Patiala.

كأمثال الشيخ المحدِّث ثناء الله الأمرتسري وغيره، والأغرب من ذلك وأعجب أنَّ عُمرَ الشيخ شاه السندي حينذاك تسع عشرة سنة تقريباً.[1]

وخلاصة المرام أنه: إذا كان يشهد تاريخ باكستان والهند على ظهور الشيخ ثناء الله الأمرتسري قامعاً رأسَ القاديانية في موضع، فهُناك في موضعٍ آخر يتجلَّى العَلامة إحسان إلهي ظَهير قاطعاً للرفض والبهائية[2]، وأمَّا إنْ تحدَّثتَ عن التوحيد وبيان الشرك، والسُّنّة ورَدِّ البِدْعة، والدّليل والتأويل والمناظَرَة رأيتَ فيها مستوياً على مَسند الإمامةِ: العلامةَ الشيخ بديعَ الدين شاه الراشدي، رحمهم الله تعالى أجمعين.[3]

---

(١) انظر مقدمة عبد الله ناصر رحماني على كتاب: خطباتِ راشديه (الخطبات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (١/ز).

(٢) البهائية نسبة إلى مؤسس الديانة البهائية حسين علي النوري؛ أسسها عام سبع وستين وثمان مائة وألف للميلاد، وسمّى نفسه بهاء الله؛ وادعى النبوة والرسالة ثم الألوهية، وادّعى نسخ الشرائع والأديان السابقة، حدد لدينه عمراً مدته ألف سنة؛ ويتمحور الدين البهائي حول مسألتين رئيسيتين: توحيد الأديان وإقامة الحكومة العالمية؛ وأما ما سواهما من دعاويهم فلا يعدو أن يكون وسيلة للتمويه والتضليل؛ توفي المؤسس عام تسع وثلاث مائة وألف للهجرة في فلسطين. انظر: البهائية والنظام العالمي الجديد: لأحمد وليد سراج الدين: (١/٣٦-٣٩ ؛ ٢/٩).

(٣) مقتبس بتصرف يسير من تقريظ مسعود أحمد السندي على كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (صفحة: ر).

المطلب الرابع

قِيَامُهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيْثِ

إنَّ مَذْهب أهلِ الحديث هو المذهب الحق، لكونه ينبع عن الكتاب والسنة، على مذهب سلف الأمة، وهو الموسوم بمذهب أهل السنة والجماعة، الذي ينبغي أن يختاره كل أحد، وأن يُنْبَذ التعصب سواء كان للأحزاب والفِرَق، أوالشيوخ والعلماء.

وقد كان الشيخ السندي -رحمه الرحيم وأدخله جنة النعيم- مِن حَمَلَة عَلَم الدعوة السلَفية، وناصرها بكل قواه العِلمية، المبنية على كتابِ ربِّ البَرِيّة والمِشكاة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، فكان انتماء الشيخ لمذهب أهل السنة والجماعة مذهب أهل الحديث، وإليه كانت دعوته، (فقد نَظَّم الشيخ جماعةَ أهل الحديث وأحياها من جديد، التي طالما وقعت فريسة المصالح الخاصة الذاتية، ونوَّرَ أهلَ السَّنْد بالعِلم الحقيقي النابع عن الكتاب والسنة، وحرَّرهم عن سلاسلِ عقائدِ الآباء والأجداد الفاسدة، والتقليد الشخصي، والفِرَق الباطلة، وأرشدهم إلى وَصْل التعلق بالله وبرسوله ﷺ ... فكان زهرةً مِن بُستانِ أهل الحديث التي يتعطر منها إلى اليومَ ميادينُ العِلم والأدب والمذهب والسِّياسة)[(١)].

وكان الشيخ رجلاً متفانياً في سَبيل الدعوة، يُقدِّم مصالحَها على مصالحه الخاصّة، ويَترُك كثيراً مِن حُظوظه لأجل شؤون الدعوة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الشيخ محمد العمري مِن وقائع صبره وتحمله ما قد حصل له وهو في مركز جمعية أهل الحديث[(٢)]، حيث أنه قبل وفاته بسنتين حَضَر للمشاركة في مؤتمر علمي بعنوان ''مؤتمر الدعوة الإسلامية'' تحت رعاية جمعية أهل الحديث، وفي يوم

---

(١) انظر تقريظ عبد الرحمن ميمن على كتاب: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤-٥).

(٢) وذلك في مدينة بِرْمِنكهم.

العَودة مِن هناك جاءه اتصال هاتفي من باكستان وأُخبر الشيخ عن خبر غير سار، فوضع سماعة الهاتف وبدأ يردد كلمة: اللهم فضلَك.. اللهم خيرَك.. وبدأتْ تبدو من وجهه آثار مصيبةٍ طرأتْ عليه، فقَلق طلابه لذلك، وسُئل عن الاتصال، فلم يَرُد شيئاً إلا كلمته الأولى: اللهم خيرَك.. وبعد قليل كان موعده للحضور في مؤتمر كان قد حضر فيه إمام الكعبة، فوصل الشيخ هنالك، وانشغل في البحث والكلام عن أمور تَهُم الدعوة مع فضيلة ذلك الإمام، إلا أنّ العلامات على وجهه تشير إلى أمر لا يُطْمأن له..!! وبعد قليل حسب البرنامج المسبق خرج من هناك إلى المطار، فجاءه الاتصال من باكستان مرة أخرى، وعندما سُئِل عنه أَخبَر أنه قد توفيت زوجته، ويُسأل عنه عن أداء جنازتها وما يتبع ذلك، فقيل له: أكان لديك عِلم بذلك الخبر منذ الاتصال الأول؟ فأجاب بأن نعم..!!

فالله الله! على صبره وعزيمته.. لقد سمعنا كثيراً وقرأنا عن صبر السلف وعزائمهم، لكنْ قَلَّ ما نشاهد مظاهرها أمام أعيننا، وإلا فالصبر عند كثير من الناس يكون بعد التعب من الصياح والنياح، وأما الصبر هكذا فإنه لا شك من شأن أهل العزائم(١).

وكذلك من جهوده في خِدمة مذهب أهلِ الحديث: مشاركاتُه في المؤتمرات العلمية في شتى المواضيع، ومن أهم تلك المؤتمرات التي شارك فيها الشيخ:

١- اسلامى دعوت كانفرنس (مؤتمر الدعوة الإسلامية) المقام بمنطقة برمنكهم تحت رعاية جمعية أهل الحديث، قبل وفاة الشيخ بسنتين تقريباً.(٢)

٢- المؤتمر العلمي لأهل الحديث المنعقد في منطقة بتالة عام خمس وأربعين وتسع مائة وألف للمِيلاد، وقد كُلّف رئاسته من جهة بعض كبار العلماء وبحضرهم، وعمر

---

(١) انظر مقدمة محمد العمري على كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩).

(٢) انظر: المَرجعِ نفسه.

الشيخ شاه حينذاك تسعة عشر سنة تقريباً، وهذا المجلس هو الذي فيه قال الشيخ ثناء الله الأمرتسري عن الشيخ بديع الدين السندي رحمهما الله تعالى: (إني أخاطب اليوم مؤتمراً يقوده عالِمٌ شابٌّ هو إمام في فن الرجال والجرح والتعديل)[1].

وهذا يدلك على اهتمام الشيخ بالدعوة ونشاطه فيها منذ صغره.

إلى غير ذلك من المشاركات العلمية والأنشطة الدعوية في خدماته لمذهب أهل الحديث المبني على الكتاب والسُّنّة على منهج سلف هذه الأمّة.

---

(١) انظر مقدمة عبد الله ناصر رحماني على كتاب: خطباتِ راشديه (الخطبات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (١/ز).

المطلب الخامس

اهتِمَامُه بِالدَّعْوَةِ إِلى التَّوْحِيْدِ وَالتَّحْذِيْرِ مِنَ الشِّرْكِ

إنَّ الاهتِمام بالتوحيد والدّعوة إليه وبدءُها به مَنهجُ كلِّ مُسلم، والاجتناب من الشرك والتحذير عنه أساسُ صفةِ كلِّ مؤمِن، إذْ أوّل دعوة الرسل كلِّهم -صلوات الله وسلامه عليهم- كلمةُ التوحيد، وهي كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، المشتملةُ على النّفي والإثبات، نفيِ العبادة عن كلِّ ما سوى الله، وإثباتها بجميع أفرادها لله الأحد الفرد الصمد.

وهذا المسلك في الدعوة هو الذي سَلَكه الشيخُ السندي رحمه الله تعالى اتباعاً لِما جاء به الرُّسُل الكِرام، وتَبَعاً لأجداده الفضلاء الذين كانوا دعاةَ التوحيد والسُّنّة، وأمضوا حياتهم فيها[1]، إذ العلماء ورثة الأنبياء في العلم، وأعظم العلوم على الإطلاق علم التوحيد، فهو أجَلُّ ما يورث عن الأنبياء.

وبناء عليه اعتبَرَ الشيخ التوحيدَ أساسَ الإسلام وأوَّلَه، وجعل مدار جميع الحسنات عليه، فيقول الشيخ في كتابه «توحيدِ ربَّانِ (التوحيد الرَّبَّاني)»:

(التوحيدُ مسألةٌ أساسِيَّة وأوَّلِية في الإسلام، وأصل كل حسنة، وهذه هي رسالةُ الأنبياء كلِّهم عليهم السلام مِن الله تعالى، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[3]،

---

(١) انظر كتاب رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢).

(٢) سورة الأنبياء: (٢٥).

(٣) سورة النحل: (٣٦).

و ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1])[2].

فالتوحيد في نظر الشيخ السندي رأسُ كلِّ مسألة وأساسها، وهو أول دعوة الرُّسل عليهم السلام، ولأجلها أُرسلوا أجمعين، كما قال: (عبادة الله وحده ليست هي دعوة الرسول ﷺ فحَسْب، بل هي دعوة موسى وعيسى وجميع الأنبياء عليهم السلام)[3] وما دام هذه هي رسالة الأنبياء ودعوتهم فإنه -كما بَيَّن الشيخ- لا تُقبل دعوةٌ خالفتْ دعوتَهُم، يقول الشيخ السندي رحمه الله: (فعُلِم أنّ الدعوة الحقّة هي التي عَرضها النبي الكريم ﷺ ، وأية دعوة تخالفها فإنها لا تكون مقبولة)[4].

فتَبَيّن مِن هذا منهج الشيخ السندي في دعوته إلى الله، وهو أنه يجب أن تكون دعوة الداعي أول ما تكون إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الأحد، والتحذيرِ من الشرك وصرفِ العبادة لغيره جَلّ جلاله، وذلك اتباعاً لِطريقة الرُّسل عليهم السلام في دعوتهم.

ولذلك كانت جهود الشيخ العَمَلِية غالبُها مبذولةٌ في نشر التوحيد والاهتمام به، كما يتجلّى هذا في قيامه بتدريس طُلّابه كُتبَ العقيدة والتوحيد؛

فإنَّ مما قرأ عليه طلبته من ذلك كتابَيْ ''التوحيد''، و''الاعتصام بالسُّنَّة'' من «صحيح البخاري»[5]، كما أنك لا تكاد تجد مصنفاً مِن مُصنَّفات الشيخ إلا وفيه

---

(١) سورة الزمر: (٦٥).

(٢) انظر: توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٧-٢٨).

(٣) اتباعِ سنت (اتباعُ السنة) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢١).

(٤) المرجع نفسه: (ص١٦).

(٥) معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات: إعداد د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي: (٩٧/٣) ؛ وتذكير الناهين بِسَيْر أسلافهم حُفّاظ الحديث السابقين واللاحقين: لربيع بن هادي المدخلي: (ص٣٥٧ ، ٣٦٠) ؛ وانظر: الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد عبد الله المنيس: (ص٩٨).

مسائل في التوحيد والعقيدة، وإن كان موضوعه في أبواب أخرى فقهية، وهذا في جانب مصنَّفاته التي خصَّصَها الشيخ لبيان مسائل العقيدة والتوحيد.

وكما أنَّ الشيخ رحمه الله دعا الناس -وخاصة العلماءَ والدُّعاة منهم- إلى الامتثال بهذا المنهج النبوي في الدعوة بحياته العَملية وتطبيقاته الدعوية، فإنه كذلك كان يدعوهم إلى امتثاله بتحريراته العِلميّة، وقد خصّص الشيخ باباً كامِلاً في بيان ذلك في كتابه «التوحيد الرباني» بعنوان"لِيدعو الداعية والمبلِّغ إلى التوحيد قبل كل شيء"، يقول الشيخ فيه مبيناً أهمية هذا الأمر، مستدلاً على ذلك بفِعل الأنبياء عليهم السلام:

(لِيُعْلَم أن التوحيد أصل للأعمال الصالحة كلِّها، وفي مقابل ذلك فإنَّ الشِّرْك أصلُ كل شَرّ، ولذلك دعا الأنبياء قبلَ كلِّ شيء إلى التوحيد، وذَمّوا الشِّرك؛ فهذا رسول الله ﷺ ركّز عليه قبل كل شيء.

وقوم عاد غَصَبوا أملاك الناس وعقاراتهم وبنوا فيها عمائرهم طُغياناً، وقد وقع الناس بسبب ذلك في الأذى الشديد، ولكن نبيَّ الله سَيِّدَنا هُوداً عليه السلام دعاهم إلى التوحيد وحَذّرهم من الشِّرك قبلَ مَنْعهم عنِ الظُّلم، لأنَّ الباعث الحقيقي على الظُّلم والعُدوان هو الشِّرك، فالمشرك يرتكب أنواعاً من الظلم باتخاذه المعبودات التي هو صنعها، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾[1] ففي هذا السياق ذكّرهم النبي هودٌ عليه السلام بالله تعالى، وخَوَّفهم منه، وهذه هي الدعوة إلى التوحيد صَراحة، وقد بُيِّن هذا السياق في موضع آخر؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2] أيْ: أنه أعطى قومَه درس التوحيد قبلَ كلِّ شيء، ثم مَنَعهم من الظلم.

(١) سورة الشعراء: (١٢٣-١٣١).

(٢) سورة الأعراف: (٦٥).

وكذلك ثمود قوم صالح عليه السلام كانوا طُغاةً، حيث كانوا مُسَيْطرين على العُيون ومجامِع المياه، وما كانوا يتركون الفقراء ليشربوا منها أو يستفيدوا من مائها، بل استأثروا بها لأنفسهم، وهذا عُدوان عظيم وظُلم، ولكِن صالحاً عليه السلام دعا قومَه الظالمَ الجاهل قبلَ كلِّ شيءٍ إلى التوحيد.

وكذلك قومُ سيِّدِنا شعيب عليه السلام كانوا تُجّاراً، يغتصبون حقوق الناس بعدم إيفائهم الكَيْل والمِيزان، وكان من عادتهم أنهم يجلسون في الطُّرُقات والمَمَرَّات ويَظلِمون الناس ويُغْوُونهم، ومع ذلك دعاهم سَيِّدُنا شعيب عليه السلام باديءَ ذي البَدءِ إلى التوحيد.

وموسى عليه السلام وإن كانت جهودُه كلُّها في تحريرِ بني إسرائيل[١] المظلومين من جَبروت فرعون والقبط[٢]، إلا أنَّ الرّوح الحقيقي لدعوته هو التوحيد، ولذلك قال في قصر فرعون على ملأ: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣] و: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[٤]، ولما اتخذ السامري[٥] لبني إسرائيل عِجلاً[٦] لِيعبدوه واطَّلع على ذلك

(١) بنو إسرائيل: هم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم. و "إسرا": بمعنى عبد. و "إيل": هو الله عز وجل بالعبرانية. انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: لمكي القيرواني: (٢٤٧/١).

(٢) القبط: جيل بمصر، وقيل هم أهل مصر وبُنْكها، ورجل قبطيّ. انظر: لسان العرب: لابن منظور: باب القاف (٣٥١٤/٥).

(٣) سورة الشعراء: (٢٤-٢٨).

(٤) سورة طه: (٥٠).

(٥) السامري: هو الذي أضل اليهود في غيبة موسى عليه السلام باتخاذه عجلاً له خُوار، وقال لهم أن هذا إلهكم وإله موسى! وقد قصّ الله علينا قِصته في عدة سَوَر من القرآن، وتفصيلها في سورة طه: (الآيات: ٨٣-٩٨). وفي أوضح التفاسير لابن الخطيب (ص٣٨٣): هو موسى بن ظفر، كان منافقاً؛ وقد أضلّهم بدعوتهم إلى عبادة العجل.

(٦) العِجْل: ولدُ البقرة. لسان العرب: لابن منظور: باب العين (٢٨٢٣/٤).

موسى عليه السلام خاطبَهم بقوله: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨ ﴾[1].

وكذلك رسول الله ﷺ لما بعث سيّدَنا معاذَ بنَ جبل[2] رضي الله عنه إلى اليَمَن[3] داعِياً ومبلِّغاً عَلَّمه طريقة الدعوة والتبليغ قائلاً: ﴿ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَدوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾[4].

ففي هذا الحديث درسٌ أنه يجب في الدعوة والتبليغ أن يكون تعليم التوحيد ورَدّ الشرك قبلَ كلِّ شيء ...)[5].

---

(١) سورة طه: (٩٨).

(٢) هو معاذ بن جبل الأنصاري، ثم الخزرجي، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وتوفي وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، كان ابن مسعود يسميه: الأمة القانت؛ توفي النبي ﷺ وهو عامله على اليمن، مات في طاعون عمواس بالشام شهيداً في خلافة عمر؛ رضي الله تعالى عنه. انظر: معرفة الصحابة: لأبي نعيم: (٥/٢٤٣١-٢٤٣٩ برقم ٢٥٧٨).

(٣) اليَمَن: بالتحريك. قال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه: حدودها بين عمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب، إلى عدن، إلى الشحر، حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة؛ وقيل: حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها، إلى صنعاء وما قاربها، إلى حضرموت والشحر؛ والنسبة إليهم يمني ويمان، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب، فراجعاً إلى المغرب. انظر: معجم البلدان: للحموي: (٥/٤٤٧-٤٤٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/١١٤ برقم٧٣٧٢).

(٥) توحيدِ ربانِ (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٠-٩٥).

فتبين من تقرير الشيخ السابق أنَّ تعليم التوحيد والتحذير من الشرك له الأولوية في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنَّ التوحيد أصل كل مسألة، ورأس جميع الحسنات، والشِّرك أصل كل شر، وذريعة إليه، ولذلك على الدُّعاة أنْ يهتمّوا بهذا الأمر غاية الاهتمام.

كما تجلى مما سبق اهتمام الشيخ بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك قبلَ أيّ دعوة، فإنّ الشيخ -رحمة الله عليه- كان من هؤلاء العلماء الأعلام الذين بذلوا جهدهم وصرفوا حياتهم لنشر التوحيد والسنة، والرد على المذاهب الباطلة، والجهاد ضد العَقائد الفاسدة، حتّى صارَ نجماً يَلْمعُ على جَبين الأسرة الراشدية، الذي أضاء العالَمَ الإسلامي، وخاصة أهل السِّنْد، بتعليمات إلهية ونبوية، والمنهج الصحيح القويم، والعقيدة السليمة، حيث أنار في السِّند الشمْعَ التي حَبَّذا لو حَفِظها محبوه ومحبُّوا دعوةِ التوحيد، لِيبقي العالم الإسلامي مستفيداً ومستضيئاً من نورها إلى يوم القيامة.[1]

---

(١) انظر: تقريظ عبد الرحمن ميمن على كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣-٥).

المطلَب السادس
اهْتِمَامُهُ بِكُتُبِ السلَّفَ

اهتم الشيخ رحمه الله تعالى بكُتُب السلف غاية الاهتمام، قراءةً ومطالعةً ودراسةً وتحقيقاً، فمنها ما كان ضمن منهجه في المدرسة، ومنها ما كان يقتنيه بشوقه وذَوقه.[1]

أما الكُتُب التي كانت من مناهجه المدرسية، والتي درسها تتلمُذاً على أيدي مشايخه، فهي كثيرة، منها «تفسير الجلالين»، و«التفسير البيضاوي»، و«الأربعين النووية»، و«بلوغ المرام»، و«المشكاة»، والكتب السِّتّة، و«الموطّأ» للإمام مالك رحمه الله رواية الإمام محمد[2]، وبعضاً مِن «شَرح معاني الآثار» للطحاوي[3]، وغيرها كثير من الكُتُب التي اهتمَّ بها الشيخ في شتى المواضيع كالفقه وأصوله، والنحو والصَّرْف،

---

(١) انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩).

(٢) هو محمد بن الحَسَن ابن فرقد، أبو عبد الله الشيباني، صاحِبُ أبي حنيفة، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه سنتين، ثم عن القاضي أبي يوسف؛ قال ابن سعد: أصله جزري، سكن أبوه الشام، ثم وُلد له محمد سنة اثنتين وثلاثين ومئة، غلب عليه الرأي وسكن بغداد؛ صنّف «الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»، وغيرهما؛ توفي سنة تسع وثمانين ومئة بالريّ. انظر: سير أعلام النبلاء: للذّهبي: (١٣٤/٩-١٣٦) ؛ ووفيات الأعيان: لابن خلكان: (١٨٤/٤ برقم٥٦٧).

(٣) الطحاوي هو: أحمد بن محمد بن سَلَامة ابن سَلَمة الأزدي، أبو جعفر، والطحاوي نسبة إلى طَحَا قرية بصعيد مصر، الفقيه الحَنَفي، وهو ابن أخت المُزَني؛ تُوفِّيَ في مستَهلِّ ذي القعدة من عام واحد وعشرين وثلاث مائة للهجرة؛ وذكر أبو سعيد السَّمْعاني: أنه وُلد في سنة تسع وعشرين ومائتين؛ من مصنفاته: اختلاف العلماء، ومعاني الآثار، والتاريخ الكبير. انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (٧١/١٥-٧٣) ؛ ومعجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة: (٢٦٧/١).

والأدَب، والعَقيدة.[1]

وكان الشيخ -نضّر الله وَجْهه يوم القيامة- يحب منذ الصغر كُتُبَ الحديث ودراستها، فيذكر الشيخ أنه كان من مشايخه شيخ متعصب للفقه الحنفي[2] يمنعه من دراسة كتب الحديث، وكلما أراد الشيخ وزملاؤه دراستَها عنده لم يُعطِهم ذلك الشيخ شيئاً من البال ولا الاهتمام، وكان يقول لهم: إنَّ فَنَّ الحديث فَنٌّ صَعب لا تستطيعون فهمه! وإنْ اختار دراسة كتابٍ في الحديث عند شيخ آخر ذهب إليه لِيَمْنَعه من تدريسه؛ ويقول له: لا تعلِّموه الحديث..! يقول الشيخ: ولكن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكانت مشيئة الله في حقِّ دراستي في كُتب الحديث.[3]

وهذا الأمر إنما يدلّ على عِظَم محبته لكُتب الحديث وعنايته بها، وهذه المحبة هي التي دفعته بعدَ فَضلِ الله تعالى يَتمَكَّن في فَنِّ الحديث مع تمكُّنه في الفُنون الأُخرى.

وكذلك مما يدل على اهتمامه بكتب سلفه الصالح أنه اقتنى في بلدته مكتبةً ضخمة عامرة بأمُّهات الكُتب ونوادِرها، من مخطوطات ومطبوعات، مِن ذلك كتاب «مسند الشاميين» للطبراني[4]، فقد كانت لديه نسخة منقولة عن نسخة مكتبة الشيخ عارف

(١) انظر كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه: (ص١٦).

(٣) انظر: المرجع نفسه: (ص١٦).

(٤) الطبراني: هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين؛ أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته؛ وُلد بعكا سنةَ ستين بعد المائتين للهجرة؛ روى عنه عبدان بن أحمد، وابن عقدة، وآخرون؛ وروى عن يحيى بن عثمان، وأحمد بن يحيى الحُلْواني، وغيرهم؛ وله كتب في التفسير، والاوائل، و «دلائل النبوة»، وغير ذلك؛ تُوفِّيَ بأَصبَهانَ سنة ستين وثلاث مائة. انظر: ذكر أخبار أصفهان: لأبي نعيم الأصبهاني: (٣٣٥/١) ؛ والأعلام: للزركلي: (١٢١/٣).

حِكمت[1] بالمدينة المنورة، ثم لما فُقِد الأصل صارَتْ نسخته هي الوحيدة في العالَم، التي يعتمد عليها المحقِّقون.[2]

(١) المكتبة هي الآن ضمت إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، بعد أن كانت ضمن مكتبة الملك عبد العزيز بجوار المسجد النبوي الشريف؛ والشيخ هو عارف حكمت بن ذي الفقار بن نافذ بن علي الهرسكي، شاعر حكيم، من دعاة التجديد في الدولة العثمانية؛ وُلد في بلاد الهرسك، وهاجر إلى القسطنطينية، وتوفي بها سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة وألف للهجرة؛ من آثاره: «سوانِح البيان»، و«لوايح الحكم». انظر: معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة: (٢/٢٤).

(٢) انظر: معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات: إعداد د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي: (٣/٩٨)، وتذكير الناهين بِسَيْر أسلافهم حُفّاظ الحديث السابقين واللاحقين: للشيخ ربيع المدخلي: (ص٣٥٩).

المطلب السابع
تَـلامِـذَتُــــــــه

تَتلْمذَ على الشيخ عدد كبير مِن راغِبِي العِلْم يَصِلون إلى المئات، فقد دَرَّس في مدرسة أسرته عدداً كبيراً من الطلَبة، ثم أنشأ هو مدرسةً في قريته وسمّاها ''المدرسة المحمدية''[١]، ودرَّسَ فيها في مراحلها المختلفة، كما تَتلْمذَ على يَدِ الشَّيخ تلامِذَةٌ آخَرون في بِلادِ الحَرمَين الشريفين لا يُحصون.[٢]

فمن أشهَرِهم:

١- الشيخ عُمر بن محمد بن عبد الله السُّبيل، إمام الحرم المكي.[٣]

٢- والشيخ أبو عبد الله شمس الدِّين الأفغاني[٤].

---

(١) القرية التي أنشأ فيها الشيخ هذه المدرسة هي قرية نِيُو سعيد آباد (قرية سعيد آباد الجديدة).

(٢) انظر: الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد عبد الله المنيس: (ص٩٨).

(٣) هو الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل، ولد في البكيرية بمنطقة القصيم عام ثمان وسبعين وثلاث مائة وألف للهجرة؛ حفظ القرآن ودرس الفقه، وكان عُضواً لهيئة التدريس بكلية الشريعة في جامعة أم القرى، ثم وكيلاً لها، ثم عميداً، ثم صَدر الأمر بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام عام ثلاث عشرة وأربع مائة وألف، حتى توفاه الله تعالى بحادث سيارة. انظر: الإعلام بمن زار الكويت مِن العُلماء الأعلام: لوليد المنيس: (ص١٣٦-١٣٨).

(٤) هو أبو عبد الله شمس الدين بن محمد أشرف بن قيصر البشتوي، الأفغاني، تعلَّم أولاً على والده فصار يتيماً، وقد تجاوز عدد شيوخه المائة، منهم: ابن باز، والألباني، وابن العثيمين، رحمهم الله؛ مِن مصنَّفاته: «طبقات الماتريدية وأشقائهم الأشعرية»، و«منهج السلف في الرد على بدع الخلف»، وغير ذلك؛ وهو مؤسس الجامعة الأثرية. ترجم لنفسه في كتابه: «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات»: (١/١٧٢-١٨٢).

٣- والشيخ إفتخار أحمد الأنصاري[١].

وغيرهم كثير من تلامذته مِن باكستان وبلاد الهند، ومناطق العَرَب والغَرْب، وهؤلاء غير أولئك الذي استفادوا من الشيخ في رحلاتهم إلى بلاد الحرَمين قادِمين من شتى أرجاء العالم في مواسم الحج والعمرة، فإنه كما مرّ كانت للشيخ دروس في المسجد الحرام، فإن عددهم لا يحصيه إلا الله عز وجل.[٢]

---

(١) هو الشيخ إفتخار أحمد تاج الدِّين، الأنصاري، الأزهري، المدرس بجامعة بحر العلوم السلفية برُتبة شيخ الحديث، بمنطقة مِيرْبُور خَاص. انظر مقدمة إرشاد الحق الأثري على كتاب: مقالات راشدية (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (١٧/٢).

(٢) ومن تلامذة الشيخ أيضاً: الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ عاصم بن عبد الله القريوتي، والشيخ حسن حيدر، والشيخ أبو إسحاق الحويني، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ وصي الله عباس الهندي، والشيخ محمد شاه الراشدي، والشيخ نور الله شاه الراشدي، والشيخ عبد الله ناصر الرحماني، والشيخ صلاح الدين مقبول أحمد، والشيخ محمد رفيق الأثري، والشيخ إرشاد الحق الأثري، والشيخ حافظ زبير علي زئي، والشيخ يعقوب الهوساوي المكي، والشيح محمد حسين الظاهري، والشيخ عبد الله بن محمد الحربي؛ والشيخ محمد موسى الإفريقي؛ والشيخ شفيع محمد؛ والشيخ محمد قاسم، المدرس بالمدرسة المحمدية التي أسسها الشيخ بديع الدين؛ والشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، العراقي، محقق المعجم الكبير للطبراني؛ والدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، المصري؛ والأستاذ أحمد الساكت، مدير مدرسة دار الهدى، بمنطقة تهرباركر؛ والشيخ محمد عبدالهادي العمري، وهو من خواص طلبته وأقربهم إليه. كما في كتاب: رموزِ راشدية (الرُّموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦)؛ وانظر لمعرفة تلامذته كذلك: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع: (ص٥-٦)؛ و''ترجمة المؤلف'' أول كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (الصفحة: ع)؛ و''حياة المصنف''، لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢٢/٢).

المطلب الثامن

إِجَــازَاتُــــــــه[1]

دَأَب الشيخ رحمه الله تعالى وانهمك في طلب العلم وتحصيله، وسار في دربه لِنَيله من أهله، حتى رأوا منه أساتذته الجِدّية والاجتهاد، ولاحظوا عليه العزْم والحزم، فأجازه بعضُهم إجازات علمية، كما أنه قد بلغ عدد الذين وصل إسناده إليهم إلى تسع وخمسين ومئة نفس، ذكرهم الشيخ في ثَبْته المسمّى: «منجد المستجيز لرواية السنة والكتاب العزيز»، ومن أشهر أولئك الشيخ المحدِّث نذير حُسين الدِّهْلوي[2]، الذي وصفه الشيخ السندي بأنه شيخُ الكل[3] رحمهما الله تعالى؛

---

(١) الإجازة: إذْنٌ؛ وهي مأخوذة من جواز الماء الذي تسقاه الماشية، يقال: استجزته فأجازني، إذا أسقاك ماءً لماشيتك أو أرضك. فكذا طالب العلم يستجيز العالِمَ عِلمَه فيجيزه له؛ وصورته أن يقول الشيخ لأحد طلابه: أجزت لك أن تَروي عني كذا؛ ولها أنواع. انظر: قاموس مصطلحات الحديث النبوي: لمحمد صديق المنشاوي: (ص١٦)؛ وانظر: تدريب الراوي: للسيوطي: (ص١/٤٤٧).

(٢) هو الشيخ المحدث نذير حسين بن جواد علي بن عظمة الله، الحسيني، البهاري، ثم الدهلوي. ولد سنة عشرين، وقيل خمس وعشرين ومئتين وألف بقريته سروج كدها، من أعمال بِهار، ونشأ بها، وسافر للعلم إلى بعض البلاد، وكان له ذوق في الفقه الحنفي، ثم غلب عليه حب القرآن والحديث، فترك اشتغاله بما سواها إلا الفقه. وله رسائل عديدة أشهرها معيار الحق، وواقعة الفتوى ودافعة البلوى. كلتاهما بالأردو، توفي يوم الاثنين لعشر من رجب سنة عشرين وثلاث مئة وألف من الهجرة. انظر: نزهة الخواطر: للشريف الحسيني: (١٣٩١-١٣٩٣).

(٣) انظر: منجد المستجيز لرواية السنة والكتاب العزيز: لبديع الدين السندي: (ص٦).

وكذلك الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي النجدي التميمي، مجدد الدعوة السلفية.(١)

وأما مَن أخذ عنه الشيخ السندي رحمه الله الإجازة للرواية:

- الشيخ الأستاذ، العلامة المجاهد، المحدِّث أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري، رحمه الله تعالى.
- والشيخ الفاضل أبو محمد عبد الحق الهاشمي، المكي، المدرس في المسجد الحرام، رحمة الله عليه.(٢)

وغيرهما من العلماء الأجلاء الذين أخذ منهم الشيخ السندي الإجازة.(٣)

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي، الإمام الشهير والداعية الكبير، ومجدد الدعوة السلفية، المصلح الناصح، وُلد في بلد العيينة بنجد سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، دعا الناس إلى التوحيد وحذرهم من الشرك، وكتب رسائل كثيرة في تقرير التوحيد وبيان ضده، توفي عام ست ومئتين وألف من الهجرة. انظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد وغيرهم: لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: (ص٢٠-٤٢).

(٢) هو الشيخ المحدث الشهير في العرب والعجم، أبو محمد عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد بن هاشم الهاشمي، البهاولبوري، المهاجر، المكي. رحل من مُلتان إلى مكة المكرمة، وعُيِّن مدرِّساً في المسجد الحرام بمكة المكرمة باللغة الأردية، وذلك لعلو مكانته العلمية، وله تحقيق على كتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري.انظر: الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد المنيس: (ص٢٦٣-٢٦٧)؛ وانظر كذلك: منجد المستجيز لرواية السنة والكتاب العزيز: لبديع الدين السندي: (ص٧).

(٣) وكذلك ممن منح الإجازات العلمية للشيخ السندي رحمه الله: المحدث أبو سعيد شرف الدين الدهلوي؛ والشيخ الحافظ عبد الله الروبري؛ والشيخ أبو إسحاق نيك محمد الأمرتسري ؛ والشيخ محمد خليل بن محمد سليم الخيربوري؛ والشيخ أبو محمد عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد بن هاشم الهاشمي، البهاولبوري، المهاجر، المكي. انظر: الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام:=

ونظراً لمكانة الشيخ العلمية، ومقامه من بين العلماء، وانضمامه في ركب الفضلاء، استجازه عدد من أهل العلم وطلبته، من أشهرهم:

- الشيخ وصي الله عباس الهندي(١)، المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة.

- أخوه الأكبر وشيخه الشيخ أبو الرّوح محب الله شاه الراشدي السندي.(٢)

=لوليد المنيس (ص٩٨) ؛ و''حياة المصنف''، لإفتخار أحمد الأزهري أول كتاب: مقالاتِ راشديه (مقالات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (٢/٢٢) ؛ ومنجد المستجيز لرواية السنة والكتاب العزيز: لبديع الدين السندي: (ص٦).

(١) هو وصي الله بن محمد عباس بن أحمد عباس الهندي؛ الأستاذ المشارك في جامعة أم القُرى بمكة، في قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين، والمدرس بالمسجد الحرام؛ من أهم نتاجه العلمي رسالته الماجستير بعنوان: «الضعفاء والمجهولون والمتروكون في سنن النسائي»، ورسالته الدكتوراة بعنوان: «فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل» تحقيقاً، وغيرهما من المصنفات؛ من أشهر تلامذته أحمد عمر بازمول، وعلي بن يحيى الحدادي؛ ولا زال على نشاطات دعوية ومشاركات علمية. انظر الموقع الإلكتروني بعنوان: ترجمة المحقق السلفي المعروف وصي الله محمد عباس، أبو أحمد زياد الأردني، تم نشرها في تاريخ ٢٠٠٩/٨/١٣م، وتم النقل منها في تاريخ ١٤٣٥/١٢/٨هـ، http://www.ajurry.com.

(٢) وكذلك ممن استجاز من الشيخ السندي رحمه الله: الشيخ سعيدي بن مهدي البغدادي؛ والشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندي، خريج كلية الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، والمدرس بمعهد الحرم المكي؛ والشيخ الحافظ فتحي الجهلمي؛ والشيخ علي بن عامر اليمني؛ والشيخ نور الله بن شهباز الهندي؛ والشيخ الحسن السعودي؛ والشيخ أسلم بن محمد الأردني؛ والشيخ سيف الرحمن بن مصطفى المكي رحمهم الله تعالى أجمعين. انظر: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨) ؛ وانظر: ''ترجمة المؤلف'' لإفتخار أحمد الأنصاري أولَ كتاب: زيادة الخشوع: لبديع الدين السندي: (ص٥-٦) ؛ و''ترجمة المؤلف'' أول كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (الصفحة: س).

إلى غير هؤلاء من العلماء الأجلاء والطلاب الأفاضل الذين حازوا بذلك الشرف؛ رفع الله مراتبهم في الدنيا والآخرة.

المطلب التاسع

كُتُبُــــه ومُؤَلَّفَاتُــــه

قد أمضى الشيخ بديع الدين السندي رحمه الله تعالى حياته في خدمة العلم وأهله، وتقريبه لطلبته، فصنف كُتُباً ورسائل عديدة، في مختلف المسائل والموضوعات، فصارت تُراثا عظيماً للمكتبات الإسلامية، وحُق لها أن تُزين بحليّ الطباعة، وتُخرج للناس بزي الإشاعة، وتُلبس لباس التحقيق والتخريج والدراسة في الرسائل العلمية، وبعضها يحوي بحاراً عميقة في بعض العلوم الإسلامية، كالتفسير وأصوله، والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، والجرح والتعديل وأسماء الرجال، التي تمكن للدارسين والباحثين في مراحل الدراسات العليا الغوص في أغوارها وأعماقها لاستخراج اللئالئ العلمية منها[١].

وقد ألفها الشيخ باللغات الثلاثة؛ العربية والأردية والسندية، المطبوعة منها وغير المطبوعة، وبعضها مفقودة، وقد أشار بعض الكُتّاب إلى أن له بعض المصنفات باللغة الفارسية[٢]، إلا أنني لم أطلع إلى وقتي هذا على شيء منها.

وقد وصل عددها إلى قرابة خمس وسبعين ومئة كتاب، كما ذكر ذلك الشيخ بنفسه، ولا غرابة في ذلك لمثل هذا العالم الذي بارك الله له في وقته، ووهبه الله تعالى من القلم السيّال، وسأذكر فيما يلي بعض ما اطلعت عليه من تلك الكتب، والله المستعان، وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: كلمة عبد الرحمن ميمن على كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣-٤).

(٢) انظر: المرجع نفسه: (ص٣).

أولاً ــ من كتبه باللغة العربية:

- الصريح المُمَهَّد في وَصْل تعليقات موطّأ الإمام محمَّد.

- الإجابة مع الإصابة في ترتيب أحاديث البيهقي على مسانيد الصحابة.

- التعليقات الرَّاشدية على شرح الأربعين النووية.

- تحفة الأحباب في تخريج أحاديث قول الترمذي: (وفي الباب).

- نقض قواعد في علوم الحديث (أو: إنماء الزكن في تنقيد إنهاء السكن).

ثانياً – من كتبه باللغة الأردية:

- إسكات الجزوع في جواب رسالة «ما بعد الركوع» وتأييد إتمام الخشوع:

رسالة صغيرة، تشتمل على ثمان وعشرين صفحة، وهي جواب من الشيخ على الرسالة «ما بعد الركوع» والتي أشاعتها شعبة التبليغ لجماعة غرباء أهل الحديث رداً على رسالة الشيخ التي كان قد كتبها قبلُ في إثبات وضع اليدين على الصدر في القيام بعد الركوع، بعنوان «زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع».

- اسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام):

أصله محاضرة صوتية بالأردو، عنون لها الشيخ بهذا العنوان[1]، فُرّغت من الشريط الصوتي، فجاءت كرسالة صغيرة الحجم، نشرتها جمعية أهل الحديث بالسند.

- خالص توحيد (التوحيد الخالص):

بين الشيخ فيه بعض ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، ومسألة التوسل المشروع منه وغير المشروع، ومسألة الدعاء، على منهج السلف الصالح.

- رموزِ راشديه (الرُّموز الراشدية):

---

(١) انظر الكتاب: (ص١١).

أصل هذا الكتاب مقابلة شخصية مع الشيخ السندي عن حياته وجهوده العلمية، أجريت معه عام اثنين وثمانين وتسع مئة وألف من الميلاد.(١)

ثالثاً ــ مِن كُتبه باللُّغة السِّندية:

- توحيد رباني (التوحيد الرباني):

يشتمل على توحيد الله عزوجل، والتحذير من ضده الذي هو الشرك بالله تعالى، وذمه، وبيان أن الأسبقية للتوحيد في باب الدعوة، وأنه أساس الولاء والبراء، ولأجله الجهاد والقتال، وبيان أقسام التوحيد، وأقسام الشرك، وما إلى ذلك من المسائل. وقد تُرجِم بعد وفاته إلى اللغة الأردية وطُبع بها.

- تشريح الأسماء الحسنى.

أصله باللغة السندية، ثم ترجم إلى الأردو وطُبع بها.

- تنقيدِ سديد بَرْ رساله اجتهاد وتقليد (التنقيد السديد على الرسالة «الاجتهاد والتقليد»).

- التعليق المنصور على فتح الغفور.

- بديع التفاسير (الاستنباط العجيب):

وهو إلى أوائل سورة الحجر، لم يتمكن الشيخ من إكماله لوفاته، وهو مع ذلك مشتمل على مقدمة وعشر مجلدات، طُبعت بحمد الله تعالى(٢)، ومقدمة الكتاب مطبوع مستقلاً عن التفسير.

---

(١) انظر: تقريظ عبد الرحمن ميمن على كتاب: رموزِ راشدية (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥).

(٢) انظر: ترجمة الشيخ بعنوان "علامه سيد بديع الدين شاه الراشدي رحمة الله عليه كى حيات وخدمات (حياة العلامة السيد بديع الدين شاه الراشدي وخدماته، رحمة الله عليه)": لحفيده نصرت الله شاه الراشدي، أولَ كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (صفحة: ظ-ع).

المطلب العاشر

مُنَاظَرَاتُهُ وَمُنَاقَشَاتُهُ

كان الشيخ رحمه الله تعالى لايناظر -فيما ظهر لي منه- إلا من أجل إعلاء كلمة الله، وهو نوع من جهاده بالعلم، ولربما ورث الشيخ أسلوب المناظرات وآدابها من والده، إذ لوالده مناظرات عديدة مع أهل العلم، وبعضها وقعت في سفره، حيث لا عدة ولا عتاد، وبعضها شارك الشيخ مع والده مع كونه في ذلك الوقت صغيراً، وخاصة المناظرة التي حصلت مع رجل قادياني، وكان القادياني قد أحضر معه كتباً كثيرة، فجرت المناظرة بينهم لمدة يومين، وانتهت برجوع القادياني منهزماً خاسِئاً[١].

وكان الشيخ مُذْ صِغره يناقش في المسائل العلمية مع أهل العلم، حتى تأخذ هذه المناقشات أحياناً شكل المناظرات من غير قصد للمناظرة، كما كان يحصل في بعض مراحله الدراسية النظامية مع أساتذته الحَنَفيّين، وخاصة المتعصِّبة منهم للمذهب الحنفي.

فقد ذكر الشيخ أنه كان أحد مشيخته[٢] شديد التعصب، حتى صارت تأويلاته للأحاديث وتأييداته المتكررة لمذهب الحنفية امتحاناً عظيماً له، ولكن الشيخ بَيَّن أنه كان منذ صغره ترسخ فيه اعتقاد أنه لا حجة في قول قائل إلا ما جاء في القرآن والحديث، وأنَّ كلَّ قولٍ وفعلٍ عارَض الوَحيَ الإلهي فهو مردود، وإلا فإنه كان من عين الممكن أنْ يُميله شيخه إلى مسلكه، وهذان الأمران المتضادان اللذان أحدهما رسوخه في تلك العقيدة، والثاني استمالة شيخه له لِما كان عليه من الاعتقاد والمذهب، أدياه إلى مطالعة كتب الحديث، لِيُميز الحق من غيره، ثم يبين الشيخ أنه مع قلة بضاعته في العلم في ذلك

---

(١) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣).

(٢) اسم هذا الشيخ محمد خليل انتهائي، كان مدرساً في مدرسة دار الرشاد التي تخرج منها الشيخ بديع الدين السندي. انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٥ ، ١٦ ، ٢٨).

الحين واصل في البحث عن بعض أهم المسائل في كُتب الحديث المشهورة والمتداولة، وكلّما تمكَّنَ مِن فَهم حديث من الأحاديث عَرَضهُ على شيخه ذاك، والنتيجة أن شيخه يُسكِته دائماً بجواب ما، وأحياناً يغضب عليه فينهره، وهكذا أخذت المناقشات اليومية لونَ المناظرات، وازداد الشيخ السِّندي يوماً بعد يوم في المعلومات، وبدأ بسببها يزداد رسوخاً في مَسْلَكه.

وكُلّما رَسخ عِلمه وقوي فيه ضَعُفَ شيخُه وانكسرَتْ شوكته العِلْمية، حتى صار شيخه يتساهل في مسألتين مُهِمّتين، التي طالما دافع عنهما مدافعة شديدة؛

إحداهما: مسألة القراءة خلف الإمام، التي كان يتعصَّب لها تعصُّباً ربما لم يواجه الشيخ السندي من أحد من مشايخه كمثل تعصبه، فأظهر من نفسه أنه يقول بالقراءة في الصلاة السِّرِّية، وأفتى أمام الشيخ السندي بذلك لبعض الناس.

والمسألة الثانية: إقامة الجُمعة في القُرَى، فلم يكن شيخه يُصلِّي في قرية الشيخ، بل كان يذهب إلى المدينة لأداء الجمعة، وكان في دروسه ومحاضراته ينكر بالشِّدّة ويعلن عدم جوازها في القرى، وهذه المسألة كسابقتها ناقش الشيخ السندي فيها شيخَه مناقشات طويلة، وكان بعض زملائه يؤيده في ذلك، فكان الشيخ يبحث عن الروايات ويعرضها على شيخه، بَيْدَ أن أسلوب شيخه في أوَّلِ الأمْر لم يختلف عما كان عليه في المسألة السابقة، حتى آلَ الأمر إلى أن بدأ في الظاهر يصلي الجمعة مع الجماعة في نفس القرية، وفي يوم جمعةٍ من أيام الجُمع عَرَض الشيخ عليه الرواياتِ التي استخرَجها من «سُنَن الدَّارقطني»، فرد عليه قائلاً: قد بدأتُ الآن أصلي الجمعة.. وأنت لاتدَعُني إلى الآن..![(1)].

وللشيخ السندي كذلك مُباحثات ومناقشات مع شيخه المذكور آنفاً في غير هاتين المسألتين، ومن أهمها مسألة التقليد[(2)].

---

(١) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦-١٧ ، ٢٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه: (ص٢٨).

هكذا كانت بدايات هذا الشيخ الجليل، وهي مرحلة دون المناظرات التي أقيمت مجالسها معه.

وأول هذه المناظرات مناظرة وقعت في مدينة **کهپرو** (كِهبْرُو)[1] في **ضلع سانگهڑ** (ضلع سَانْكَهْر)[2]، وقد حُددت لها أربعة مواضيع: المولد، و''گيار**ہويں**'' (يعني اليوم الحادي عشر)[3]، والنَّذْر لغير الله، وكرامات الأولياء، وكانت للمناظرة طرفان: طرف فيه الشيخ السندي ومعه بعض أصحابه، وطرَف آخر للمخالفين من الأحناف ولكنهم رجعوا بانهزامهم في المسألة الأولى فضلاً من الانتقال إلى المسائل التي بعدها.[4]

---

(١) كهبرو: (الأردو: **کهپرو**، السندي: کپرو) اسم منطقة في سانكهر بالسند، في باكستان، يقال أنها كلمة مأخوذة من ''كهوبرا'' وهي تعني نوعا من جوز الهند، لأنها كانت مليئة بأشجارها، ويقال أنها على اسم صياد كان بها، فيها آثار تاريخية. انظر الموقع الإكتروني الإنجليزي بعنوان: كهبرو، تم نشرها في تاريخ ٢٠١٤/٨/٢٠م، وتم النقل منها في ١٤٣٥/١٢/٩هـ، http://en.wikipedia.org/wiki/Khipro.

(٢) منطقة سانكهر (بالأردو: **ضلع سانگهڑ**، وبالسندي: ضلعو سانگھڙ) من أكبر المناطق في إقليم السند في باكستان؛ تقع وسط السند، ويحدها من الشرق الهند؛ عاصمة المقاطعة، من أهم مدنها: تندو آدم، وجام نواز علي، وشابور شكر، وغيرها. انظر الموقع الإكتروني الإنجليزي بعنوان: منطقة سانكهر، تم نشرها في تاريخ ٢٠١٤/٧/١٠م، وتم النقل منها في ١٤٣٥/١٢/٩هـ، http://en.wikipedia.org/wiki/Sanghar_district.

(٣) اليوم الحادي عشر هو من الخرافات والبدع لدى صوفية الهند وباكستان، وبعض الدول المجاورة لها، والمراد منها إقامة عرس في اليوم الحادي عشر من وفاة الميت، وطبخ الطعام وتوزيعه على العوام، ليصل ثوابه للميت..! وتعتريه أنواع من البدع على حسب اعتقادات أنواع من الصوفية.

(٤) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٨).

وقد طَبع أهل المنطقة هذه المناظرة في رسالة باسم ''فتحِ اسلام (فتحُ الإسلام)''، والتي ذكر ملخَّصَها الشيخ بديع الدين السندي بنفسه في مقابلة شخصية، نُشرت في كتاب: «رموزِ راشديه (الرموز الراشدية)»[1].

وله غير ذلك من المناظرات والمباحثات والمناقشات العلمية جرت بينه وبين المخالفين لأهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٨-٢٩).

المطلب الحادي عشر

سَفَرُهُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ

ما علمتُ للشيخ السندي رحمه الله تعالى سفراً إلا وكان من أجْل تعلّم العِلم وتعليمه، ونشر الهدى ونور السُّنة والدَّعوة إلى الله عزوجل، ورفع راية الكتاب والسُّنّة وتعليم الناس الخير، أوأداء المناسك، ومع كثرة تنقلاته داخل باكستان وسفره إلى مناطقها المختلفة من القرى والمدن والأماكن النائية منها -كسفره إلى مدينة كهڀرو (كهبرو) في ضلع سانگهڙ (ضلع سانكهر) للمناظرة التي حصلت بينه وبين مخالفيه في بعض المسائل العقدية[1]، وذهابه إلى منطقة ٽنڊو الہ يار (تندو الله يار)[2] مع والده في صغره للمشاركة في إحدى المناظرات مع بعض القاديانية.[3] وكذلك مدينة كراتشي حيث أقيمت فيها مناظرة في مسألة فقهية بعنوان "هل يجوز في المذهب الحنفي القراءة خلف الإمام، أم لا؟"[4]، وغيرها من المناطق داخل دولة باكستان- ومع كثرة هذه الأسفار الداخلية للشيخ رحمه الله فقد كانت له أسفار خارج البلاد، فقبلَ انقسام الهند وباكستان سافر إلى بعض مناطق الهند، كمنطقة بتالة، ذهب إليها أكثر مِن مَرّة، لرئاسة المؤتمر

---

(١) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٨).

(٢) تندو الله يار: منطقة من مناطق السند في باكستان، تقع على بعد أربعين كيلو متراً من حيدر آباد، يتجاوز عدد سكانها ثلاثة مليون نسمة، لغة أهاليها الأردو والسندي. انظر الموقع الإلكتروني الإنجليزي بعنوان: منطقة تندو الله يار، تم نشرها في تاريخ ٢٠١٤/٨/٨م، وتم النقل منها في ١٤٣٥/١٢/٩هـ، http://en.wikipedia.org/wiki/Tando_Allahyar.

(٣) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣).

(٤) انظر: المرجع نفسه: (ص٤٩).

العلمي لأهل الحديث، وهو حينذاك في التاسعة عشرة من عمره، وذهب إلى دِهْلي[١]، وإلى غيرها من المدن الرئيسية في الهند[٢]، ثم لم يذهب الشيخ إليها بعد التقسيم.[٣]

وكذلك ذهب مرات عديدة لأداء نُسُك الحج، وسافر في أراضي بلاد الحرمين الشَّرِيفَين، فسافر إلى مكة وألقى محاضرَة عن اتِّباع السُّنَّة في دار الحديث بها، وسافر إلى المدينة النبوية وقام بإلقاء عدَد من المحاضَرات في الجامعة الإسلامية على دعوة من الشيخ العلامة الإمام ابن باز رحمه الله، وبعضها كانت بحضور الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني[٤] رحمه الله تعالى، وذهب إلى بعض القُرَى المجاورة للمدينة.[٥]

---

(١) دهلي: هي قاعدة بلاد الهند، ومدينة عظيمة ضخمة، من أعظم مدن الهند، تجمع بين الحسن والحصانة، افتُتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمس مئة للهجرة على يد قطب الدين أيْبَك، وأول من وليها السلطان شمس الدين للمش. انظر: رحلة ابن بطوطة: (ص٤١٤-٤٢٢).

(٢) كمدينة أمْرَتْسَر، وأحمد بور الشرقية، وقد ذهب إليها عدة مرات.

(٣) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥١-٥٢).

(٤) الألباني: هو المحدِّث أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، ممن برز في علم الحديث رواية ودراية، ولد عام ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وألف للهجرة في دولة ألبانيا، ثم هاجر منها إلى دمشق؛ درس على والده القرآن وبعض العلوم، وعلى الشيخ سعيد البرهاني، وأخذ الإجازة في الحديث من راغب الطباخ؛ وتلامذته كثيرون، منهم عبد الله بن خميس، وعلي بن حسن الحلبي؛ من أهم مصنفاته: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«صفة صلاة النبي ﷺ»، وهي تجاوز المائة في العدد؛ توفي عام عشرين وأربع مائة وألف. انظر: الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد المنيس: (١٢٢-١٢٥) ؛ وعلماء ومفكرون عرفتهم: لمحمد المجذوب: (٢٨٧/١ برقم١٤) ؛ و مقالات الألباني: جمع نور الدين طالب: (ص١٨٢ ، ٢٠٧).

(٥) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٢).

ولما أقام الشيخ في مكة واستقر فيها سافر إلى غير الحرمين من مُدن المملكة العربية السعودية من أجل الدعوة والتبليغ وإلقاء الدُّروس والمحاضرات؛ فسافر إلى مدينة جُدّة[1]، ونُخَيل[2]، وشقة[3]، وحائل[4]، وغيرها من مناطق المملكة.[5]

كذلك كان من أسفار الشيخ سفره إلى عُمَان[6]، على دعوة بعض أهل السنة

---

(١) جدة: بالضم والتشديد، والجدّة في الأصل الطريقة، وجُدّة بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال؛ عن الزمخشري. وقال الحازمي: بينهما يوم وليلة. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (١١٤/٢).

(٢) نُخَيل: تصغير نخل، اسم عين قرب المدينة على خمسة أميال منها. انظر: مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لصفي الدين البغدادي: (١٣٦٦/١).

(٣) شقّة: موضع أو مدينة. وهي في طريقك من المدينة إلى الخيبر، بحيث تخرج من المدينة على الغابة العُليا، ثم تسلك الغابة السفلى، ثم ترقى في نقب يَرْدوح، ثم تسلك واديا يقال له الدومة، ثم أشمد: جبل، ثم الشقة. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (٣٥٦/٣) ؛ ومعجم ما استعجم: لعبد الله البكْري: (٥٢١/٢).

(٤) حائل: موضع باليمامة، لبني نمير، وقيل لبني قشير؛ وهو وادٍ أصله من الدهناء. مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لصفي الدين البغدادي: (٣٧٤/٢) ؛ وانظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (٢١٠/٢).

(٥) انظر: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

(٦) عُمَان: بضم أوله وتخفيف ثانيه، وآخره نون: اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الإقليم الأول، في شرقي هَجَر، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، وأكثر أهلها خوارج إباضية. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (١٥٠/٤).

فيها، وذهب إلى الإمارات العربية المتحدة[1]، وتنقّل بين إماراتها، وأُعطِي إذناً رسمياً من وزارة الأوقاف لإلقاء الدروس وخُطَب الجُمع.[2]

وزار كذلك الكويت[3] عام أربع وتسعين وتسع مائة وألف للميلاد بدعوة من جمعية إحياء التراث للاستفادة من علمه وجُهده في الحديث، ولتقديم استشارات علمية، ونحو ذلك مما هو من خُلاصة تخصُّصه جرياً على ما هو معتاد من الاستفادة من العلماء أهلِ التخصص من أهل الحديث.[4]

فكانت هذه الأسفار أسفاراً مباركة في سبيل نشر علم التوحيد والسنة، ونشر علوم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) الإمارات العربية المتحدة: هي دولة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية على الخليج الفارسي وخليج عُمان، تكونت في عام إحدى وسبعين وتسع مائة وألف للميلاد من سبع إمارات كانت تعرف بالإمارات المتهادنة، وهي: أبو ظبي (أكبرها)، دُبي، الشارقة، عجمان، الفجيرة، رأس الخيمة، وأم القوين. وهي عضو في جامعة الدولة العربية، وفي الأمم المتحدة. انظر: معجم بلدان العالَم بالأرقام: لمحمد عتريس: (ص٤٢-٤٣).

(٢) انظر كتاب رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

(٣) الكويت: دولة ملكية دستورية، اسمها الرسمي: دولة الكويت، تقع على الطرف الشمالي الغربي للخليج العربي، وهي خمس محافظات، من أهم مدنها الجهرة، والأحمدي، والفحاحيل، وعاصمتها مدينة الكويت. انظر: معجم بلدان العالَم بالأرقام: لمحمد عتريس: (ص١٠٢-١٠٣).

(٤) الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام: لوليد عبد الله المنيس: (ص٩٩).

المطلب الثاني عشر

إِمَارَتُه لِجَمْعِيَّةِ أهْلِ الْحَدِيْثِ

انتشرَتْ في أقاليم باكستانَ أحزابٌ وفِرَقٌ كثيرة، أغلبها حزبية، ولمذاهبها متعصبة ولاعتقاداتها الفاسدة داعية، وفي جانبٍ عن هذه الفِرق جماعة تنتمي إلى محض القرآن والسنة، على منهج سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم بإحسان، تُنكر التقليد الأعمى، وترفض التعصب للمذاهب والشيوخ، وتحذر من الشرك والبِدَع، وتَبْرَأ من مناهج أهلها، تُعرف في باكستان بلقب ''أهل الحديث''، وهي التي تسمى بجماعة أهل السنة والجماعة خارج البلاد، إلا أن لقب أهل السنة والجماعة في داخل باكستان صار يطلق على بعض الفرق الضالة، كالبَرِيْلَوِيّة، حتى أنه إذا أُطلق لفظ السّني أمام أحد من العَوام تبادر ذهنه إلى تلك الفرقة البريلوية..! استعملوها لأنفسهم تمويهاً على الناس -وخاصة العرب منهم- أنهم أهل السنة والجماعة، ليتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم الخاصة، وشتان بينهم وبينَ السُّنة، وشتان بين اختلافهم وتفرقهم وبين الجماعة التي اجتمعت على السُّنة؛ فإنه اسم بلا مدلولاته، فليُنتبه لذلك. أما جماعة أهل الحديث فهي جماعة أهل السنة والجماعة الحقة؛ لالتزامها اتباع السنة، وابتعادها عن البدعة، واجتماعها على ذلك.

وقد كان الشيخ شاه السندي من أهل السنة والجماعة، على مذهب أهل الحديث، وقد انتشرَ مَسلكهم في عصره بفضل الله تعالى ثم بجهوده في السِّند إقليمِه الذي عاش فيه، فصار كثير من الناس ينتمون إلى هذا المذهب، ولِشُهرة الشيخ في الإقليم، وبما أن كثيراً من العوام والخواص تسننوا على يديه، كانوا يعتبرونه مرشداً لهم وقائداً، غير أن أقاليم باكستان عدا السِّند كان قد انتشر فيها نوع من الاختلاف، فصارت جماعة أهل الحديث في جماعات، ولذلك لما عرض على الشيخ أن يكون رئيساً لجمعية أهل الحديث في السِّند وأميراً لها امتنع من الإمارة لها، لئلا ينقسم الناس من أهل الحديث في السِّند إلى جماعات كما انقسموا في خارجها، ولذلك اختار وحدة الجماعة على الإمارة.

إلا أن بعض المصنفين سطروا أن الشيخ السندي كان قد تولى الإمارة، وانتصب لها طيلةَ بقائه في البلد، والظاهر أنه إنما نَظّم جماعة أهل الحديث في السِّند وأحياها من جديد، التي طالما وقعت فريسة المصالح الخاصة الذاتية، ونوَّرَ أهلَ السِّند بالعلم الحقيقي النابع عن الكتاب والسنة، وحرَّرهم عن سلاسل عقائد الآباء والأجداد الفاسدة، والتقليد الشخصي، والانتماء إلى الفرق الباطلة، وأرشدهم إلى وصل التعلق بالله وحده في العبادة، وبرسوله ﷺ في الاتباع، فكان زهرة من بستانِ أهل الحديث التي يتعطر منها إلى اليوم ميادينُ العِلم والأدب والمذهب والسياسة.(١)

وبوفاة الشيخ رحمه الله فقدَ أهل الحديث منبرا عظيماً لهم بالسِّند، ولعله إلى الآن لم يسدْ مَسَدَّ مسندتِه أحد بعده فيها، فصارت جماعة أهل الحديث وكأنها يتيمة، عسى الله أن يعوضها نِعم البدل، ويسدّ ذلك الخلل، إنه المولى عز وجل، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.(٢)

---

(١) انظر: تقريظ عبد الرحمن ميمن على كتاب: رموزِ راشديه (الرموز الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤-٥).

(٢) انظر ترجمته في المراجع التالية: ترجمة الشيخ بديع الدين رحمه الله لابنه المنشور في أول كتاب التوحيد الخالص المطبوع: (صفحة: س) ؛ و''حياة العلامة سيد بديع الدين شاه الراشدي وخدماته'': لحفيد المصنف نصرت الله شاه الراشدي، المنشور في أول كتاب التوحيد الخالص: (صفحة: ط) ؛ ومجلة الحديث الشهرية الصادرة من حضرو ، في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٥ م ، تحت إدارة حافظ زبير علي زئي: (صفحة: ٣٣) ؛ والموقع الرسمي للشيخ عبد الله البخاري، وشبكة الإمام الآجري العلمية ؛ وكتاب: الرموز الراشدية وهو فيه مقابلة شخصية مع الشيخ عن حياته وجهوده. وكتاب المدرسون بالمسجد الحرام للأستاذ منصور النقيب، وهو تحت الطباعة ؛ ومعجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات: إعداد د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي: (٩٨/٣)، وتذكير الناهين بِسَيْر أسلافهم حُفّاظ الحديث السابقين واللاحقين: للشيخ ربيع المدخلي: (ص٣٥٩) ؛ وغير ذلك من المصادر والمراجع.

الباب الأول
جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالإيمان بالله

وفـــــــــيه فصـــــــــلان

الفصل الأول
جهوده في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد المعرفة والإثبات

وفـــيه ســتة وثـــلاثـــون مـــبحـــثاً

المبحث الأول
قَـوَاعِدُ فِي الْأَسْـمَاءِ وَالصِّـفَاتِ

(الحمد لله وحده لا شريك له، الذي أنعم على عباده بنعمة توحيده، وأغناهم به عن عبادة غيره، والصلاة والسلام على الرسول المقدس من غير إحصاء، الذي أرشد الخلق إلى ربهم، وحرَّرهم من عبودية الأصنام والطواغيت، وعلى آله الذين افتخروا بدعوة الحق ودعوا إليه الجميع، بدلاً مِنْ أنْ يَفتخِرَ أحدهم على كونه من نسب الحبيب، ثم على صحابته الكرام الذين رفعوا على حصون الشرك رايةَ التوحيد، رضي عنهم رب العالمين، وجعل مثواهم في جنات النعيم)[1].

أما بعد..

فلما كانت القواعد تشمل جزئيات كثيرة، وتحوي مسائلَ صغيرة، يستفيد منها الدارس في أنواع الفنون، رأيتُ أنْ أبدأ هذا الفصل بمبحث جامع للقواعد في الأسماء والصفات، المبثوثة في كتب الشيخ ومحتويات علومه، فإنها سهلة للحفظ، قريبة في المرام، فهاكم القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى، والله تعالى وحدَه هو الموفق.

---

(١) هذه الخطبة مقتبسة من خطبة الشيخ بديع الدين السندي بتصرف يسير جداً؛ انظر: توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٧).

القاعدة الأولى

"أَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا تَوْقِيْفِيَّةٌ"

لَقدْ أولى عُلماءُ أهلِ السُّنَّة والجماعة توحيدَ الأسماء والصفات أهمِّيَّةً بالِغة، لِتعلُّقه بالله سُبحانه وتعالى، فوضعوا له القواعد والأُسُس المبنِيَّة على الكتابِ والسُّنَّة، ومِنْ تِلكمُ القواعد الجليلة هذه القاعدة، وهي أنَّ أسماء الله تعالى وصفاته كلُّها توقيفية؛ فيجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان بجميع أسماء الله عزوجل وصفاته التي ورد ذكرها في القرآن أو السُّنَّة الثابتة.

فنؤمِنُ بها كما طَلَب الشَّرْع مِنَّا الإيمانَ بها مِنْ غير زيادة ولا نقصان، ومن غير تقوُّل على الله، ولا قَفْو بما ليس لنا به علم، ونؤمن أنه ليس أحدٌ أعلمَ بالله من الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾(1) فعلينا الإيمان بما أنزل الله سبحانه وحياً على نبيِّه ﷺ والتسليم.

وذلك لأن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته من الإيمان بالغيب، فليس لنا معرفتها إلا عن طريق الوحي المنزَّل على الرُّسُل -صلواتُ الله وسلامه عليهم- إذ الغيب لا يعلمه أحد إلا الله، ولذا نص العلماء على أنَّ أسماء الله عزوجل وصفاته توقيفية، وأنه لايسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسَه، أو على لسانِ رسوله ﷺ ، أيْ أنها يوقف في إثباتها على الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾(2)، وقال جلّ شأنه:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(3).

---

(1) سورة البقرة: (١٤٠).

(2) سورة الإسراء : (٣٦).

(3) سورة الأعراف : (٣٣).

والنصوص عن السلف في ذلك كثيرة مستفيضة كلها تدل على هذا المعنى؛ فمن ذلك قول الإمام أحمد ابن حنبل كما في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، حيث قال: (لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسَهُ، أو وَصفه به رسولُه ﷺ ، لا يُتجاوز القرآن والحديث)[1].

وقال الإمام عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي[2] رحمه الله: (لا ينبغي لأحد أن يصِف اللهَ إلا بما وَصف به نفسَهُ في القرآن)[3].

وما أحسن قول الإمام أبي عبد الله ابن أبي زمنين رحمه الله تعالى[4] في ذلك حيث قال: (واعلم أنّ أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسلُه يرون الجهل بما لم يُخْبر به

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٦/٥) ، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة: (٢٧٨/١).

(٢) هو عبد الرحمن بن قاسم بن خالد بن جنادة العُتقي، بضم المهملة وفتح المثناة بعدها قاف، أبو عبد الله المصري؛ ويُعرف بابن القاسم، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وله «المدونة» من أجَل كتب المالكية، قال عنه الحافظ ابن حجر: (الفقيه، صاحب مالك، ثقة، من كبار العاشرة، مات سنة إحدى وتسعين ومائة). تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني: (ص٥٩٥) ؛ وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب: له: (٥٤٤/٢-٥٤٥) ؛ والأعلام: للزركلي: (٣٢٣/٣).

(٣) رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري: (ص٧٥).

(٤) ابن أبي زمنين: هو محمد بن عبد الله بن عيسى المَرِيّ الإمام أبو عبد الله الإلبيرِيّ، المعروف بابن أبي زَمَنِينَ، نزيلُ قرطبة، سمع وروى، كان عارفاً بمذهب مالك، مقتفياً لآثار السلف، له «المقرَّب في اختصار المدوَّنة»، و«المُنْهَب» في الفقه؛ توفي سنة أربع مائة أو ما قبلها. انظر: الوافي بالوفيات: للصفدي: (٢٦٠/٣ برقم ١٣٧٦).

تبارك وتعالى عن نفسه عِلماً، والعجز عمَّا لم يدع إيماناً، وأنهم إنما ينتهون مِنْ وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيثُ انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه)[1].

فهذه بعض من أقوال أهل العلم من السلف كلها تقرر هذه القاعدة الجليلة، وتنبئ عن غاية أدبهم مع خالقهم جل جلاله، ومنهجِهم القويم في باب الأسماء والصفات، وهو أنهم يتوقفون في إثباتها على الكتاب والسنة، وينتهون من تسمية الباري ووصفه سبحانه إلى حيثُ انتهت النصوص الشرعية، ولا يتجاوزون.[2]

---

(١) رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين: لعبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري: (ص٦٠).

(٢) وهو كذلك قول سائر أهل السنة والجماعة؛ انظر كمثال: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: للإمام محمد بن أحمد السفاريني: (١/١٢٤) ؛ و رسالة السجزي إلى أهل زَبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: (ص١٢١) ؛ ولُباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن: (٢/٢٧٦) ؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٣٩) ؛ وأعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: لحافظ الحكمي: (ص٧١) ، وغير ذلك.

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

وَضَّح الشيخ بديع الدين السندي رحمه الله تعالى أنَّ منهج أهل السنة والجماعة من الصحابة ومَن تبعهم هو وَصْف الله تعالى بما وَصف به نفسَه في القرآن الحكيم، أو على لسان نبيِّه الأمين، ﷺ ، وأنه يُثْبَت له تعالى ما أَثْبَتَه هو سُبحانه لِنفسه، ويُنفى عنه ما نفى هو تعالى عن نفسه، وأنَّ صِفات الله تعالى توقيفية.

وقد استهلَّ الشيخ كتابه «التوحيد الخالص» في بيان عقيدة السلف بالأثر المشهور عن الإمام أبي عَمرو الأوزاعي[١] رحمه الله أنه قال: ((كُنَّا وَالتَّابِعُوْنَ مُتَوَافِرُوْنَ نَقُوْلُ: إنَّ اللهَ تَعالى ذِكرُه فَوقَ عَرشِه، ونؤمِنُ بِمَا وَرَدتِ السُّنَّة به مِن صِفَاتِه[٢] جَلَّ وَعَلا))[٣].[٤] وهذا الأثر الجميل عن هذا الإمام الجليل واضح في دلالته أن الإيمان بالصفات إنما يكون بما وردت به السُّنّة.

وللشيخ السندي أقوال كثيرة تدل على هذه القاعدة؛ فيقول مثلاً في وَصف كلِّ مَن حَمَل هذا الدِّين الحنيف والاعتقاد الصحيح عن سلفه الصالح من هذه الأمة المحمدية أنه: (يؤمن بربه كما أمر، ويصفه بما وصف به نفسَه وبيّن وهدَى ...)[٥].

(١) الأوزاعي هو: أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الدمشقي؛ ولد سنة ثمان وثمانين، وله كتاب «السنن» في الفقه، و«المسائل»؛ روى عن الزهري، ويحيى بن أبي كثير، وآخرين؛ وقد رويا عنه كذلك؛ ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة؛ وسكن في آخر عمره بيروت مرابطاً، وبها توفي سنةَ سبعٍ وخمسين ومائة. انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر: (١٤٧/٣٥ برقم٣٩٠٧) ؛ معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة: (١٠٥/٢).

(٢) في المصدر: (ونؤمن بما وردت السنة به من صفات جلّ وعلا)، والصواب ما أثبتُه.

(٣) أخرجه البيهقي في: الأسماء والصفات: (٣٠٤/٢ برقم٨٦٥).

(٤) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣ مخطوط).

(٥) المرجع نفسه: (ص١ مخطوط).

أي أن إيمانه بربه متوقف على ما أمره به دون زيادة ولا نقصان في عامة الإيمانيات بالله تعالى من حيث العموم، ثم خصص الشيخ بعد هذا التعميم بأنه كذلك في باب الصفات؛ فلا يصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه إلا ما بيَّن تعالى له وهداه إليه وأرشده.

كذلك قال في معرَض بيانِ أمثلة تحريفاتِ أهلِ الرأي في الأحاديث النبوية تعليقاً على ما ذكره الحافظ أبوبكر البيهقي[١] في ''كتابه «الأسماء والصفات» عن بعض الوضّاعين أنه كان يضع أحاديثَ في التشبيه[٢]، وينسبها إلى أصحاب الحديث لِيثلِبَهم بها، وأنه روى بسَنَدِه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى خَلَقَ الْفَرَسَ فَأَجْرَاهَا، فعَرَقَتْ، ثم خَلَقَ نَفْسَهُ مِنْهَا﴾[٣].

قال الشيخ: (فانظر ياذا العينين! كيف اجترَأَ على الله سبحانه وتعالى هذا الظالم؛ وَصَفَه بما لا يليق بشأنه تعالى تقويةً لرأيه!

---

(١) البيهقي؛ هو العلامة، أبو بكر؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، الخراساني؛ وُلد في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة في شعبان، وتَواليفُه تُقارِب ألفَ جزء مما لم يسبقْه إليه أحد، منها: «الزهد» و«الأسماء والصفات»؛ من شيوخه أبو الحسن العلوي، وهلال الحفَّار، وآخرون؛ وممن روى عنه أبو إسماعيل الأنصاري بالإجازة، وولده إسماعيل، وخلق؛ توفي في عاشر شهر جُمادى الأولى، سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مائة، وعاش أربعاً وسبعين سنة. انظر: شذرات الذهب: (٢٤٨/٥) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٦٣/١٨-١٧٠).

(٢) التشبيه: هو تشبيه صفات الله تعالى بغيره؛ أو: هو التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما. انظر: توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣٥).

(٣) الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢٢٩/٢-٢٣٠ برقم٧٩٤)؛ وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات: (١٤٩/١-١٥٠ رقم٢٣١) ، وقال: (هذا حديث لا يُشكّ في وَضْعه، وما وَضع مثل هذا مسلم، وإنه لَمِن أَرَكّ الموضوعات وأبْرَدها، إذ هو مستحيلٌ؛ لأن الخالق لا يَخْلُق نفسَه، وقد اتهم علماءُ الحَديث بوضع هذا الحديث محمدَ بن شجاع).

أمَّا قولُه: "لِيثلِبَهم بها": فما نَقِمَ منهم إلا أنهم وصفوا اللهَ سبحانه وتعالى بما وَصف به نفسَه في كتابه، أو على لسان نبيِّه ﷺ ، وأثبَتوا له ما أثبتَ لنفسه، ونفوا عنه ما نفى هو سبحانه وتعالى عن نفسه ... الخ).[1]

فبيّن الشيخ هاهنا أنَّ اعتقادَ أهلِ السنة والجماعة أصحابِ الحديث أنهم يَصِفون اللهَ تعالى بما وَصف به نفسَه ورسولُه ﷺ ، فهم اعتمادهم في الإثبات والنفي على ما ورد به الشرع دون زيادة ولا نقصان.

وهذا المسلك هو الذي جرى عليه الشيخ في اعتقاده في سائر المواضع، كما يوضِّح ذلك في معرض الرَّد على الصوفية، مبيناً أنَّ إيمانَ أهلِ السُّنة والجماعة بصفات الله تعالى إنما هو لِورودها في الكتاب والسُّنة، فيقول: (هؤلاء يَتَّهِمونَنا أنَّنا فِرْقة مجسِّمة[2]، مع أنَّا إنما اعتقَدْنا أنَّ الله تعالى على عَرْشِهِ لأنَّ الله هو الذي بَيَّن عن شأنه هكذا في القرآن، وهو أعلم بشأنه، وكذلك هو مبيَّن في حديث النَّبي الكريم ﷺ ، وهو أعلمُ العِباد برَبِّه تعالى)[3] .

وكان الشيخ يَعرِض الصفات المنسوبة إلى الله تعالى على هذه القاعدة، فما نزلت عليها ووافقت؛ قَبِلها، وما لم تكن كذلك؛ ردّها ولم يَقبلْها؛ فكل ما لم يثبت في القرآن أو السُّنة من الأوصاف فهو باطل عنده.

وكذلك مما يدل على تقرير الشيخ لهذه القاعدة الجليلة أنه كلَّما ذكر عقيدةَ أهل السنة والجماعة في إثباتِ الأسماء والصِّفات قَيَّدها بأنْ تكون قد جاءتْ في الكتاب أو

---

(١) الطَّوامُّ المُرْعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المُدْهِشَة: لبديع الدين السندي: (ص٦٩-٧١).

(٢) المجسِّمة: هم الذين يقولون إن الله -تعالى- جسم؛ ثم اختلفوا في قدر الجسم وصفاته إلى أقوال كثيرة، ويسمون كذلك الممثلة أو المشبهة؛ لقولهم إن أسماء الله وصفاته كأسماء وصفات المخلوقين. انظر لوامع الأنوار: للسفاريني: (١/٩١) ؛ والمِلل والنحل: للشهرستاني: (١/ ١١٨) وما بعدها ؛ والفَرق بين الفِرَق: للبغدادي: (ص ٢٢٥).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص): لبديع الدين السندي: (ص٩٠ مخطوط).

السُّنَّة؛ فقال مثلاً في معرض بيانه لعقيدة أهل الحديث كما في كتابه «خطباتِ راشديه (الخطباتُ الراشدية)»: (هكذا نؤمن بجميع الصفات التي جاء بيانها في القرآن والحديث، كالنَّفْس، والوَجْه، والعَين، والقَدَم، واليَدَين، والسَّمع، والبَصر ... الخ)[1].

بل إنَّ الشيخ كان يرى أنْ تُؤخَذَ كافَّة العقائِد من الوحي المنزَّل على المصطفى ﷺ ، كما يدل عليه قوله في مُستهَلاتِ أحد كُتُبه بعد التشَهُّد برسالة محمد ﷺ وعبوديته: (صلَّى الله تعالى عليه دائماً مع مَلائِه صلاةً أكثرَ مِنْ أَنْ تُعدَّ أو تُحصىَ، وسَلَّم عليه تسليماً أوسَعَ مِن أنْ يُحصَر أو يُستَقصَى، وعلى آله وأهلِه وصَحْبِه وكلّ مَن عنه روى، وأخذ عنه ما يجب اعتقاده ويَصحُّ استعمالُه وحَفِظ ووَعَى)[2].

وقد صرَّح بذلك في موضعٍ آخرَ قائلاً: (إنما يكون دِينُ المسلمين ومَذهبهم ما كان مَذهباً لِنَبيِّهم ورسولهم ﷺ الذي بعثه الله تعالى، فمَهْما كان مذهبه فهو مَذهبُنا، وكذلك عقيدتُنا تكون وفقاً لِما عليه رسولُنا ﷺ)[3].

إلى غير ذلك من أقواله المقرِّرة لهذا المنهج وتلك القاعدة، والدّالَّة على أنه لا يوصَف الله تعالى إلا بما وَصف به نفسَه أو رسولُه ﷺ ، ولا يقول في ذلك بالرأي والقِياس، لأن القول بهما في هذا الباب قولٌ بلا عِلم، وتقوُّل على الله تعالى من غيرِ سُلطانٍ ولا بُرهان، ولذلك يقول الشيخ رحمه الله عن الرأي والقِياس: (... أن الرأي والقياس مرَكَّب من الخطأ والصواب؛ ولا يُلزم بالرَّأيِ أحد؛ فكيف يكون مرجعاً يؤخذ به بمثابة القرآن والحديث!!..)[4].

---

(١) خطباتِ راشديه (الخطبات الراشدية) أردو: لبديع الدين السندي: (١/٢٥٧).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٣) غير الله كى نذر و نياز (النذر والخضوع لغير الله) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦).

(٤) تنقيدِ سَديد بر رساله اجتهاد وتقليد (التنقيد السديد على الرسالة: الاجتهاد والتقليد) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٧).

فاتضح من ذلك كلِّه أنَّ أسماء الله تعالى وصفاتِه توقيفيَّةٌ، وأنه لا مجالَ للعَقل والرّأي في إثباتها كسائر الاعتقادات، وإنما يقال فيها بالتَّسْليم التّام والإيمانِ بالغيب.

تَطْبيْقَاتُه العَمَلية لهذِهِ القَاعِدَة:

كان الشيخ رحمه الله تعالى كثيراً ما يطبّق هذه القاعدة تطبيقاً عملياً لإثبات الأسماء والصفات، فيكتفي لإثباتها بإيراد النصوص مِن القرآن أوالسُّنة فيها، ويشير إلى أنَّ هذه هي عقيدة السَّلَف؛

فمثلاً يقول في كتابه «خالص توحيد (التوحيد الخالص)»: (عقيدة أهلِ السُّنة سَهْلة ميسرة؛ وهي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾[1])[2].

فاكتفى الشيخ في هذه العبارة الموجزة لإثبات صفات الله تعالى بإيراد النص القرآني، مما يدل على أن الأصل عنده هو التوقف عند النصوص الشرعية، فما ثبت فيها أثبته، و لم يتجاوز القرآن أو الحديث.

ثم استمر الشيخ بذكر ما جاء في المنقول من الصفات العليا للباري سبحانه، فقال: (... القرآن الحكيم يُفصِح هكذا: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[3]، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾[4]، ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[5]،

---

(١) سورة طه: (٥-٨).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨٨ مخطوط)؛ وانظر له أيضاً: حق وباطل عوام كى عدالت مين (الحق والباطل في محكمة العوام) أردو: (ص٣٨).

(٣) سورة النجم: (٤٣).

(٤) سورة النجم: (٤٨).

(٥) سورة الشعراء: (٧٩–٨٠).

﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[1]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ ... ﴾[2]،

﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[3]، وفي القرآن الحكيم: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾[4]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ... ﴾[5] ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾[6] ...)

إلى أن قال: (وصِفةُ كلام الله أنه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا... ﴾[7]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ... ﴾[8]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[9]، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[10] ...

وصفة إلهــنا أنــه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ... ﴾الآية[11])[12].

---

(١) سورة الأنعام: (١٤).

(٢) سورة الأنعام: (٦٠).

(٣) سورة الشورى: (١٢).

(٤) سورة الأنعام: (٧٣).

(٥) سورة سبأ: (٢٣).

(٦) سورة ص: (٨٤).

(٧) سورة الأنفال: (٢).

(٨) سورة المائدة: (٨٣).

(٩) سورة الرعد: (٢٨).

(١٠) سورة الزمر: (٢٣).

(١١) سورة الحشر: (٢٣).

(١٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨٩-٩٠ مخطوط).

وقال أيضاً رحمه الله وهو يصف الرب سُبحانه وتعالى: (أمَّا إلهنا فما أسهلَ لنا وَصفه وأيسرَه وأحصرَه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (1)، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (2)، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ (3)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (4)، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ...﴾ (5)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ (6) ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (7)، ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ ...﴾ (8) ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ (9) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ (10)، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (11) ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ (12).

---

(1) سورة الأعراف: (٥٤).

(2) سورة مريم: (٩٣–٩٤).

(3) سورة الأنعام: (١٨).

(4) سورة الشورى: (١١).

(5) سورة الشورى: (٤٩).

(6) سورة المائدة: (١).

(7) سورة البروج: (١٦).

(8) سورة الرعد: (٤١).

(9) سورة العنكبوت: (٢١).

(10) سورة الروم: (٣٧).

(11) سورة البقرة: (٢٥٥).

(12) سورة غافر: (٦٠).

هذا هو شأنه الذي يعرفه به جميع مخلوقاته ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾(1).

وعرّف موسى وهارونُ عليهما السلام اللهَ تعالى أمام فِرعون، فقالا: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾(2).

وقال إبراهيم عليه السلام أمام المَلِك: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ... ﴾(3) وقال لقومه: ﴿ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ... ﴾(4) وقال في موضع آخر: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾(5)، وفي موضع آخر قال: ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾(6).

وقال زكريا عليه السلام: ﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ ﴾(7)، ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾(8).

وقال أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(9).

أيضاً قال يونس عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾(10).

---

(1) سورة الإسراء: (٤٤).

(2) سورة طه: (٥٠).

(3) سورة البقرة: (٢٥٨).

(4) سورة الأنبياء: (٥٦).

(5) سورة الشعراء: (٧٨-٨٢).

(6) سورة إبراهيم: (٣٨).

(7) سورة مريم: (٤).

(8) سورة آل عمران: (٣٨).

(9) سورة الأنبياء: (٨٣).

(10) سورة الأنبياء: (٨٧).

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وقال هود عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

وقال صالح عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[3].

وقال شعيب عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[4].

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[5].

وقال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ ... ﴾[6].

وقال سُليمان عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[7].

والوصف الذي عرّف به نبيُّنا الكريم ﷺ اللهَ تعالى قد امتلأ القرآن والحديث ببيانه، وهذه هي العقيدة الصحيحة، أماتنا الله تعالى عليها، إنه تعالى مجيب الدعوات)[8] انتهى.

فهكذا كان الشيخ رحمه الله يقرِّرُ هذه القاعدة في تقريراته العِلمية، وتطبيقاته العَملية في سائر مباحث الأسماء والصفات، وقد نص الشيخ في آخر النصوص أن الوصف الذي عرّف به نبيُّنا الكريم ﷺ اللهَ تعالى قد امتلأ القرآن والحديث ببيانه، فهو

---

(١) سورة نوح: (١٠-١٢).

(٢) سورة هود: (٥٦).

(٣) سورة هود: (٦١).

(٤) سورة هود: (٩٠).

(٥) سورة المائدة: (١١٤).

(٦) سورة يوسف: (١٠١).

(٧) سورة ص: (٣٥).

(٨) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩١-٩٢ مخطوط).

بذلك يشير إلى أنه لا يُتجاوز ذلك الوصف، وبيّن أن هذا هو الاعتقاد الصحيح والمنهج السليم، فما ثبت في القرآن والسنة من أوصاف الرب يُثبَت له سبحانه، وما نُفي في القرآن والسنة يُنفى عنه، ولا يُثبت شيئاً من أوصاف الرب تعالى بناء على مجرد العقله والرأي، وهذا الذي ذكرته عن الشيخ في هذا الموضع نَزْر يسير من أمثلة ذلك.

مسألة: لا يوجد لفظ مرادف للفظ الجلالة ''الله'' في لغة من اللغات:

تبين مما سبق تقرير الشيخ لهذه القاعدة: أنَّ أسماء الله تعالى توقيفية، يُتوقف في إثباها على نصوص الكتاب والسُّنة؛ ويتفرع على هذا: هل يوجد لفظ مرادف للفظ الجلالة ''الله'' في لغة من اللغات؟ فقد أجاب الشيخ عن هذا السؤال المهم؛

يقول الشيخ: (هذا الاسم المبارَك ذاتي، مستعمل هكذا في العَربية وغيرها من اللُّغات، سواء ورد مكتوباً أم منطوقاً، لا يوجد لفظٌ مترادف لـــ''الله'' في لغة من اللغات، وما استُعملت من الألفاظ في اللغات الأخرى كلُّها بمعنى المعبود، يعني: الإله)[1].

ثم ذكر الشيخ بعضاً من الألفاظ المستعملة التي تُطلق على الله تعالى في بعض اللغات كأمثلة لذلك؛ كلفظة ''خُدا'' بالفارسية، ولفظة ''جاد God'' بالانجليزية، ولفظة ''ايل'' أو ''ال'' بالعبرانية أو السِّرْيانية، وبعض الألفاظ بالهندية والسّنْسكريتية، وبيّن عن كل منها أنها لاترادف لفظ الجلالة ''الله'' بالعربية، ولذلك لا تقوم مقامه.

فقال مثلاً عن اللفظة الفارسية: (هكذا في اللغة الفارسية لفظ''خُدا'' لكن المراد به أيضاً اسم الصفة) ثم قال مبيناً أصل لفظة ''خُدا'' أنه (يقال: إنَّ ''خدا'' بمعنى الآتي بنفسه، وهو لفظٌ مرَكّب من كلمتين ''خود (بنفسه)'' و ''آ (ائْتِ)'' على صيغة الأمر، لكنها تفيد معنى اسم الفاعل إذا اتصلت بالكلمة الأخرى، فيقال له ''خُدا'' لأنه أظهر آيات قدرته من غير احتياج لأحد ...) إلى أنْ قال: (ثبت من هذا البحث أنَّ هذا اللفظ

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٤٣).

بمعنى الوصف؛ وهو المالك، والصَّاحب، والرفيق، وغيره من معاني ''الإله''؛ وأن هذا اللفظ ليس مرادفاً لاسم ''الله'' ولا هو بمعناه،

ولهذا السبب يستعمل اسم ''الله'' في الفارسية كتابةً وقراءةً؛ وأما هذا اللفظ، يعني: ''خُدا'' فإنه يمكن استعماله بمعنى ''الإله'' عند القراءة والكتابة)[١].

وأما عن لفظة ''جاد God'' بالانجليزية فبين الشيخ أنها أيضاً بمعنى ''الإله'' وليست مرادفة للفظ الجلالة ''الله''؛ فقال: (وكذلك لفظ ''جاد God'' في اللغة الانجليزية أيضاً بمعنى ''الإله''، وهو يعني: المعبود)[٢].

إلى أن قال: (لذلك يُكتب ويُنطق لفظ ''الله'' في الانجليزية: ''Allah'' حين الكتابة والقراءة؛ أما لفظ ''God'' فيجوز استعماله بمعنى لفظ ''الإله'')[٣]

وكذلك الألفاظ العَبرانية والسّرْيانية؛ قال الشيخ: (يستعمل لفظ ''ايل، أو: ال'' باللغة العبرانية أو السريانية، لكن فيه أيضاً معنى الرّبوبية، ولذا يكون ترجمةً لـــ''الإله'' أو ''الرب''، ولكن لا يرادف اسم ''الله'' لأنّ ''ال'' بمعنى الربوبية؛

ففي لسان العرب» [ص٢٦ ج١١]: ''قال الفرَّاء[٤]: "الإِلُّ القرابة، والذِّمة العَهْد، وقيل: هو من أسماء الله عز وجل. قال: وهذا ليس بالوجه؛ لأن أسماء الله تعالى معروفة

---

(١) انظر: تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٤٣-٤٤).

(٢) المصدر نفسه: (ص٤٤).

(٣) المصدر نفسه: (ص٤٦).

(٤) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، له من التصانيف: «الحدود»، و«المعاني» وغيرها؛ أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي، وكان يؤدب ابني المأمون؛ توفي سنة سبع ومئتين في طريق مكة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان: (٦/١٧٦-١٨٢).

كما جاءت في القرآن وتُلِيَت في الأخبار. قال: و لم نَسمع الدَّاعي يقول في الدعاء: يا إلْ ..! كما يقول: يا الله، ويا رحمنُ، ويا رحيمُ، يا مؤمن، يا مهيمن".[1]

قال الإمام الراغب[2] في «المفردات (ص١٩)»: "وقيل: إلّ، وإيلٌ اسمُ اللّه تعالى، وليس ذلك بصحيح".[3]

وعلى كل حال ثبت أنه لا يوجود في أيّ لغةٍ لفظٌ مرادفٌ لاسم الله)[4].

فتقرَّرَ من هذا كلِّه أنَّ الشيخ رحمه الله تعالى يَرى أنه لا مرادِف لِلَفظ الجلالة في أيِّ لُغةٍ من اللُّغات، لا العَرَبية ولا العَجَمية، وذلك مبني على ما أسَّسه من البُنيان القويم أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيقية، تُثبت كما وردت من غير زيادة ولا نقصان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) لسان العرب: لابن منظور: باب الهمزة (١/١١٣).

(٢) الراغب هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني؛ اللغوي، سكن بغداد؛ من تصانيفه: «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«حلّ متشابهات القرآن»، و«المفردات في غريب القرآن»؛ توفي سنة اثنتين وخمس مئة من الهجرة. انظر: معجم الأدباء: لياقوت الحموي: (٣/١١٥٦ برقم٤٠٢) ؛ وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الخوانساري: باب ما أوله الحاء المهملة (٣/١٨٦ برقم٢٧٣) ؛ والموسوعة الفقهية الكويتية: (٣٤٧-٣٤٨) ؛ وبُغية الوعاة: للسيوطي: (٢/٢٩٧ بر قم ٢٠١٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني: (١/٢٥).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٤٧-٤٨).

القاعدة الثانية

''أَسْـــمَاءُ اللهِ تَعَـــالَى كُلُّـــهَا حُـــسْنَى''

أسماء الله عزوجل كلها حُسنى؛ أيْ: بالغة في الحُسن غايته. وواصفها بالحسنى هو الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[1]، فهي بالغة في الحسن غايته وكماله، لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، وذلك لتضمنها صفات الكمال العظيمة، ونعوت الجلال والجمال المجيدة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[2]، فلا هي دالة على صفات نقص محض، ولا هي يعتريها الانقسام إلى المدح والقدح، بل إنما كانت دلالتها على صفات الكمال، وجميع نعوت الجمال، وقد انفرد الله سبحانه بها، فلا يوصف بها أحد من خلقه كائناً من كان.

و(مثال ذلك: ''الحَيّ'' : اسمٌ من الأسماء الحسنى لله تعالى، وهو متضمِّنٌ للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال؛ الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغيرها)[3].

وهذه القاعدة قد أقرها علماء السلف أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به؛ ولهذا كانت كلها حسنى)[4].

---

(١) سورة الحشر: (٢٤).

(٢) سورة طه: (٨).

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٧).

(٤) منهاج السنة النبوية: لابن تيمية: (٥/٤٠٩).

وقال تلميذه الحافظ ابن القيِّم رحمه الله: (وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء؛ فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حِكمة ومصلحة وعدل ورحمة ... الخ)[1].

إلى غير ذلك من أقوال العلماء الكثيرة التي فيها تقرير لهذه القاعدة العظيمة، وبيان أن جميع أسماء الله تعالى حسنى، لا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، أكتفي على المذكور منها في هذا المقام بُغية الاختصار، والله وحده للنقص الجبَّار.[2]

---

(١) الفوائد: لابن القيم: (ص٢٦٥).

(٢) انظر كتاب: الفتاوى الكبرى: لابن تيمية: (٢/٢٨٣-٢٨٤ ، ٥/٢٣٠) ؛ ومنهاج السنة النبوية: له: (٥/٤٠٩) ؛ وبيان تلبيس الجهمية: له: (٣/٢٩٨) ؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٩).

تقرير الشيخ بديع الدين السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:

نصّ الشيخ رحمه الله تعالى في مستَهَلِّ كتابه «تشريح الأسماء الحسنى» أنّ جميع أسماء الله عزوجل التي سمّى بها نفسَه حُسْنى، فقال: (أسماء الله تعالى كلها حُسْنى، وبها ينبغي أنْ يُدعَى، ولا توجد ذات سواه تتصف بهذه الأسماء الحسنى)[1].

وقال في كتابه «خالص توحيد (التوحيد الخالص)»: (أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العليّ المتعالي الأعلى، العزيز الجبار المتكبِّر، الخالق البارئ المصوِّر، له الأسماء الحسنى)[2].

وقد ذكر الله سبحانه في محكم تنزيله أربعاً من الآيات الكريمات تنص على كون أسماء الله تعالى حُسنى، ذكرها الشيخ جميعاً على ترتيب ورودها في القرآن الكريم[3]، وهي:

١ - قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[4].

٢ - وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[5].

٣ - وقوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[6].

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٧).

(٢) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٣) انظر: تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٧).

(٤) سورة الأعراف: (١٨٠).

(٥) سورة الإسراء: (١١٠).

(٦) سورة طه: (٨).

٤ - وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[1].

ثم قرَّرَ الشيخ رحمه الله بعد إيراده للآيات المذكورات أنه يجوز للعبد في دعائه أن يدعو بأيّ اسم شاء من أسماء الله عزوجل؛ إذ أسماؤه تعالى كلُّها حُسْنى، واستدل لذلك بحديث شريف؛ فقال رِدْف الآيات السابقة: (يُدعى الله بأيّ اسم من أسمائه؛ كما في «صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

﴿مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَه هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتِيْ بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قضاؤُكَ، أسْأَلُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ به نفْسَكَ، أوْ أنْزَلْتَه في كتابكَ، أوْ علَّمْتَه أَحَداً مِّنْ خَلْقِكَ، أوْ اسْتَأْثَرْتَ[2] به في عِلْمِ الْغَيْب عنْدَكَ، أنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيْعَ قلْبِي، ونُورَ بَصَرِيْ، وجِلاءَ حُزْنِي، وذَهَابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّه وأَبْدَلَه مَكانَ حُزْنِه فَرَحاً.

قالوا: يا رسول الله! ينبغي لنا أنْ نتعلّمَ هذه الكلمات؟ قالَ: أجَلْ؛ يَنْبغيْ لِمنْ سمِعَهنَّ أنْ يَّتَعَلَّمهُنَّ﴾[3]..)[4].

---

(١) سورة الحشر: (٢٤).

(٢) الاستئثار: هو الانفراد بالشيء. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (٢٢/١).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: (٢٥٣/٣ رقم الحديث٩٧٢) ، والحديث قال عن إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط عند تعليقه عليه في «الإحسان» في الموضع المذكور: (إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح) ؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الدعاء، باب ما ذكر في الاستغفار (٨٦/١٠ برقم٢٩٩٣٠ ، ٢٩٩٣١) ؛ وأحمد في مسنده: (٢٤٦/٦-٢٤٧ برقم٣٧١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٨٣/١ برقم ١٩٨-١٩٩، وابن القيم في شفاء العليل: لابن القيم: (ص٥٣٧).

(٤) انظر: تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٧-٢٨).

فتبين من هذا كله تقرير الشيخ عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، ليس فيها نقص ولا ذم ولا سَوء؛ بل كلها أسماء مدح وحمد، وستتضح هذه القاعدة مزيداً في القواعد الآتية.

القاعدة الثالثة

"أَسْمَاءُ اللهِ الْحُسْنَى أعلام وأوصاف"

هذه القاعدة متفرعة عن سابقتِها التي تقرَّر فيها أنّ أسماء الله عز وجل كلّها حُسنى، فمِن مُقتضَى كون أسمائه سبحانه حُسْنَى أنها تدل على معاني حَسنة، فهي أعلام باعتبار، وأوصاف باعتبار؛ فباعتبار دلالتها على الذات هي أعلام، وباعتبار دلالتها على معانيها التي دلَّ عليها اشتقاقُها هي أوصاف.

فمن عقيدة أهل السُّنة والجماعة أنَّ أسماء الله دالة على معاني حسنة في غاية الكمال، وليست هي أعلاماً جامدة التي لم توضع باعتبار معناها، كما زعم ذلك المعتزلة[1] الذين يقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، وهكذا ينفون المعاني التي دلت عليها الأسماء الحسنى! فأسماء الله الحسنى ليست أعلاماً مجردة كما زعموا، بل هي تدل على معان وأوصاف حسنة، فهي أعلام وأوصاف؛ فيقال: (الله سميع بصير، له سمْعٌ وبصَر؛ إذ لا يُعقل مسمًّى سميعاً بصيراً في لغةٍ ولا عقلٍ في النشوء والعادة والمتعارَف إلا مَنْ له سمع وبصر)[2].

---

(١) المعتزلة: هي فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول؛ ترجع إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء حين قال وهو في مجلس الحسن البصري أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، بل في منزلة بين المنزلتين، وسميت معتزلة لأن إمامها واصِل اعتزل مجلسَ الحَسَن؛ أخذتْ بالعقل وغَلَتْ فيه بتقديمه على النقل. ولهم أصول ذات دلالات خالفوا فيها أهل السنة، وعليها مدار مذهبهم، وهي خمسة: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الفَرق بين الفِرَق: للبغدادي: (ص٢٠-٢١ ، ١١٤) ؛ والملل والنحل: للشهرستاني: (١/٥٦-٥٩).

(٢) التبصير في معالم الدين: لابن جرير الطبري: (ص١٤١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ونعلَم أنّ ما وُصِف الله به من ذلك فهو حقّ ليس فيه لُغْز ولا أحاجيّ؛ بل معناه يُعرَف من حيث يُعرَف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلمَ الخلْق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف، والدلالة والإرشاد، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء ...)[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وكذلك أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح؛ فلو كانت ألفاظاً مجردة من معاني لها لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[(٢)] فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال.

ولهذا لما سمع بعض العرب قارئاً يَقرأ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ قال: ((والله غفور رحيم)) قال ليس هذا كلام الله تعالى، فقال القارئ: أتكذِّبُ بكلام الله تعالى؟! فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٣)] فقال الأعرابي: صدَقتَ، عزّ فحكم فقطع، ولو غَفر ورَحِم لَمَا قَطع، ولهذا إذا خُتِمتْ آية الرحمة باسم عذاب، أوبالعكس؛ ظهر تنافر الكلام، وعدمُ انتظامه)[(٤)].

قلتُ: ولذا فإن المسلم إذا دعا ربَّه توسَّل إليه في دعائه بما ناسَبَ مطلوبَه من الأسماء الحُسْنى-كما سيأتي تقريره في كلام الشيخ السندي-، فعند رجائه الرحمة توسَّل

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية: (ص٢٥٥-٢٥٦) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/٢٦).

(٢) سورة الأعراف : (١٨٠).

(٣) سورة المائدة: (٣٨).

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام: لابن القيم: (ص٢٧٨-٢٧٩).

إليه باسمه الأَحْسَن ''الرَّحْمن'' و ''الرَّحِيْم''، وعند طَلبِه المغفِرةَ من الذنوب ناداه متوسِّلاً باسمه ''الغَفُور'' و''الرَّحِيم''، وإذا استفتح على عدُوِّه توسَّل باسمه ''الفتَّاح''، وإذا دعا عليهم بالهلاك والدّمار توسَّل بـــ''العزيز، الجبَّار، القهار''، وهكذا في جميع المقامات، ولا تسمع داعياً يقول: يا قهار يا شديد العقاب اغفرلي! أو: يا رحمن أهلِكْ عدوِّي! ولولا أنَّ للأسماء الحسنى من معان تدلُّ عليها لَصَحَّ ذلك القول من الدعاء، ولَساغ التوسُّل بما دلَّ منها على القهر والغضب في مقام الرَّأفة والرَّحمة، ولكنه لا يَصِحّ؛ لكونها تدل على معانيها وحقائقها، فلكل مقام من الدعاء ما ناسبه من الأسماء الحسنى.[1]

(١) انظر: مزيداً من تقرير أهل السنة لهذه القاعدة في: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص١١).

*** تقرير الشيخ السندي رحمه الله لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

قد مشىَ الشيخ على مِنْوال السلف الصالح في هذه القاعدة، فبيّن في عِدة مواضع أنَّ أسماء الله عزوجل تقتضي معاني حَسنة، وله من الجُمل ما تدل على هذا المعنى؛ فيقول مثلاً في مقدِّمة كتابه «تشريح الأسماء الحسنى»: (في الحقيقة أنَّ في كلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى دَرْس من دُروس التوحيد)[1].

وهذا يدل أنَّ أسماء الله تعالى ليستْ جامِدة بل لها معانٍ حَسنة، لأنَّ التوحيد أعظم المعاني وأحسن المدلولات للأسماء الحسنى.

وقال بعد ما ذَكر حديث أبي هريرة ﷺ الوارد في الصحيحين أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : ﴿ إنّ لِلّهِ تِسْعَةً وَّتِسْعِيْنَ اسْماً مِائَةً إلاَّ واحِداً مَّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة ﴾[2] قال: (وهذا لأجل أنَّ مَن حَفظ هذه الأسماء، وقرأها مَرَّة بعدَ مَرَّة توجّه قلبُه إلى الله، لأنه سيَدلُّه كُلِّ اسمٍ من الأسماء على قُدرة الله تعالى ورحمته وعطائه، فيَبقَى قلبه خالصاً لله تعالى، ولا يَنفكُّ عن المسارعة والجِدّ في الأعمال الصالحة كلَّما يَرى مِن مظاهرِ رحمة ربه، ويداوم على التوبة من الذنوب كلَّما يرى غضبه وقهره، ومَن كان كذلك فإنه يَدخل الجنة يقيناً؛ لأنَّ حُكم رسول الله ﷺ يوافق عينَ حُكم الله، والله لا يخلف الميعاد)[3].

فدلَّ هذا الكلام على أنَّ كل اسمٍ من أسماء الله تعالى يدل على معان حِسان، فهي يدل بعضها على القُدْرة والرّحمة والعطاء، ومنها ما يدل على صفة الغضب والقهر، مَنَّ علينا الرّحمن من رحمته وعطائه، وأعاذنا من غَضَبِه وقَهرِه.

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقرار: (١٩٨/٣ برقم: ٢٧٣٦) ؛ ومسلِم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها: (١٢٣٥/٢ برقم: ٢٦٧٧).

(٣) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٩).

ولدلالة الأسماء الحسنى على معان حسنة بَيَّن الشيخ أنه ينبغي أنْ يُدعى اللهُ تعالى بما ناسب المقام منها، فقال بعد أنْ ذَكر تسعةً وتسعين اسماً من الأسماء الحسنى: (ويدعى بهذه الأسماء كلِّها، يُتوسَّل بما كانتْ له علاقة مِن المطلوب منها، فمثلاً يقال لِطَلَب الرِّزْق: يا رزّاق؛ ولِطَلب المغفرة: يا غفّار، ويا غفور؛ ولطلب الرُّشْد والهداية: يارشيد، ويا هادي؛ وفي حال المظلومية: يا قهار، ويا جبار، ويا مقسط؛ ولِطلب العلم: يا عليمُ؛ وللطلب العزة: يا مُعِزّ؛ ولِطلب الأمْن: يا سَلام، ويا مؤمن؛ وعلى هذا القياس يمكن للعبد أنْ يدعوَ مالكَهُ متوسِّلاً بجميع أسمائه)[1].

وقال في موضِع آخَر: (لأنَّ عبادَ الله يدعون الله بأسمائه الحُسنى بدلاً من هذه الشَّعْوذات والسِّحْر والتمائم، أيْ يدعونه باسمه الذي ناسب حاجتهم وضرورتهم)[2].

فعُلِم أنَّ أسماء الله تعالى تدل على معاني حسنة، ولذلك ينبغي أن يدعو الانسان ربه عز وجل متوسّلاً بما ناسب المقام من أسمائه الحسنى.

وقد ذكر الشيخ نقلاً من كتاب «أحكام القرآن» أقوالاً خمسة في وصف أسماء الله تعالى بالحسنى[3]، مبيّناً هذه الأقوال بعبارته وأسلوبه، مستدلاً بها على بينونة الخالق عن المخلوق، مثبتاً منها عُلوَّ الله على خلقه، في سياقِ رَدِّ الحلول والاتحاد، فأذكر هنا الشاهد مما قال، ثم أذكر دلالته على معنى هذه القاعدة؛

فقال الشيخ وهو يَذكرُ هذه الأقوال: (الأوَّل: أنَّ فيها معنى التعظيم، والتعظيم يقتضي المباينة ... وهكذا أيضاً يلزَم له العلو)

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص١٠٠).

(٢) قصه هاروت وماروت اور جادو كى حقيقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن: لابن العربي: (٣٣٨/٢).

ثم قال في الثالث: (في هذه الأسماء المباركة معنى الرَّحمة والكرَم؛ ولهذا هي جاذبة للقلوب، ولو كان –الله تعالى- معاً في الداخل مختلطاً فلأي شيء تكون الجاذبية؟! مع أنه لا يوجد في الخارج مسمًّى لهذه الأسماء، سبحان الله عما يصفون)

ثم قال: (الخامس: أنه يُعلَم منها ما يجب في وصفه، ويُعلَم منها ما هو مستحيل في وصفه، فبذا نَعْلَمُ بقَدْر أفهامنا أوصافه كما يليق به؛ فهناك أسماء يتضح منها علوُّه، وأنه بائن عن الخلق، الوصف الذي هو لائق بشأنه، وينتقض زعم الحلولية الذي يخالف شأنه تماماً، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى.

قال القُرْطبي[(١)]: "وحُسْن الأسماء إنما يتوجَّهُ بتحسين الشرع؛ لإطلاقها والنص عليها، وانضاف إلى ذلك أنها تقتضي معاني حَسَنة شريفة ..."[(٢)])[(٣)].

*** توضيح دلالة المقولة على هذه القاعدة:**

قد قرّر الشيخ في هذه الجملة المذكورة قاعدة أنّ أسماء الله تعالى تدل على معاني حسنة في عدة مقامات:

---

(١) القرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، أبو عبد الله الأنصاري، العارف الورع الزاهد، من كبار المفسرين، من أشهر تصانيفه: «جامع أحكام القرآن»، و«التذكار في أفضل الأذكار»، و«التذكرة بأمور الآخرة»، وغير ذلك، توفي سنة إحدى وسبعين وست مئة. انظر: الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المَذهَب: لابن فرحون المالكي: (٢/٣٠٨-٣٠٩) ؛ والوافي بالوفيات: للصفدي: (٢/٨٧ برقم٤٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (١٠/٣٤٣).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧١-١٧٢ مخطوط).

- أولاً – ذكر الشيخ أنَّ أسماء الله تعالى تدلُّ على معنى التَّعظيم، بل تعظيم يقتضي العُلو والمباينة عن الخلق؛ وهذا هو عين معنى القاعدة.
- ثانياً – ذكر الشيخ أنَّ في هذه الأسماء المبارَكة معنى الرّحمة والكرَم؛ وهذا أيضاً نصٌّ في المسألة، وهو أنَّ الأسماء تدل على معان حِسَان، فمما دلت عليها من المعاني الرّحمة والكرم.
- ثالثاً – بين الشيخ في القول الخامس أنه يُعلم من الأسماء: ما يجب في وصف الله تعالى، وما يستحيل؛ وهذا لا يمكن إلا أن تكون تلك الأسماء دالة على معاني حَسنة، لأنَّ الأسماء المجرَّدة عن المعاني لا نعلم منها ما يجب في وصف الله تعالى وما يستحيل.
- رابعاً – وفي العبارة الأخيرة التي نقلها الشيخ عن الإمام القرطبي رحمه الله نصّ على (أنها تقتضي معاني حسنة شريفة)، وهو أيضاً دالٌّ على القاعدة، وقد نَقَلها في سياق التأييد.

فتلخص من هذه الجُمل أنّ أسماء الله تعالى تدل على معاني حسنة، وليست أعلاماً جامدة مجردة عن المعاني.

ثم إنّ هذه المعاني الحسنة لأسماء الله تعالى اجتمعت إجمالاً في اسمه تعالى: ''الله'' ، وفي ذلك يقول الشيخ ملخِّصاً من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين»[1]: (الاسم الشريف ''الله'' مستلزِم لجميع معاني الأسماء الحسنى، ويدل عليها جميعاً بالإجمال، وما سِواه من الأسماء تبْيِينٌ له)[2].

---

(١) انظر: مدارج السالكين: لابن القيم: (١/٣٦-٣٧).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٤٩).

فاسم الجلالة ''الله'' مقتضٍ ومستلزمٌ لمعاني الأسماء الحسنى كلِّها إجمالاً، ولذلك فإنَّ هذا (الاسم المبارك ''الله'' أعظم شأناً في جميع الأسماء الحسنى وأجمع؛ لذا يمكن أن يقال له: الاسم الأعظم)[١].

بل وقد وقف الشيخ على عدد من أسماء الله تعالى الحسنى اسماً اسماً، ليبين منها دلالتها على علو الله تعالى، ومباينته عن الخلق، مع بيان معاني تلك الأسماء، وهذا من تقريرِه أنَّ الأسماء الحسنى تقتضي معاني حسنة، لأنَّ عُلوَّ الباري تعالى معنى من المعاني التي تدل عليها الأسماء الحسنى.[٢]

والحاصل المُرام: أنَّ أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، وليست أعلاماً محضة، وهو ما قرره الشيخ السندي في تقريراته السابقة، والله هو الموفق.

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣٦).

(٢) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧١-١٧٧ مخطوط).

القاعدة الرابعة

"أَسْـــمَاءُ اللهِ غَـــيْرُ مَحْصُـــوْرَةٍ"

المراد بهذه القاعدة أنَّ أسماء الله عزّ وجلّ غير محصورة في عدد معيّن نَعلمه، ولا غرو في ذلك، فإن كمالاتِه غير متناهية، وإنما نؤمن بما ورد به الكتاب والسُّنة من الأسماء الحسنى، ونؤمن كذلك بأنَّ لله تعالى أسماء غير ذلك، استأثر الله بها في علم الغيب عنده، لا يعلم عددَها أحد إلا هو، وقد يعلِّم بعضَها بعضاً من خلقه.

والعُمدة في هذه القاعدة حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، وفيه: ﴿ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ به نفْسَكَ، أوْ أنْزَلْتَه في كتابِكَ، أوْ علَّمْتَه أَحَداً مِّنْ خَلْقِكَ، أوْ اسْتَأْثَرْتَ بِه فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عنْدَكَ ﴾(١)؛ فصارت أقسام أسماء الله تعالى بناءً على هذا الحديث ثلاثة:

١ – قِسْمٌ مترّل في الكتب السماوية.

٢ – قسمٌ علَّمه الله بعضاً من خلقه، و لم يكن مترَّلاً في كتبه.

٣ – قسمٌ استأثر الله به في علم الغيب عنده، فلم يترله في كتاب من كتبه، و لم يعلّمه أحداً من خلقه.

وهذا التقسيم يدل دلالة واضحة على أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين نعلمه.

وفي هذا قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد»: (السادس عشر: أنَّ الأسماء الحسنى لا تَدخل تحت حصر، ولا تُحَد بعدَد، فإنَّ لله تعالى أسماءً وصفاتٍ استأثرَ بها في عِلم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرْسَل؛

كما في الحديث الصحيح: ﴿ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سمَّيتَ به نفسَكَ، أو أَنزلْتَه في كتابِك، أوِ اسْتَأْثَرْتَ بِه في علْمِ الغَيبِ عندكَ ﴾(١) صحيح على الراجح.

---

(١) سبق تخريجه في القاعدة الثانية من هذا المبحث.

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قِسمٌ سمَّى به نفسَه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرِهم، و لم يترل به كتابه؛ وقسمٌ أنزلَ به كتابه فتعرَّف به إلى عباده؛ وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه)[1].

ومما يَدلُّ أيضاً على هذه القاعدة قولُ النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي﴾[2]. وأسماء الله الحسنى وأوصافه المثلى من محامده، قال ابن القيم رحمه الله: (وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته تبارك وتعالى)[3].

وأيضاً مما يدل على عدم الحصر أنَّ الأسماء الواردة في الوحيَين أكثر من تسعة وتسعين، كما قال العلّامة ابن الوزير[4]: (وقد ثبتَ أنَّ أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المرْويّ بالضرورة والنص؛ أما الضرورة فإنَّ في كتاب الله أكثر من ذلك ... الخ.)[5].

فالمقصود أنه قد قرر علماء أهل السنة عدم حصر الأسماء الحسنى بعدد معين

---

(١) بدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾: (٦/٨٤-٨٥ برقم٤٧١٢).

(٣) بدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٤).

(٤) ابن الوزير هو: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى، الحسني، عز الدين، اليمني، من آل الوزير؛ ولد سنة خمس وسبعين وسبع مائة في اليمن؛ من كتبه: «إيثار الحق على الخلق»، و«العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» في الرد على الزيدية، ثم اختصره؛ توفي سنة أربعين وثمان مائة. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوي: (٦/٢٧٢) ؛ والأعلام: للزركلي: (٥/٣٠٠) ؛ وأبجد العلوم: لصدّيق حسن خان: (١/٣٥٨).

(٥) إيثار الحق على الخلق: لابن الوزير: (ص١٥٨).

نعلمه، وإلا فهنالك غير ذلك من نصوص الشرع وأقوال السلف الصالح التي تدل لمعنى هذه القاعدة.[1]

(١) انظر مثلاً: درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية: (٣/٣٣٢-٣٣٣) ؛ وبدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٤) ؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص١٧).

*** تقرير الشيخ السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

قد نَصَّ الشيخ على أنَّ لله تعالى أسماءً لا تنحصر في عدد معين، وأنَّ منها ما لم يطَّلع عليه أحدٌ من خلقه، بل استأثر الله به في علم الغيب عنده ولم يظهره لأحد من مخلوقاته، فقال بعد ما ذكر حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَا قَالَ عَبْدٌ قَط، إِذَا أَصَابَه هَمٌّ أَوْ حزنٌ: اللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتِيْ بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قضاؤُكَ، أسْألُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ به نفْسَكَ، أوْ أنْزَلْتَه في كتابكَ أوْ علَّمْتَه أَحَداً مِّنْ خَلْقِكَ، أوْ اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الْغَيْبِ عنْدَكَ، أنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبيْعَ قلْبِي، ونُورَ بَصَرِيْ، وجلاءَ حزْنِي، وذهابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّه، وأَبْدَلَه مَكانَ حزْنه فَرَحاً. قالوا : يا رسول الله! ، ينبغي لنا أنْ نتعلَّمَ هذه الكلمات؟ قالَ: أجَلْ ؛ يَنْبغيْ لِمنْ سَمِعَهنَّ أنْ يَّتَعَلَّمَهُنَّ ﴾[1]؛

قال الشيخ: (ثبت من هذا الحديث أن لله تعالى أسماءً حُسنى، وهي لا تنحصر في عدَدٍ معيَّن، ومن أسمائه أيضاً ما لم يظهر الله تعالى، فهو مِن علم غيبه الذي لا يعلمه أحد إلا هو)[2].

واستدلال الشيخ هذا من قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿أَو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ﴾ لأن ما استأثر الله به في علمه الغيب لا يعلمه أحد غيره، فعلم أن هنالك أسماء لا يعلمها أحد من خلقه، والعلم بعددها فرع عن العلم بها، فصح أن نقول: إن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين نعلمه.

وقد ذكر الشيخ في كتابه «تشريح الأسماء الحسنى» تِسعاً وتِسعينَ اسماً من أسماء الله تعالى وفصّل في الكلام، ثم قال في آخره: (وهنالك أسماء مباركة سِوى هذه)[3]. وهذا واضح في عدم حصره الأسماء في هذا العدد الذي ذكره.

---

(١) سبق تخريجه في القاعدة الثانية من هذا المبحث.

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٢٧-٢٨).

(٣) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص١٠٠).

القاعدة الخامسة

''إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَكُوْنُ بِلَا تَحْرِيْفٍ[١] وَلَا تَعْطِيْلٍ[٢] وَلَا تَكْيِيْفٍ[٣] وَلَا تَمْثِيْل[٤]''

هذه القاعدة اتفق عليها السلف الصالح في باب أسماء الله وصفاته، حيث يثبتونها كما نَطق بها الكتابُ والسُّنة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، واتبعهم في ذلك الخلَف الصالح بإحسان.

قال صاحب كتاب «الفقه الأكبر»: (فما ذَكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوَجْه واليد والنفس، فهو له صفاتٌ بلا كيف، ولا يقال: إنَّ يدَه قدرتُه أو نعمتُه؛ لأنَّ فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يدَه صفتُه بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتانِ مِنْ صفات الله تعالى بلا كيف)[٥].

---

(١) التحريف هو: العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره؛ وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه. الصواعق المرسلة: لا بن القيم: (١/٢١٥).

(٢) التعطيل المراد به هنا: تعطيل الخالق – سبحانه – عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله. انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم: (ص٢٥٤).

(٣) التكييف هو: أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٣٦).

(٤) التمثيل هو: اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. المرجع نفسه: (ص٣٥).

(٥) الفقه الأكبر: المنسوب لأبي حنيفة: (ص٦).

وقال عن نفي التشبيه عن الله تعالى: (لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومذهب سلفِ الأمة وأئمتها أنْ يَوصَفَ الله بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفه به رسولُه ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله)[3].

وقال في موضع آخَر: (مذهبُ أهلِ الحديث وهُمُ السلف من القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف، أن هذه الأحاديث تُمَرّ كما جاءت، ويؤمن بها، وتُصدق وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل)[4].

وللسلف في ذلك أقوال كثيرة مشهورة، كلُّها تدلّ على هذا المنهج الذي سلكوه في إثباتهم للأسماء والصفات، وهو أن يكون إثباتها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، اكتفيت هنا بما أوردته منها لإيفائها بالمقصود.[5]

---

(١) الفقه الأكبر: المنسوب لأبي حنيفة: (ص٤).

(٢) سورة الشورى: (١١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٩٥/٥).

(٤) انظر الرسالة المدنية: لابن تيمية: (ص٢٩).

(٥) انظر مثلاً: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٣٥ ، ٤٦-٥٣) ؛ ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: لمحمد الأمين الشنقيطي: (١٠٩) ضمن مجموعة المحاضرات بعنوان: ''آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي'' ؛ والفقه الأكبر: المنسوب لأبي حنيفة: (ص٤).

* تقرير الشيخ السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:

قد قرَّر الشيخ رحمه الله تعالى تَبعاً لسَلفِ أهلِ السُّنة أنَّ إثبات الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة يكون بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وفيما يلي أذكر ما اطلعت عليه من تقريراته لذلك:

أولاً ــ إثبات الأسماء والصفات يكون بلا تحريف:

نَقل الشيخ رحمه الله قولَ الإمام ابن القيم رحمه الله من غير نكير، بل في سياق التقرير، حيث قال بعد أنْ عدّد أسماء الرُّواة الذين روَوا أحاديثَ الرُّؤْية: (فهاك سياق أحاديثهم من الصِّحاح والمسانيد والسُّنَن، وتَلَقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصَّدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تكذّب بها... الخ[1])[2].

بل وقد عَقد الشيخ فَصلاً كاملاً في مقدمة كتابه «الطوامّ المرعشة» في ذم التحريف عموماً، وبَيَّن أنه حرامٌ لوجوه[3]؛ هي:

الأول : أنه كذب على الله ورسوله ﷺ :

وقد بَيّن تحته شناعة الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من خلال الكتاب والسنة، فذكر من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وغيرها من الآيات.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لابن القيم: (٢/٦٢٥).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٤ مخطوط).

(٣) انظر: الطَّوامُّ المُرْعشة: لبديع الدين السندي: (ص٢٥-٢٩).

(٤) سورة الكهف: (١٥).

وقولَ النبي ﷺ: ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ﴾[1].

ثم بين الشيخ أن كل مَن حرّف أو بدّل فقد دخل تحت هذا الوعيد في النصوص السابقة، فإنه إنْ كان التحريف بالزيادة فهو تقوّل على الله ورسوله بلا علم، وإن كان بالنقص فهو أيضاً كذِبٌ في نفيِ قولهما، أو أحدهما. فقال: (وكلّ محرِّف ومبدِّل لكلمات الله أو رسوله داخلٌ تحت هذا الوعيد الشديد، لأنه إما أنْ يزيد شيئاً من عند نفسه، فهو قد نسب إلى الله سبحانه وتعالى بغير علم أو تقَوَّل على النبيِّ المعصوم الصادق المصدوق ﷺ ، وفي بعض طُرُق الحديث المذكور: ﴿مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ﴾[2]، ... وإما أن ينقص فهذا أيضاً من باب الكذب، إذ نَسَبَ إلى الله أو رسوله نفي القول الذي قالاه، أو أحدهما.

الوجه الثاني : إنَّ فيه كتمانَ الحق وتخليطه بالباطل:

لأنه إن زاد فقد خلط الباطل بالحق، وكتم ما كان حقّاً خالِصاً، وإن نقصَ فهذا ظاهر في الكتمان، وإن بدّل وحرّف فهذا ارتكاب الأمرَين، أعني: يزيد الباطل ويغيّيب الحق ويكتمه.

ثم هو صريح في التخليط، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾** ﴾[3]، وهذا من أكبر الكبائر.

الوجه الثالث: إن هذا من عادات اليهود الشنيعة:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (٢/٨٠ برقم ١٢٩١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، بلفظ: ﴿مَنْ يَّقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ ... الخ﴾ (١/٣٣ برقم ١٠٩).

(٣) سورة البقرة: (٤٢).

وقد ذكر الشيخ تحت هذا الوجه عدة نصوص منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1].

وأخرج الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلى رَسُولْ اللهِ ﷺ ، فَذَكَرُوا له أَنَّ رَجُلاً مِّنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : مَا تَجدُونَ فِي التَّوراةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ قَالُوا نفْضحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلام: كَذَبْتُمْ، إنَّ فِيْهَا الرَّجْمُ. فَأَتَوْا بالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوضَعَ أَحدُهُمْ يدَه عَلَى آيةِ الرَّجْمِ، فَأَمرَ بهمَا النبيُّ ﷺ فرُجِمَا. وفي رواية: قال: ارْفَعْ يدَك، فَإذا فِيها آيةُ الرَّجْمِ تَلُوحُ. فقال: يَا محمّد! إنَّ فِيها آيةُ الرَّجْم، وَلكنّا نَتكاتَمُه بيْننَا، فَأَمرَ بهمَا، فرُجِمَا﴾ متفق عليه[2] ..)[3].

ثم بيَّن الشيخ ما ورد في القرآن المجيد من الوعيد بالوَيل والهلاك لِهؤلاء اليهود الذين من دأبهم التحريف والتبديل، فقال: (وقد جاء لِهؤلاء وعيد شديد؛ قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4]...)[5].

ثم ذكر الشيخ أن الله عزّ وجلّ نهانا عن اتباع اليهود ومطاوعتهم، وأن كل مَن اتَّبع اليهود وسلك مسلكهم في التحريف والتبديل فهو من الظالمين، فقال ردف الآيات

---

(١) سورة البقرة: (١٤٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢٠٦/٤ برقم ٣٦٣٥) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنا (٨١٢/٢ برقم ١٦٩٩).

(٣) الطَّوامُّ المُرْعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المُدْهِشَة: لبديع الدين السندي: (ص٢٦-٢٨).

(٤) سورة البقرة: (٧٩).

(٥) الطَّوامّ المُرْعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المُدْهِشة: لبديع الدين السندي: (ص٢٨-٢٩).

السابقة: (قد نُهينا عن اتباعهم ومطاوعتهم، وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾[1] ..)[2].

وقد اعتبر الشيخ تفسيرَ مَنْ فسَّرَ آياتِ القرآن الواردة في صفات الباري برأيه، وحَمَلَها على ما لا يليق بشأن الله عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته: من التحريف، فقال الشيخ -وهو يرد على من حمل آيات المعية والقُرْب، وما دلت منها على العلم، وآيات التوحيد التي دلت على أن الله هو الموحَّد في السماء وفي الأرض، والتي فيها عموم ملك الله، أو الآي التي فيها أمرٌ بالنظر في مخلوقات الله وآياته، أو التي فيها بعض أسمائه تعالى كالأوَّل والآخِرِ والظاهِرِ والباطِنِ، حملَها على حلول الرَّب سبحانه وتعالى في المخلوقات، أو أنه في كلِّ مكان، أو لا موجود إلا هو- ؛ قال الشيخ عن أمثال هؤلاء الذين يأملون أن يجدوا في القرآن ما يبرر مذهبهم ويتلمسون في آياته دليلاً لاعتقاداتهم الفاسدة، قال: (فمثلُ هذا الأمل من القرآن محضُ جرأة؛ وأيضاً -علاوةً على هذه الأمور- آيات القرآن التي يستدلون بها يبطلها التفسير الذي فسَّرها به السلَف والخلَف من المفسِّرين، وهذا أيضاً ظلمٌ عظيم أنْ يحاوَل لإثبات عقيدتهم بتفسير خاطئ يخالف تفسيرَ مفسِّري الأمة جَمْعاء، الذين فيهم الصحابة والتابعون، ثم الأتباع وأئمة الدِّين، هذا التفسير بالرأي يساوي التحريف تماماً، مع أن التفسير بالرأي في نفسه حرام، وموجبٌ للزّجر)[3].

وكذلك ذكر الشيخ مثالاً آخر للتحريف في أسماء الله تعالى؛ وهو تعبُّد الصوفية وأهلُ وحدة الوجود بذكر لفظة ''الله'' مفرَدَةً، من غير تأليف لها في كلام يفيد المعنى، بناءً على زَعمهم السيئ أنه: لا موجود إلا الله، قال الشيخ: (في العموم.. الصوفية والوجودية يذكرون بهذا الاسم المفرد، يُردِّدون: ''الله ، الله''، وهذا لا نجد له ثبوتاً عن

---

(١) سورة البقرة: (١٤٥).

(٢) الطَّوامّ المُرْعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المُدْهِشة: لبديع الدين السندي: (ص٢٩).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١١ مخطوط).

السلف الصالحين من القرون المشهود لهم بالخير، فضلاً من ثبوته عن رسول الله ﷺ، والصحابة الكرام رضي الله عنهم)[1].

ثم نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية تشبُّثهم بحجج واهية، أنه قال: (وربما احتج بعضهم عليه بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2] وظنوا أنه مأمور بأن يقول الاسم مفرَداً، وإنما هو جواب الاستفهام، حيث قال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا قُلِ ٱللَّهُ... ﴾[3] أيْ: الله أنزل الكتابَ الذي جاء به موسى)[4].

قال الشيخ عَقِبه: (اتضح من الآية بتمامها أنَّ هذا جوابٌ للجملة، ونُبِّه على أنّ الذي أنزل القرآن أنه ذات الله؛ المقصود أنَّ دلائل الصوفية أكثرها هكذا، مبنية على الخداع والتحريف، والله الهادي إلى سواء السبيل)[5].

ثانياً ــ إثبات الأسماء والصفات يكون بلا تعطيل:

هكذا قرّرَ الشيخ رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات في عديد من أقواله، ومن الأمثلة على ذلك: قوله وهو يَصِف سلفه الصالح ومن اتبعهم

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣٩).

(٢) سورة الأنعام: (٩١).

(٣) سورة الأنعام: (٩١).

(٤) الرد على المنطقيين: لابن تيمية: (ص٣٦).

(٥) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٤٣).

بإحسان، أن كل واحد منهم: (يؤمن بربه كما أمر، ويصفه بما وصف به نفسه وبيّن وهدَى، دون تعطيل ...الخ.)[1].

ولما أورد كلام السلف في بعض صفات الباري جلّ شأنه من المجيء والنزول قال بعده: (نؤمن بهذه الصفات بلا تعطيل...الخ.)[2]. وهكذا قوله في معرض بيان صفة استواء الله على عرشه.[3]

وقال في موضعٍ آخَر مُنكِراً على أهلِ الرَّأي الذين تجرّؤوا لِتعطيل صفات الله تعالى بناءً على أهوائهم، وكيف أنهم خالفوا سلف الأمة الصالح في ذلك، واتهموا محدّثيها ورثةَ الأمين الصادق، النبيِّ عليه الصلاة والسلام بوضع الأحاديث في التعطيل والتمثيل مع براءتهم منها، قال:

(أما هؤلاء أهل الرأي فقاموا بإزائهم، وخالفوا السلف، قالوا في شأنه تعالى ما قالوا بتعطيل صفاته، أو بالتأويل الفاسد فيها، أو بتشبيهها بصفات المخلوقين، فوضعوا روايات بحسب أهوائهم، ونسبوها إلى المحدِّثين ما هم أبرأ خلق إليه منه)[4].

وهذا يتضمن تشنيعاً واضحاً من الشيخ السندي رحمه الله على من قام بالتعطيل والتأويل، أو التشبيه في صفات الباري جل جلاله.

ثالثاً ــ إثبات الأسماء والصفات يكون بلا تكييف ولا تمثيل:

قرر الشيخ رحمه الله أن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته يكون بلا تكييف ولا تمثيل، وأنه تعالى يتره عن التشبيه وصفات النقص، وبيّن أن هذا هو مذهب أهل الحديث،

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٢) المرجع نفسه: (ص٤٨ مخطوط).

(٣) المرجع نفسه: (ص٩٦ مخطوط).

(٤) الطوامّ المرعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المدهشة: لبديع الدين السندي: (ص٧١).

فيقول في وصف مَن أخذ اعتقاده عن الرسول ﷺ من الصحب والآل، ومن تبعهم، أنه (يؤمن بربه كما أمر، ويصفه بما وصف به نفسَه وبيّن وهدَى، دون تعطيل، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا يقول: كيف؟ ولا: متى؟ ، بل يُصدِّق ويقرّ ويثبت كما جاء وأتى، وكما يذكر في آيات الله والحكمة ويُتلى، اللهمّ ثبتنا على الإيمان ووفقنا لما تحب وترضى)[1].

وقال في كتابه «تشريح الأسماء الحسنى» في بيان اسميه تعالى ''الرحمن والرحيم'' ودلالتهما على صفة ''الرحمة'': (قولُ كاتِبِ الحروف[2]: عقيدةُ أهلِ السُّنة أهلِ الحديث أعني السَّلف الصالحين: أن الله تعالى لا مثيل له في ذاته وصفاته؛ معاني لفظ ''الرحمة'' معلومة، لكن الخلق عاجز عن إدراك الكيفية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[3]؛ وهكذا هو ''رحمن'' و''رحيم'' لكن لا أحدَ يقدرُ سعةَ رَحْمتِه)[4].

فهذا تقرير واضح بيِّنٌ من الشيخ أنّ الإيمان بالأسماء والصِّفاتِ يكون بلا تَكيِيْف ولا تمثيل.

وقد نقل الشيخ في مواضع مختلفة من كتابه «التوحيد الخالص» آثاراً كثيرة عن السَّلف الصالحين تدل على نفي التكييف والتمثيل في باب الأسماء والصفات، منها:

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٢) يقصد به الشيخ نفسه.

(٣) سورة الشورى: (١١).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٥١-٥٢).

- قول أم سلمة[١] رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢] قالت: (الْكَيْفُ غيرُ مَعْقُول، والاسْتِواءُ غيرُ مَجْهُول، والاقْرَارُ بِه إيمَانٌ، والْجُحُوْدُ بِه كُفْرٌ)[٣].[٤]

وفي هذا المعنى قول الشيخ رحمه الله تعالى عن صفة الاستواء حيث قال: (بل نقول كما قال هو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٥] ونؤمن به بلا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونقول -كما قال السلف-: المعنى معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والجحود به كفر، والبحث عنه بدعة)[٦].

---

(١) أم سلمة: هي هند بنت أبي أُمَيّة، واسمه حذيفة، وقيل سهل، القرشية المخزومية أم المؤمنين، مشهورة بكنيتها أم سلمة، وأمها عاتكة بنت عامر، وكانت تحت أبي سلمة بن عبد الأسد، ولما مات زوجها خطبها النبي ﷺ ، قال بن حبان: ماتت في آخر سنة إحدى وستين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (١٤/٢٦٠-٢٦٣ رقم الترجمة ١١٩٨٥).

(٢) سورة طه: (٥).

(٣) الأثر أخرجه اللالكائي في: شرح أصول السنة: (٢/٤٤٠-٤٤١) ؛ وهو لم يَصح إسناده عن أم سلمة، يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٥/٣٦٥): (وقد رُوِي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه)؛ وقال الذهبي في كتاب العلو: (ص٨١): (فأمَّا عن أم سلمة فلا يَصِح)؛ لكن معناه صحيح؛ لأن أثر الإمام مالك رحمه الله في هذا المعنى قد تناقله أهل العلم عنه وتلقوه بالقبول، قال ابن تيمية: (قد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره) مجموع فتاوى ابن تيمية: (١٣/٣٠٩).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٢ مخطوط).

(٥) سورة طه: (٥).

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٦ مخطوط).

– ومنها قول الإمامين أبي حاتم[1] و أبي زرعةَ[2] الرازِيَين رحمهما الله تعالى حِين سُئِلا عن مذهب أهل السُّنة في أصول الدِّين وما أدركَا عليه العُلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؛ فقالا: ((أَدْرَكْنا العُلماءَ في جميعِ الأَمْصارِ حِجازاً[3] وعِراقاً ومصراً[4] وشَاماً

---

(١) أبو حاتم: هو محمد بن إدريس بن المنذر الرازي؛ أحد الأئمة الحفاظ، من أقران البخاري ومسلم، ولد في الري، وإليها نسبته؛ من مصنفاته: «طبقات التابعين»؛ وكتاب «الزينة»، وغير ذلك؛ توفي ببغداد سنة ست أو سبع وسبعين ومائتين من الهجرة. انظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنُّة المشرَّفَة: لمحمد بن جعفر الكتَّاني: (ص١٣٩) ؛ والأعلام: للزركلي: (٢٧/٦).

(٢) أبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يَزيد بن فرُّوخ، الرازي، القرشي مولاهم، مولى عيّاش بن مطرِّف القرشي، كان إماماً ربانيّاً، متقناً، حافظاً، مكثِراً، صادقاً، قال إسحاق بن راهوَيْه: كل حديث لا يحفظه أبو زرعة فليس له أصل. ولد سنة مئتين بعد الهجرة، وتوفي سنة أربع وستين ومئتين منها. تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٣٣/١٢-٤٧ برقم ٥٤٢٢) ؛ والعبر في خبر من غبر: للذهبي: (٣٧٩/١).

(٣) الحِجاز: بالكسر، وآخره زاي، جبل ممتد حال بين الغور، غور تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما. قال الأصمعي: الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة، إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد، فمن الحجاز المدينة والطائف. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: (٢١٨/٢-٢٢٠).

(٤) مصر: سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قال صاحب الزيج: طول مصر أربع وخمسون درجة وثلثان، وعرضها تسع وعشرون درجة وربع في الإقليم الثالث. انظر: معجم البلدان: للحموي: (١٣٥/٥-١٤٣).

وَيمناً؛ فكانَ مَذْهبُهم: أنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى علَى عَرْشِه، بائنٌ مِّنْ خلْقِه، كما وَصف نفسَه بلا كيف، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [1]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]..))[3].[4]

- ومنها قول الإمام الخطابي رحمه الله[5]: ((ولَيْسَ معنىَ قولِ المسلمِين: "إنّ اللهَ علَى العرْش" هوَ أنَّه مماسٌّ له، أو مُتَمكِّنٌ فيه، أو مُتحيِّز في جهةٍ مِّنْ جِهاته؛ لكنّه بائنٌ منْ جميعِ خلقِه، وإنما هو خبرٌ جاءَ به التوقيفُ فقُلنا به، ونفَيْنا عنه التكْيِيْف، إذْ ليسَ كَمِثلِه شيءٌ، وهو السَّميعُ البَصير))[6].[7] إلى غير ذلك من الآثار التي نقلها الشيخ في نفي علم الكيفية لصفات الباري جلّ شأنه.

ومما يدلّ أيضاً على تقريره لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة وتطبيقه إياها قولُه في معرض الرّد على الحلولية مبيناً حقيقة مذهبهم أنَّ: (معبودهم مرّة يكون في صورة، وأخرى في صورة؛ تارة يكون مدوَّراً، وتارة مربَّعاً، وأخرى مثلّثاً، سَمِين في حين، وفي حين آخر يكون نحيفاً..!!

---

(١) سورة الطلاق: (١٢).

(٢) سورة الشورى: (١١).

(٣) العلو للعلي الغفار: (ص١٨٨)، وصححه الألباني في مختصر العلو: (ص٢٠٤).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣-٤ مخطوط).

(٥) الخطابي: هو أبو سليمان، حمْد بن محمد بن إبراهيم البُستي، من ولد زيد بن الخطاب؛ حافظ، لُغوي، فقيه، وصاحب تصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة، وعُني بالحديث متناً وإسناداً، من تصانيفه: شرح السنن؛ وكتاب في غريب الحديث. توفي بِبُسْت سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة من الهجرة. انظر: سِيَر أعلام النبلاء: للذهبي: (٢٣/١٧).

(٦) أورده البيهقي في الأسماء والصفات: (٢٨٠/٢ برقم٨٤١).

(٧) خالص توحيد (التوحيد الخالص): لبديع الدين السندي: (ص٨١ مخطوط).

لكن معبودَنا اللهَ منزَّهٌ عن تلك الصِّفات التجسُّمِية كلِّها، هؤلاء يَتَّهِمونَنا أنَّنا فرقة مجسِّمة، مع أنَّا إنما اعتقدنا أنّ الله تعالى على عَرْشِهِ لأنَّ الله هو الذي بيّن عن شأنه هكذا في القرآن، وهو أعلم بشأنه، وكذلك حديثُ النبي الكريم ﷺ بيانٌ لذلك، وهو أعلمُ العِبادِ برَبِّه تعالى، ثم إيماننا عليه بلا كيفيّة ولا كمّية، ولكن أهل الدنيا قد أبصروا أنَّ هؤلاء الذين يثبتون لله تعالى الكيفية والكمية هم المجسِّمَة، سبحانه عما يصفون)(١).

كذلك أنكر الشيخ إنكاراً شديداً على أهل الرأي الذين وضعوا روايات مكذوبة في التشبيه، فإن الشيخ بَيَّن أنّ ذلك: (مِن عادات أهل الرأي أنهم يسوّون الأحاديث على آرائهم وأقْيِسَتِهم)(٢)، وذلك وقايةً لمذهبهم وعقيدتهم، يعتقدون اعتقاداً، فيلتمسون أدلةً لما اعتقدوه بناءً على هواهم، وتعصُّباً لمذهبهم الفاسد الكاسد، وعداءً لأهل السُّنّة والجماعة، وثأراً على أهل الأثر وانتقاماً منهم؛ يلوون أعناقَ الأدلة لِيُصيِّروها وفقاً لتلك الآراء، إنْ وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وإلاّ ذهب أحدهم لِيضعَ أحاديث مكذوبة مِن تِلقاء نَفسِه، ثم يَنسبِها إلى الرسول ﷺ ، وهو أبرأ خلق الله إليه منه.

فهكذا تجد أحدهم يضع أحاديث في تشبيه الله الخالق سبحانه وتعالى بأدنى خلق من مخلوقاته، دون أن يخشى الله الجبار، ولا خوفٍ من عذاب العزيز القهار، وفي بيان هذا ذَكر الشيخ السندي رحمه الله تعالى مثالاً لبعضهم في تشبيهه الخالق بالمخلوق، معنِّفاً إياه بتعنيف شديد، بل ويصفه بالظُّلم حيث قد وصفَ اللهَ تعالى علواً كبيراً بما لا يليق بشأنه، فإليكم ذلك المثال:

نقل الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه «الطّوامّ المرعشة»(٣) عن الإمام البيهقي من

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٠ مخطوط).

(٢) الطَّوامُّ المُرْعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المُدْهِشَة: لبديع الدين السندي: (ص٣٠).

(٣) انظر: الطوامّ المرعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المدهشة: لبديع الدين السندي: (ص٦٩–٧١).

كتابه في الأسماء والصفات أنه روى بسندٍ فيه محمد بن شجاع الثلجي[1] -وكان يضع أحاديث في التشبيه- عن النبي ﷺ قال: ﴿إنَّ اللهَ تعَالى خَلَق الفرَسَ فأَجْراها، فعرقتْ، ثُمَّ خَلَق نفسَه مِنْها﴾[2].

قال الشيخ السندي: (محمد بن شجاع الثلجي من كبار الحَنَفِيَّة) فذكر ترجمته نقلاً عن بعض العُّلماء الحنَفِيِّين أنه (كان فقيهَ أهل العراق في وقته، والمقدَّم في الفِقه والحديث وقراءة القرآن، مع ورع وعبادة)[3].

ثم قال: (فهذا حال فقهائهم وعبّادهم وصلحائهم، يكذبون على الله ورسوله ﷺ ، ثم على الصحابة، ثم على رواة الحديث، ولايستحيون! سبحانه وتعالى عما يقول المجاهرون علوّا كبيراً، وهو تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[4].

فانظر ياذا العينين! كيف اجترأ على الله سبحانه وتعالى هذا الظالم، وَصَفَه بما لا يليق بشأنه تعالى تقويةً لرأيه...) إلى أن قال: (أما هؤلاء أهل الرأي فقاموا بإزائهم، وخالفوا السَّلَف، قالوا في شأنه تعالى ما قالوا بتعطيلِ صفاته، أو بالتأويلِ الفاسِد فيها، أو

---

(١) هو محمد بن شجاع الثلجي، البغدادي الحنفي، من أصحاب الحسن بن زياد، أحد عباد الجهمية، كان يقف في مسألة القرآن، وينال من الكبار؛ سمع من ابن علية، ووكيع، وطبقتهما؛ روى عنه يعقوب بن شيبة، وحفيده، وعدة؛ من تصانيفه: «المناسك»؛ و«تصحيح الآثار»؛ مات سنة سِت وستين ومائتين. انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (٥٧٢/١٤) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (٣٧٩/١٢ برقم١٦٣) ؛ والجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر القرشي الحنفي: (١٧٣/٣-١٧٥ برقم١٣٢٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر القرشي الحنفي: (١٧٣/٣ برقم١٣٢٦) ؛ والفوائد البهية في تراجم الحنفية: للكنوي: (ص١٧١-١٧٢).

(٤) سورة الشورى: (١١).

بتشبيهِها بصفاتِ المخلوقين، فوَضعوا رواياتٍ بحسب أهوائهم، ونسبوها إلى المحدّثين ما هم أبرأ خلقٍ إليه منه)[1].

وخلاصة القول كما قال الشيخ بعد أنْ ذكرَ بعض صفات الباري تعالى: (نؤمن بهذه الصفات بلا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيهٍ ولا تمثيل، نؤمن بها كما وردت في النصوص)[2] فهذا هو منهج أهل السُّنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات، وهو المنهج الذي كان به يوصي الشيخ طلابه، كما قال لبعضهم: (وأوصيه أنْ يَلزمَ الطريقة المستقيمة التي سَلَكها أسلافُنا الصّالحون، الصحابة والتابعون، وجميع أهل الحديث المتمسكون ... وأنْ يجتنب عقائد أهل الرأي المحدثة، من أهل التعطيل والتشبيه والتأويل)[3].

فالقول بالتعطيل والتشبيه والتأويل الذي هو التحريف مما ذهب إليه أهل الرأي وبِدعهم، وليس من منهج أهل السنة بشيء، وهي الوصية التي أختم بها تقرير الشيخ لهذه القاعدة، فنعمت الوصية من موصٍ شفيق حريص.

---

(١) انظر: الطوامّ المرعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المدهشة: لبديع الدين السندي: (ص٦٩-٧١).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٨ مخطوط)، وانظر منه: (ص٩٦).

(٣) منجد المستجيز لرواية السنة والكتاب العزيز: لبديع الدين السندي: (ص٥٤-٥٥).

القاعدة السادسة

''الْقَوْلُ فِيْ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِيْ الذَّاتِ''

معنى هذه القاعدة أنَّ إثبات الصفات يكون كإثبات الذات، فكما نثبت ذات الباري بلا تكييف ولا تمثيل، فكذلك نثبت صفاتِه تعالى بلا تكييف ولا تمثيل.

فهي رد على مَن أثبت لله تعالى الذات ونفى عنه الصفات، بحجة أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل والتكييف، فيقال له: القول في الصفات كالقول في الذات.

أيْ: أنّ إثباتنا الصفات لله تعالى كإثباتِنا له ذاته؛ فإن إثبات الذات له تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفيّة، فكذلك إثبات صفاته من السمع، والبصر، والكلام، والنزول، والاستواء، وغير ذلك من صفاته تعالى، إثبات وجود لا إثبات كيفية، إذ القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، والتفريق بينهما من التناقض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مذهب أهل الحديث -وهم السلف من القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف- أن هذه الأحاديث تُمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتُصدّق وتُصان عن تأويلٍ يُفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل.

وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف -منهم الخطابي- مذهب السلف: أنها تجرى على ظاهرها، مع نفي الكيفية، والتشبيه عنها.

وذلك أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله؛ فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات كيفية؛ فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية)[1].

---

(١) انظر الرسالة المدنية: لابن تيمية: (ص٢٩-٣٠).

وقد قرر السلف هذه القاعدة الجليلة في غير ما موضع من مصنفاتهم ورسائلهم إلجاماً بها لأهل البدعة والتعطيل، وهو أصل من أصولهم في باب الصفات.(1)

---

(١) انظر تقرير هذه القاعدة في: التدمرية: لابن تيمية: (ص٤٣) ؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٤٧) ؛ ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: لمحمد الأمين الشنقيطي: (ص٩٩) ضمن مجموعة المحاضرات بعنوان: ''آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي'' ؛ وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ: (١٣٤/١٣).

*** تقرير الشيخ السندي رحمه الله لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

قرر الشيخ السندي رحمه الله هذه القاعدة، وهي أننا كما نقول في ذات الله تعالى أنه لا يماثل الذَّوات، فكذلك نقول في صفات الله تعالى؛ إذِ القول في الصفات كالقول في الذات.

يقول الشيخ في بيان هذا: (يتضمن الاعتقاد بتوحيد الله تعالى: أنه كما هو في ذاته لا مِثلَ له، فكذلك جميعُ صفاته لا مِثلَ لها، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾[1] ..)[2].

وكذلك ذكر الشيخ هذه القاعدة في كتابه «التوحيد الخالص»[3] في سياق نفي التمثيل عن الله عز وجل نقلاً من كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله مؤيداً إياه أنه قال: (ومذهب السَّلَف بيْنَ التعطيلِ وبيْنَ التَّمْثيل؛ فلا يمثِّلون صفاتِ الله بصفات خلقِه، كما لا يمثلون ذاتَه بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسَه، أو وَصفهُ به رسولُه ﷺ ، فيعطِّلون أسماءه الحسنى وصفاته العُلى، ويحرِّفون الكلِم عن مواضعه، ويُلْحِدون في أسماء الله وآياته)[4].

فقوله من هذه الجملة: (فلا يمثِّلون صفاتِ الله بصفات خلقِه، كما لا يمثلون ذاتَه بذات خلقه) هو عين هذه القاعدة المذكورة: ''القول في الصفات كالقول في الذات''؛ فأهل السنة والجماعة كما لا يمثِّلون ذات الله تعالى بذوات المخلوقين، فكذلك هم يجتنبون التمثيل في صفات الله بصفات خلقه، لأن الكلام في الصفات فَرْعٌ عن الكلام في الذات، والقول فيها كالقول في الذَّات.

---

(١) سورة الشورى: (١١).

(٢) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٨).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص): لبديع الدين السندي: (ص١١٩ مخطوط).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية: (ص٢٥٦-٢٥٧).

القاعدة السابعة

"أَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتُهُ لَيْسَتْ حَادِثَة، بَلْ هِيَ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ"

هذه القاعدة معناها أنَّ أسماء الله عز وجل وصفاتُه ليستْ حادِثة، أيْ ليست مخلوقة، أو كانت بعد أنْ لم تكن، بلْ هي أسماؤه وصفاته أزلاً وأبداً، وهذا الذي يعنون به أهل السنة والجماعة بنفيهم كونَ الأسماء والصفات حادثة، كما قال الشيخ حافظ الحَكَمي(١) رحمه الله تعالى في كتابه «معارج القبول»:

جَلَّتْ صِفاتُ ربّنا الرحمن * * * عنْ وصفها بالخَلق والحَدَثان(٢)

أيْ: جلت صفات الرب عز وجل عنْ أنْ توصفَ بأنها مخلوقة، فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق.

فمثلاً صفة الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والإرادة، والعلم، والقدرة، والعلو، والخَلق، والتدبير، كلها صفات أزلية أبدية كذاته، وليست حادثة مخلوقة، لأن القول بحدوثها -أي: خلقها- يلزم منه وصفُ الله سبحانه بالنقص قبل الكمال، والله جل جلاله له الأسماء الحسنى، وله المثل الأعلى في السموات والأرض.

---

(١) حافظ الحكمي: هو الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد العلماء الأعلام، ولد في رمضان من سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة وألف، بقرية السلام، الواقعة في جنوب الشرقي من مدينة جازان. كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ؛ من أشهر مشايخه الشيخ عبد الله القرعاوي. من مصنفاته: سلم الوصول إلى علم الأصول، الذي طلب تأليفه منه شيخه وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره؛ توفي سنة سبع وسبعين وثلاث مائة وألف. انظر: مقدمة ابنه أحمد حافظ الحكمي: على كتاب معارج القبول: (١/١١-٢٦).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول: لحافظ الحكمي: (١/٣٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠).

ففي رد الإمام الدارمي: في سياق الرد على من زعم أنَّ أسماء الله تعالى مخلوقة قوله: (أرأيتم قولكم: إنّ أسماء الله مخلوقة؛ فمن خلقها؟! أو كيف خلقها؟! أجعلها أجساماً وصُوراً تشغل أعيانُها أمكنةً دونه من الأرض والسماء، أم موضعاً دونه في الهواء؟!

فإنْ قلتُم: لها أجسام دونه؛ فهذا ما تنقمه عقول العقلاء؛ وإنْ قلتم: خلقها على ألسِنَة العِباد فدعوه بها، وأعاروها إياه؛ فهو ما ادعينا عليكم إنَّ الله بزعمكم كان مجهولاً لا اسم له حتى حدث الخلق فأحدثوا أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد بالله وبأسمائه، والتكذيب بها)(1)

أما كون هذه الصفات في أيِّ وقتٍ شاءه الله، فهي حادثة بهذا المعنى، وهو تعالى موصوف بها أزلاً وأبداً؛ فالله موصوف بأنه متكلم أزلاً وأبداً، وهو يتكلم إذا شاء كيف شاء، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك كلامه؛ لم يزل متكلماً بمشيئته شيئاً بعد شيء)(2) فكلام الله لموسى عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾(3) واقعٌ حين كلّمه، وهو موصوف بالكلام أزلاً وأبداً؛ فهي صفة قديمة النوع باعتبار أنه تعالى لم يزل متصفاً بها، حادثة الأفراد، باعتبار تجدُّد وقوعها.

قال الإمام الدارمي في نقضه: (والله تعالى وتقدس اسمه، كل أسمائه سواء، لم يزل كذلك، ولا يزال، لم تحدث له صفةٌ ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين، وعالماً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيراً قبلَ أنْ يَرى أعيانهم مخلوقة)(4).

---

(1) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي: (ص١٠-١١).

(2) مجموع الفتاوى: لابن تيمية: (٣١٢/٦).

(3) سورة النساء: (١٦٤).

(4) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي: (ص٩).

وقد تكرَّرَ في كلام السَّلَف الصالح رحمهم الله جميعاً معنى هذه القاعدة، وخلاصة قولهم أن أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته الذاتية ليستْ حادثة، بمعنى مخلوقة، أو وجدت بعد أنْ لم تكن، بل أسماؤه تعالى وصفاته أزلية أبدية، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضدِّه، سُبحانه وتعالى وتقدس.[1]

(١) انظر تقرير هذه القاعدة لدى السلف في كتاب: الفقه الأكبر: المنسوب لأبي حنيفة: (ص٤ ، ٦) ؛ وشرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز: (ص١٢٤) ؛ ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي: (ص١٣).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

بيّن الشيخ هذه القاعدة في عدة مواضع من تقريراته لمذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، مقرِّراً أنَّ أسماء الله وصفاته ليست حادثة بل هي أزلية أبدية، اتصف بها سبحانه في الأزل بلا ابتداءٍ، وهو موصوف بها بلا انتهاء.

وقد قصد الشيخ كسلَفِه من عدم كون الصفات حادثة: معنى ليست مخلوقة، كما يتضح هذا جلياً من قوله: (صفات الله غيرُ فانية، أزليةٌ، وصفاتُنا حادثة، فانية ...)[(١)] حيث قابَل في هذه الكلمة الحدوثَ بالأزل، والفناء بعدم الفناء، فصفاتنا حادثة مخلوقة، وصفات الله أزلية غير مخلوقة.

وهي قاعدة استعملها الشيخ للرد على الصوفية الحلولية المخالِفينَ لمذهب أهل السنة والجماعة، الذين جعلوا الله في كل مكان، أو قالوا ''لا موجود إلا هو'' سبحانه وتعالى عما يصفون.

ففي إحدى مصنفاته وفي معرض الرد على الحلولية وبيان ما يلزم من عقيدتهم من الباطل يقول رحمه الله تعالى: (الصفات التي جاء ذكرها في القرآن والحديث، مثل: السمع، والبصر، واليد، والكلام، والوجه، والقَدم، والنفس، والعلم، والقدرة، والرحمة، والغضب، والمجيء، والإتيان، والضحك، والعجب، والاستحياء، وغيرها كلها صفاته الأزلية بدون ابتداء.

فالآن لو سلّمنا بعقيدة الحلول هذه، وأن كل شيء مظهره، وأنه قد ظهر هكذا؛ فإنَّه يلزم منه: أنَّ بصرَ الأحياء وسمْعَهم، وكلامَهم، وعِلْمهم، ورَحْمهم، وغضبهم، وذهابهم، وضحكهم، وغيرها كلُّها صفاته تعالى، وكذلك تبرُّد وتسخّن الأشياء التي لا حياة لها، وصمْتها، وغير ذلك كلُّها تَظهر صفاته منها، وعليه تكون جميع صفاته حادثة، لم يكن قبله يسمع ولا يبصر ولا يكلّم ولا يعلَم، ولا كانت هذه الصفات صفاته، وإلا

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: للشيخ بديع الدين السندي: (ص١٣٧ مخطوط).

فلا يكون معنىً للحلول، ولا تُرى فائدة لظهوره هكذا، فإلههم هو بعينه إلهُ آزر[1]، كما قال ابنه سيدُنا إبراهيم عليه السلام مخاطِباً إيّاه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، فاعتقادُ حلولِ الله تعالى في شيء يلزم منه حدوثُ صفاته، وهو باطل، فهذا أيضاً مثله)[3].

وقال أيضاً: (بل إذاً تكون صفة الله ''الظاهر'' حادثةً، وقائمةً بالغير، معاذ الله، وإلا فـ''الظاهر'' اسمٌ من أسماء الله الحسنى، وأسماؤه المباركة وصفاته المقدسة كلها أزلية أبدية)[4].

كما قال في جواب استدلال الصوفية على حلول الرب جلّ شأنه بحديث موضوع على الرب الذي له خزائن السموات والأرض، وهو: ﴿كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً لَا أُعرَفُ، فأحببْتُ أنْ أُعرَفَ؛ فخلَقتُ خلْقاً فعرّفْتُهم بي، فعرَفُوْني﴾[5] قال: (فهذه رواية دارِجَة على ألْسِنة العوام، لا أصل لها، بل هي في معناها منكرة وباطلة، لا يمكن أن يكون كلاماً للنبي الأكرم، ﷺ ؛ وذلك لوجوه؛ أولاً: يلزم منه حدوث اسم الله تعالى ''الظاهر''؛ بل هو كان ظاهراً قبل وجود الممكنات، تعالى شأنه)[6].

---

(١) جاء في: فتاوى اللجنة الدائمة: (١٧١/٤): (آزر هو أبو إبراهيم؛ لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ﴾ وهذا نص قطعي صريح لا يحتاج إلى اجتهاد، ورجح ذلك الإمام ابن جرير وابن كثير) انتهى. وقيل إنه اسم عَمِّه.

(٢) سورة مريم: (٤٢).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٩ مخطوط).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) رواه السيوطي في الدر المنتثرة: (ص١٦٣ برقم٣٣٠) وقال: (لا أصل له) ؛ وكذا قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (١٦٦/١ تحت رقم٦٦).

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠١ مخطوط).

ثم قال في الوجه الخامس: (خامساً: ففي هذا المعنى لم يبق اسم الله تعالى ''الباطن'' أبديّاً، بل جميع أسمائه كانت من قبل، ولا زالت؛ وهو لم يزل ولا يزال)[1].

وفي سياق الرد على القائلين بوحدة الوجود واستدلالاتهم بالآيات القرآنية قال: (القرآن إما غير مخلوق وقديم[2]، أو مخلوق وحادث؛ على الأول: إنْ كان فيه ذِكْر هذا الحلول، ويخبر عن كونه في كل مكان، فهذا يكون -معاذ الله- كذباً، لأنه في ذاك الوقت لم يكن شيء موجوداً مخلوقاً، كان الله و لم يكن شيء، هكذا كانت جميع صفاته كالكلام وغيره موجودة من قبل، فلِمَ ذُكر فيه مثل هذا الخبر الكاذب؟ ومعلوم أن كلام الله متره عن كل كذب ... وعلى الثاني: فهذه العقيدة باتفاق أهل السنة كفر)[3].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠١ مخطوط).

(٢) وصف القرآن بأنه قديم يراد به معنيان: معنىً حق: وهو أنه غير مخلوق، وأن جنس الكلام في حق الله تعالى قديم، لم يزل متكلما متى شاء كيف شاء؛ وهذا هو مقصود الشيخ في هذا الموضع، وهو مأخذ من أطلق هذا اللفظ في حق القرآن من أهل السنة، كقول أبي القاسم اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٤٩/٢) حيث قال: (سياق ما روي عن النبي ﷺ مما يدل على أن القرآن من صفات الله القديمة) ؛ وآخر معنى باطل: وهو أن القرآن تكلم الله به في الأزل ثم لم يتكلم بعد؛ ومع ذلك فإنه من الألفاظ المحدثة المجملة غير مأثورة، فلأجل هذا وذاك كان ينبغي أن لا يطلق لفظ القِدم على القرآن، وإنما يقال كقول السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٤/١٢): (إن السلف قالوا: القرآن كلام الله مترل غير مخلوق، وقالوا لم يزل متكلما إذا شاء. فبينوا أن كلام الله قديم، أي جنسه قديم، لم يزل، و لم يقل أحد منهم إن نفس الكلام المعين قديم، ولا قال أحد منهم القرآن قديم؛ بل قالوا: إنه كلام الله مترل غير مخلوق).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٠ مخطوط).

وأيضاً في جواب استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ... ﴾[1] قال الشيخ: (فيأتي السؤال أنه كيف يمكن أنْ يَفنى الفاني في غير الفاني؟!

أيضاً: إنَّ ''النفس'' صفة مِن صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ... ﴾[2] وغيرها من الآيات، لكن صفات الله غيرُ فانية، أزليةٌ، وصفاتُنا حادثةٌ فانية ...)[3].

فاتضح من هذه الجُمَل أنَّ صفات الله تعالى أزلية قديمة قِدَمَ الموصوف، كانتْ و لم يك شيء قبل الله.

وله غير ذلك من الأقوال في تقريره لهذا الأمر، وخلاصة القول أن الشيخ رحمه الله قد قرر ما قرره السلف الصالح مِن أن صفات الله تعالى ليست حادثة، بل هو متصف بها أزلاً وأبداً، أزلاً في القِدم، وأبداً في المستقبل.

---

(١) سورة الأعراف: (٢٠٥).

(٢) سورة آل عمران: (٢٨).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣٧ مخطوط).

القاعدة الثامنة

"تنقسِمُ صِفاتُ اللهِ تَعالى إِلى قسمين: ذاتية، وفعلية"

تنقسم الصفات الثابتة لله تعالى باعتبار تعلُّقها به إلى قسمين: الصفات الذاتية، والصفات الفِعلية.

فأما الصفات الذاتية: فهي التي لا تنفك عن ذات الله سبحانه وتعالى(١)، أو التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها(٢)؛

مثال ذلك: صفة العلم، والقدرة، والبصر، والسمع، والحياة، والوجه، واليد، والرِّجْل، والعِزة، والعظمة، والكِبْرياء، والعلو، والغِنى، وغيرها كثير من الصفاتِ صفاتٌ ملازمة لذات الله تعالى، لا تنفك عنه، فهو لم يزل ولا يزال متصفاً بها.

وأما الصفات الفعلية: فهى التي تنفك عن الذات، أو الصفات التي تتعلق بمشيئة الله عز وجل وقدرته(٣)، بمعنى: إنْ شاء فعَلَها، وإنْ شاء لم يفعلْها؛ كصفة الخَلْق، والرَّزْق، واستواء الله تعالى على عرشه، ونزوله، ومجيئه، والضحك، والرضى، والسخط، إلى غير ذلك من الصفات التي تتعلق بمشيئة الله سبحانه.

وقد تكون منها بعض الصفات ذاتيةً وفِعليةً في آن، فتكون ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، فالكلام هي صفة ذاتية لله تعالى؛ باعتبار أنه لم يزل ولا يزال يتكلم، لا تنفك عن ذاته هذه الصفة، وهي مع ذلك صفة فعلية؛ وذلك باعتبار أنه سبحانه يتكلم إذا شاء.

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: لعبد العزيز المحمد السلمان: (ص٤٢٩).

(٢) انظر: الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢٧٦/١) ؛ ومعجم التعريفات: للجرجاني: (ص١١٤).

(٣) انظر: الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢٧٦/١) ؛ ومعجم التعريفات: للجرجاني: (ص١١٤).

يقول الإمام أبوحنيفة رحمه الله تعالى: (لم يزل ولا يزال بصفاته: الذاتية، والفعلية؛ أما الذاتية: فالحياة، والقدرة، والعلم، والكلام، والسمع، والبصر، والإرادة.

وأما الفعلية: فالتخليق، والترزيق، والإنشاء، والإبداع، والصنع، وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه)[1].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: (الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية؛ فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة؛ ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين؛ والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء ...الخ)[2].

وهذا التقسيم للصفات إلى ذاتية، وفعلية، وذاتية فعلية نبه إليه أهل العلم لحاجتهم إلى ذلك، وإلا فإن السلف الصالح والصحابة الكرام كانوا يدركون هذه المعاني، ولم يكونوا يتكلمون بهذه المصطلحات، ولذلك لا تكاد تجد شيئاً من أقوالهم في ذلك، لكن لما انتشرت الأهواء والبدع وتخبط الناس فيها احتاج العلماء إلى أن ينصوا على هذا التقسيم ونحوه من التقسيمات الأخرى، فقسَّموا وفصَّلوا مثل تقسيمهم للتوحيد، وكمثل

(١) الفقه الأكبر: المنسوب لأبي حنيفة: (ص٤-٥).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد ابن عثيمين: (ص٣٤).

تقسيمهم لأفعال العبادات إلى أركان وواجبات وسنن، فهو قول سائر أهل السنة والجماعة في باب الصفات؛ أن صفات الله تعالى ذاتية وفعلية.[1]

(١) انظر تقرير هذه القاعدة وتقسيمها إلى نوعين ذاتية وفعلية في كتاب: أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: لحافظ الحكمي: (ص٦٥-٧١) ؛ والحق الواضح المبين: لعبد الرحمن السعدي: (ص٢٣-٢٤) ؛ وشرح مختصر خليل: لمحمد الخرشي: (١/١٨).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:**

قد نصّ الشيخ رحمه الله تعالى على بعض الصفات أنها ذاتية وعلى بعضها أنها فعلية، في مواضع عديدة، وهذا يدلّ على أنه يرى تقسيم صفات الله تعالى إلى هذين القسمين:

١. الصفات الذاتية.

٢. والصفات الفعلية.

فمثلاً يقول عن اسمه تعالى ''الله'': (هذا اسم ذاتي لذات رب العالمين المباركة، الذي هو أعظم الأسماء كلها وأجمع)[١] وقال: (الحاصل لفظ ''الله'' اسم خاص ذاتي لله تعالى)[٢].

وقال عن وجود لله تعالى: (... وجود كل شيء عطاء الله تعالى وهبته ... لكن وجود الله تعالى ذاتي متره عن الاحتياج، وبقية الأشياء وجودها محتاج إلى تخليق من الله تعالى ...)[٣].

وما ذهب إليه الشيخ من تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية تقسيم صحيح للصفات، وذلك لاشتماله على جميع أنواع الصفات الثابتة لله جل شأنه، فهذا المذهب في التقسيم للصفات هو بعينه ما سلكه السلف في تقسيمهم لها، ويؤيده في ذلك الكتاب والسنة، لأن نصوص الصفات ورد بعضها بإثبات الصفات الذاتية، وبعضها الآخر ورد بإثبات صفات الأفعال تتعلق بالمشيئة، ولا تجد صفة من الصفات الثابتة في نصوصِ الْكِتابِ والسُّنَّة تخرج عن هذينِ القِسْمَين أَلْبتّة.

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣١).

(٢) المرجع نفسه: (ص٣٣) ، وانظر منه: (ص٤٣).

(٣) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣١).

القاعدة التاسعة

''صِـــفَاتُ اللهِ لاتَقُـــومُ بِغَيرِه من المخلوقات''

إنَّ من معتقد أهل السنة والجماعة إثبات قيام الصفات بذات الله تعالى، لأن ضابط الصفات الإلهية الثبوتية عندهم هو ما قام بالذات الإلهية، ووردت به نصوص القرآن والسُّنة، فهم يثبتون قيام صفات الله تعالى بذاته، سواء كانت ذاتية، أو فعلية.

أما ما أضيف من الأشياء إلى الله عز وجل إضافة تشريف وتكريم، وهي أعيان قائمة بنفسها، أو حالّة في تلك الأعيان القائمة بنفسها، فليست هي مِن صفاته، لأنها لم تقم بالذات الإلهية، بل هي من مخلوقاته، والصفات قائمة بالموصوف، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فعُلم أنه لا يتصف إلا بما قام به، لا بما يخلقه في غيره؛ وهذا حقيقة الصِّفة؛ فإنَّ كلَّ موصوفٍ لا يوصف إلا بما قام به، لا بما هو مباين له، صفة لغيره)[1].

ويقول في موضع آخر: (... فإذا أخذ النافي يذكر ألفاظاً مجملة، مثل أن يقول: لو كان فوق العرش لكان جِسماً[2]، أو لكان مرَكَّبًا وهو منزَّهٌ عن ذلك ... ولو قامت به الصفاتُ لحلَّته الأعْراض وهو منزَّهٌ عن ذلك؛ فهنا يستفصلُ السائل ويقول له: ماذا تريدُ بهذه الألفاظ المُجمَلة؟

فإن أراد بها حقًا وباطلًا، قُبِلَ الحقُّ، ورُدَّ الباطل؛ مثل أن يقول: أنا أريد بنفي الجسم نفيَ قيامه بنفسه، وقيام الصفات به، ونفي كونِه مركبًا، فنقول: هو قائم بنفسه،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٣١٨/٦).

(٢) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: الجسم هو المرَكّب المؤَلَّف مِن الجوهر. معجم التعريفات: للجرجاني: ، باب الجيم مع السين (ص٦٨).

وله صفات قائمة به، وأنتَ إذا سَمَّيتَ هذا تجسيمًا، لم يَجُز أن أدَعَ الحق الذي دلّ عليه صحيحُ المنقول، وصَرِيحُ المعقول؛ لأجل تسميتك أنت له بهذا ... الخ)[1].

فمِن خِلال هذه الجُمل أثبتَ شيخ الإسلام بأنَّ صفاتِ الله تعالى قائمة بذاته سبحانه، ولا تقوم بالغير.

وأما مَن أنكرَ قيام الصفات بذات الباري جل جلاله، فمِن أعظم حُججِهم أنه يلزم منه قيام الحوادث به، والحوادث أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم.

وهي حجة واهية وهمية، إذ الأعراض تقوم بغير الأجسام كما تقوم بها، فيقال ليل طويل، وشتاء بارد، ومرض مزمن، وألَمٌ شديد، وهذه الأشياء ليست بأجسام، ومع ذلك هي موصوفة بهذه الأوصاف.

فعُلم من ذلك صحة مذهب أهل السنة، وأنَّ صفات الله تعالى قائمة به، ولا تقوم بغيره، وصارت هذه القاعدة مما يجاب بها لمن تترس بدليل حلول الحوادث والأعراض لنفي الصفات، كما فيها أيضاً رد للحلولية، كما سيأتي إن شاء الله تعالى توضيح ذلك في تقرير الشيخ السندي، فإليكم ما قرره في الأسطر التالية.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية: (١/٢٣٨-٢٣٩).

* تقرير الشيخ بديع الدين السندي لهذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة:

قد قرر الشيخ السندي رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في أن صفات الله تعالى لا تقوم بالغير، واستعمل هذه القاعدة للرد على مخالفي أهل السنة من الصوفية الحلولية في مواضع.

فيقول في معرَض الرَّد على من اعتقد بعقيدة حلول الرب -تعالى وتقدس- في المخلوقات، وأنه ما من شيء إلا وهو مَظهر له تعالى، مبيناً أن هذا الاعتقاد الباطل يلزم منه باطل آخر، وهو أن تكون صفة من صفات الله تعالى حادثة مخلوقة، وهي ما وصف الله به نفسه أنه ''الظاهر''، وأن تكون هذه الصفة تقوم بغير الله عز وجل من مخلوقاته، وهذا باطل، إذ صفات الله سبحانه لا تقوم بالغير؛

فقال: (بل إذاً تكون صفةُ الله ''الظاهر'' حادثةً، وقائمةً بالغير!.. معاذ الله! وإلا فـــ''الظاهر'' اسم من أسماء الله الحسنى، وأسماؤه المباركةُ وصفاته المقدسة كلها أزلية أبدية)[1]

ويعني بذلك أن صفاته قائمة به جلّ شأنه أزلاً وأبداً، فلا تقوم بغيره، فالله تبارك وتعالى مع أسمائه وصفاته منذ الأزل، كان ولم يكن شيء معه، والمخلوقات كلها حادثة بعد أن كانت معدومة، فكيف يكون قيام صفات الله تعالى بغيره من المخلوقات الحادثة!.

ومثله قوله أيضاً في الرد على استدلالهم على الحلول بحديث مكذوب منسوب إلى الرب تعالى أنه قال: ﴿ كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً ... الخ ﴾[2] قال: (فهذه رواية دارِجَة على ألْسِنة العوام، لا أصل لها، بل هي في معناها منكرة وباطلة، لا يمكن أن يكون كلاماً للنبي الأكرم، ﷺ؛ وذلك لوجوه) فشرع في بيان تلك الوجوه، فقال في الوجه الثاني: (الكنز

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: للشيخ بديع الدين السندي: (ص٩٩ مخطوط).

(٢) سبق تخريجه في القاعدة السابعة من هذا المبحث.

شيء مملوك، ولغيره مكنوز ومدفون) واستدل على ذلك من كلام أهل اللغة، وهو يعني به أنه صفة نقص قائمة بالمخلوق. ثم قال في الوجه الثالث: (وبناءً عليه تكون صفة الله هذه بالغير، وهو ممتنع)[1].

بمعنى: أننا لوقلنا بأن الله جلّ شأنه وتقدّست أسماؤه كان كنزاً مخفياً، للزم من ذلك أنْ تكون صفات الله قائمة بغيره تعالى، إذ الكنز شيء مملوك ومكنوز للغير مدفون، وهذا باطل وممتنع، لأن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا أزلية أبدية -كما مر بيانه في القاعدة السابعة- وقيامها بالغير لازمه أن تكون حادثة، وهذا باطل فهو كذلك باطل، وبالتالي فلا يصح استدلالهم به على الحلول.

وقصارى القول أنه قد قرر الشيخ أن صفات الباري جل شأنه قائمة بذاته العلية، ولا تقوم بالغير، لأنه حينئذ يلزم أن تكون صفاته حادثة، وهذا باطل، بل صفاته أزلية وأبدية. ولله الحمد والمنة، وهو ولي التوفيق.

وهذا اختتام ذكر تقرير الشيخ السندي رحمه الله لهذه القواعد، وإنما وضعتُ هذه الدراسة المختصرة بين يدَي هذا الباب من هذه الرسالة لتكون بمثابة البُنيان والأساس الذي يُرجع إليه عند ذكر كل صفة من صفات رب البريات، فيما يأتي من تقريرات الشيخ لها في هذه الرسالة، وغيرها مما لم تُذكر فيها.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: للشيخ بديع الدين السندي: (ص١٠١ مخطوط).

المبحث الثاني
وَسَطِيّةُ أهلِ السُّنّةِ والجَماعَةِ فيْ بابِ الأَسْماءِ وَالصِّفَات

الإسلام دين الوسطية بين الإفراط والتفريط، لا غلو فيه ولا جفاء، وقد جاء في القرآن وصف هذه الأمة بالوسطية، وهم الذين يكونون بين طرَفَيْ النقيض، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[١].

والوسط في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان واسط الحسَب في قومه، أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه.[٢]

قال الإمام الطبري[٣] رحمه الله تعالى: (وأرى أن الله تبارك وتعالى إنما وصفهم بأنهم ''وسَط''، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوّ فيه غلوَّ النصارى الذين غَلوا

---

(١) سورة البقرة: (١٤٣).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٦٢٦/٢).

(٣) الطبري هو: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، فقيه، مجتهد، من تصانيفه: «جامع البيان» في التفسير، و«تاريخ الأمم والملوك»، وغير ذلك؛ ولد بآمل طبرستان في آخر عام أربع وعشرين ومائتين للهجرة؛ وسمع محمد ابن أبي الشوارب، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وآخرين؛ وحدث عنه أحمد القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، وآخرون؛ توفي السنة العاشرة بعد ثلاث مائة. انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٥٤٨/٢ برقم٥٣٩) ؛ ومعجم المؤلفين: لمحمد رضا كحالة: (١٩٠/٣) ؛ ومعجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري: ليُسري: (١١٤-١١٥).

بالترهُّب، وقيلِهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهلُ تقصير فيه تقصيرَ اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط، واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها)[1].

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: (فدين الله بيْنَ الغالي فيه، والجافي عنه، وخير الناس: النَّمَط[2] الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلوِّ المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار، العدل؛ لتوسطها بين الطرَفَينِ المذمومَين، والعَدل هو: الوسط بين طرَفَيْ الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها)[3].

فهذه الأمة وسط من بَيْنِ الأُمَم، وهذه الوسَطِية هي الوَسَطيّة العامة لهذه الأمة المحمدية.

وهناك وسطية أخرى خاصة، وهي وسطية أهل السنة والجماعة من بين سائر الفِرق، وهي كتوسط دين الإسلام من بين سائر الأديان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذه الفرقة الناجية أهل السنة، وهم وسط في النِّحل، كما أن ملة الإسلام وسَط في المِلَل)[4].

وفي «بدائع الفوائد» لابن القيم: (وأهل السنة وسط في النِّحَل، كما أن أهل الإسلام وسط في المِلَل، تُوقَد مصابيحُ معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرْقِيَّة ولا غرْبِيَّة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٢/٦٢٦-٦٢٧).

(٢) النمط: الجماعة من الناس أمرُهم واحد؛ والنمط أيضاً: نوعٌ من الأنواع؛ يقال: ليس من هذا النمط. انظر: الفائق في غريب الحديث: للزمخشري: (٤/٢٧-٢٨).

(٣) إغاثة اللهفان: لابن القيم: (١/٣٤٤-٣٤٥).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣/٣٧٠)، وانظر منه: (٤/٢٣، ٢٤).

فنسأل الله تعالى أن يهدينا لِنوره، ويسهِّل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب)[١].

ثم إنَّ أهلَ السُّنة وسطيّتُهم شامِلة في جميع أبوابِ الدِّين وعلومه، لاسيما في باب توحيد الأسماء والصفات، فإن الناس قد انقسموا في باب الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام: قسم غلا، وقسم جفا، والثالث توسطَ ففاز بالعُلى؛ فأما من غلا فكان غلوه في التتريه، وفيه نوع من الجفاء، حيث نفى عن الله سبحانه ما سمّى ووصف به نفسه، وأما من جفا فكان جفاؤه في عدم إعطاء الأسماء والصفات حقها، فاعتقد فيها المماثلة بصفات المخلوقات، وفيه نوع من الغلو في الإثبات، وأما من توسط فهو المثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات، إثباتاً يليق بشأنه سبحانه من دون اعتقاد المماثلة، والمثبتون على هذا الوجه هم أهل الحق والوفاء.

قال ابن القيم رحمه الله في سياق بيان أنواع الإلحاد: (وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون عُلوًّا كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة[٢]؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجَحدوها، وهؤلاء شبَّهوها بصفات خلقه، فجَمَعهم الإلحادُ، وتفرّقت هم طرقُه، وبرَّأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كلِّه، فلم يصفوه إلا بما وَصَف به نفسَه، ولم يجحَدُوا صفاتِه، ولم يُشبِّهوها بصفاتِ خلقِه، ولم يَعدلوا بها عما أُنزلت عليه، لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، تتريههم خليّاً مِن التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبُد صَنماً، أو عطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدَماً، وأهلُ السنة وسطٌ في النِّحَل، كما أنّ أهل الإسلام وسَط في المِلَل... الخ)[٣].

---

(١) بدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٩).

(٢) المعطلة هم القائلون بالتعطيل؛ وقد تقدم تعريفه.

(٣) بدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٩).

فالوسطية هي المنهج والقاعدة التي يمشي عليها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، فما أحسنَ مَثلهم المضروب في إثباتهم للأسماء والصفات باللَّبَن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فَرَثِ التّعطيل ودَمِ التشبيه.[1]

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: (ص١٨٨).

*** تقرير الشيخ السندي لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

وَضّح الشيخ رحمه الله تعالى أن الوسطية والاعتدال في سائر أبواب الدين خير الأمور، فإن الأمور خيرها أوساطها، يقول الشيخ: (خير الأمور أوساطها، لا فرطها ولا إفراطها)[1] فإنَّ هذه الشريعة وسطٌ بين الجافي والغالي، وبين المُفْرِط والمفَرِّط.

وقد سبق في كلام السلف أن هذه الأمة الإسلامية من بين الأمم أمة وسط واعتدال، لا إفراط فيها ولا تفريط، وقد بين الشيخ رحمه الله هذه الوسطية بقوله: (شرَّف الله تعالى هذه الأمة بهذه الخصوصية، فقال في القرآن الحكيم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[2] أي: جعلنا هذه الأُمّة أمّةً وسطاً، لاغلو فيها ولا تفريط، بل فيها الوسطية والاعتدال، لا يفرطون في حق أحد، ولايغلون فيه، لا يتجاوزون الحد، يسلكون سيراً وسطاً، جعلنا هذه الأمة أمة مثالية ليهتدي بهم الناس من غيرهم وبعملهم)[3].

هكذا وصف الشيخ هذه الأمة بالوسطية والاعتدال، وبيّن مثاليّتها لسائر الأمم بمجانبتها الإفراط والتفريط، وقد ميّز الله سبحانه وتعالى من بين هذه الأمة أهل السنة والجماعة بهذه الصفة، فكانوا وسطاً من بين سائر الفِرق، ولاسيما في باب الاعتقاد، حيث كان التوسّط سِمة ظاهرة لهم، وقد أظهر الشيخ بديع الدين رحمه الله تعالى وسطيتهم في باب الأسماء والصفات في مواضع مختلفة؛

---

(١) تحقيق الدعاء برفع اليدين: لبديع الدين السندي: (ص١٥٣) ، المطبوع ضمن المجموعة المسماة ''اداء فرض كــ بعد هاته اٹها كر اجتماعى دعا كا ثبوت (ثبوت الدعاء الجماعي برفع اليدين بعد أداء المكتوبة)''.

(٢) سورة البقرة: (١٤٣).

(٣) اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: للبديع الدين السندي: (ص٢٦-٢٧).

فمن تلكم بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بالصفات بلا تعطيل، ولا تمثيل، وهذه هي وسطيتهم في الإثبات والتتريه؛ فبين الشيخ مذهب السلف في الصفات بأن أحدهم: (يؤمن بربه كما أمر، ويصفه بما وصف به نفسه وبيّن وهدَى، دون تعطيل، ولا تمثيل ... بل يصدِّق ويُقرّ ويُثبت كما جاء وأتى، وكما يُذكر في آيات الله والحكمة ويُتلى)[1].

فقوله في هذه الجملة: (دُون تعطيل) فيه نفي للغلو في التتريه، وقوله: (ولا تمثيل) فيه نفي للغلو في الإثبات، فهم توسَّطوا بين الإفراط والتفريط في إثبات الصفات، فما عطلوها تتريهاً، كما فعلت المعطِّلة، ولا اعتقدوا التمثيل في إثباتها، كما زعمتْ الممثلة، بل أثبتوها لله تعالى كما يليق بشأنه سبحانه إثباتاً بلا تمثيل، ونزهوا ربهم عن مماثلة مخلوقاته تتريهاً بلا تعطيل.

وقد نقل الشيخ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان وسطية مذهب أهل السنة في كتابه «التوحيد الخالص»[2] أنه قال: (ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثِّلون صفاتِ الله بصفات خلقِه، كما لا يمثلون ذاتَه بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ فيعطلّون أسماءه الحسنى وصفاته العُلى، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ويُلحدون في أسماء الله وآياته)[3].

وفي سياق الرد على الاتحادية[4] ذكر الشيخ بعضاً من الأدلة العقلية التي يستدل بها أهل الاتحاد على اعتقادهم وعدم تسليمهم علوَ الله تعالى على عرشه قائلاً: (الدليل الأول: يبينونه هكذا: أن التسليم بعلو الله على العرش يلزم منه له الجهة والمكان، وهو متره عن الجهة والمكان) وهذا الذي يسمونه دليلاً لا شك أن فيه انحياداً عن الحق

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: للشيخ بديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٢) المرجع نفسه: (ص١١٩ مخطوط).

(٣) الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية: (ص٢٥٦-٢٥٧).

(٤) الاتحادية نسبة إلى الاتحاد، وقد تقدم تعريفه في المبحث الثالث من التمهيد.

وخروجاً عن الجادة والوسطية، ففيه إفراط وتفريط؛ إفراط عند الإثبات حيث تصوروا في أذهانهم الكيفية للصفة، وتفريط عند التتريه الذي أوقعهم في التعطيل، فرد الشيخ على استدلالهم هذا بعدة أوجه، مبيناً أن أهل السنة مسلكهم في هذا هو الوسطية، فقال في خامسها وسادسها:

(يكون هذا إذا كنا نعتقد كيفيةً للاستواء، بل إنما نقول: المعنى معلوم، والكيف مجهول، فكما نؤمن بـــ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]، فكذلك نؤمن أيضاً بـــ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ ...﴾[2]؛ هذا الاعتراض إنما يرِد عليك حيث بتأويلك في هذه الآيات ترتكب التشبيه أو التعطيل)[3].

فبين الشيخ في هذا السياق وسطية أهل السُّنة في هذا الباب، وأنهم وسط بين مذهب التعطيل ومذهب التمثيل، فهم بإيمانهم باستواء الرحمن على عرشه نجوا من تعطيل المعطلة، وبإيمانهم بأن الرحمن ليس كمثله شيء نجوا من تشبيه الممثِّلة، فكانوا وسطاً، وعلى هدىً بين طريقي الضلال، كما نقل الشيخ في هذا المعنى عن الإمام القرطبي قولَه: (معنى الزيادة في الأسماء: التشبيه؛ والنقصان: التعطيل؛ فإن المشبهة[4] وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوه ما اتصف به، ولذلك قال أهل الحق: إنّ دينَنا طريق بين طريقَين؛ لا بتشبيه ولا بتعطيل[5]).[6]

وكذلك ذكر الشيخ رحمه الله في بيان القسم الرابع من أقسام الإلحاد في الأسماء والصفات نقلاً عن «تفسير المنار»[7]: (وأهل السنة والجماعة هم الذين جمعوا بين العقل

(١) سورة طه: (٥).

(٢) سورة الشورى: (١١).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦٥ مخطوط).

(٤) المشبهة: هم القائلون بالتشبيه، وقد سبق تعريفه.

(٥) تفسير القرطبي: (٣٢٨/٧).

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢ مخطوط).

(٧) تفسير المنار: (٤٤٦/٩-٤٤٧).

والنقل في تتريه الله عن مشابهة خلقه، في ذاته وصفاته وأفعاله، وبين وصفه بما وصف به نفسه، وتسميته بما سمى به نفسه، وإسناد ما أسنده إلى نفسه من الأفعال، كالاستواء على العرش، والعلو على الخلق، وغير ذلك، وأثبتوا له كل ذلك مع كمال التتريه)[1].

فاتضح مما سبق من أقوال الشيخ، وما نقل من الأقوال عن سلف العلماء من غير نكير تقريره لوسطية أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، أنهم يؤمنون بها إيماناً لا تمثيل فيها ولا تعطيل، فالله هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢-١٧٣ مخطوط).

المبحث الثالث
الإِلْحَــادُ فِيْ الأَسْــماَءِ الْحُسْنَى

احترامُ أسماءِ الله عز وجل واجبُ كل مُسلم، فإنها أساس التوحيد وبنيانه، وليس الإلحاد إنكار وجود الله فحسب - كما يزعمه بعض الناس - وإنما يتعدى ذلك إلى أمور أخرى، منها الإلحاد في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا أو بعضها، بأي نوع من أنواعه، وهو ضد التوحيد في الأسماء والصفات.

والإلحاد وإن كان كله زيغ وضلال، إلا أن وقوعه في باب الأسماء والصفات أعظم من أي إلحاد وأشنع وأقبح، لأنه إلحاد في شأن رب العالمين ومساس بربوبيته سبحانه التي دلت عليها تلك الأسماء والصفات.

تعريف الإلحاد:

الإلحاد لغة: المَيْل عن الشيء؛ واللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل؛ إذا مال عن طريقة الحق والإيمان.(١) ومنه سُمي الشق الذي في جانب القبر لحداً؛ لأنّه مائل عن وسط القبر.(٢)

وأما الإلحاد في أسماء الله تعالى: فهو الميل بها عما يجب فيها(٣)؛ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (والإلحاد في أسمائه: هو العدولُ بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها)(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (٥/٢٣٦).

(٢) انظر: لسان العرب: لابن منظور: باب اللام (٥/٤٠٠٥).

(٣) انظر: القواعد المثلى: لابن عثيمين: (ص٢٦).

(٤) بدائع الفوائد: لابن القيم: (١/٢٩٧).

فالمُلحد فيها يعدل عن التوحيد إلى الشرك، وعن الإثبات إلى التعطيل، ويميل عن الحق إلى الباطل؛ كما قال أيضاً في نونيته:

وحَقِيقةُ الإِلْحَادِ فيها الْمَيْــ * * * ــلُ بالإِشْرَاكِ والتَّعْطِيْلِ والنُّكْرَانِ[١]

وقد حذرنا الله عز وجل في كتابه المجيد من الإلحاد في أسمائه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[٢] وهذا الإلحاد أقسام عدة.

أقسام الإلحاد في الأسماء:

ذكر أهل السنة والجماعة للإلحاد في أسماء الله تعالى عدة أقسام[٣] كلها مناف للتوحيد والإيمان، أذكرها فيمايلي:

- القسم الأول: جُحودها ونفيُها لفظاً ومعنىً؛ كما فعلتْ غلاة الجهميّة[٤] وغيرهم،

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: لابن القيم: (٣/٧٤٥).

(٢) سورة الأعراف: (١٨٠).

(٣) انظر: الكافية الشافية: لابن القيم: (٣/٧٤٥-٧٤٨).

(٤) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، رجل أظهر بدعته بترمذ؛ إحدى أصول الفرق الضالة، انقسمت إلى اثنتى عشرة فرقة؛ من أهم بدعها إنكار صفة الرؤية، والقول بخلق صفات الله، والحلول، والجبر، وفناء الجنة والنار، وغير ذلك؛ ذكر الشهرستاني أن جهماً من الجبرية الخالصة، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. انظر: تلبيس إبليس: لابن الجوزي: (١/١٦٤-١٦٥ ، ١٨٠-١٨٤) ؛ والملل والنحل: للشهرستاني: (١/٩٧-٩٩) ؛ وجامع العلوم (الملقب بدستور العلماء): لعبد النبي بن عبد الرسول: (١/٤٢٥) ، ولا يجوز التعبيد لغير الله عز وجل، وأحيل القارئ الكريم لمعرفة هذه المسألة إلى المبحث التاسع عشر من الباب الثاني من هذه الرسالة، حيث يأتي تفصيلها، إن شاء الله تعالى.

وهو في الواقع قول بالعدم المحض، قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

هذا وثالثُــهم فنافيــها ونـــا * * * في مـــا تـــدلُّ عليهِ بالبُهْتانِ

ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر * * * بخالــقٍ أبـــداً ولا رحمـــنِ

هذا هو الإلحادُ فاحــذرْه لعــ * * * ــل الله أنْ يُنْجيكَ مِن نيرانِ

وتفوزُ بالزُّلْفى لَدَيهِ وجنةِ المـــ * * * ــأوى مع الغفرانِ والرِّضوان(١)

فهذا القسم أعظم الأقسامإلحاداً وكفراً بالله تعالى.

- القسم الثاني: نفي ما دلّتْ عليه من الصفات والمعاني والأحكام، وجعل ألفاظها مجرَّدة لا تدل على شيء؛ كفِعلة المعتزلة، حيث أثبتو الأسماء، ونفوا حقائقها ومعانيها وما دلت عليه من الصفات.(٢)

وقد سبق في المبحث الأول بيان أن أسماء الله تعالى تدل على معاني حسنة، وأنها أعلام وأوصاف، فـ"الرحمن" و "الرحيم" اسمان يدلان على صفة الرحمة، واسم "الخالق" يدل على صفة الخلق، و"السميع" يدل على السَّمْع، و"العزيز" على العِزّة والغَلَبة والقُوّة، وهكذا كلُّ اسمٍ من الأسماء الحسنى يدل على صفة من الصِّفات أو أكثر، فجحودها إلحاد في أسماء الباري الحُسنى.

- القسم الثالث: أن يشتق منها أسماء لمخلوق من مخلوقاته؛ كما فعل المشركون الذين اشتقوا من أسماء الله تعالى أسماء لمعبوداتهم، فسمّوا اللات من الإله أو الله، والعُزّى من

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: لابن القيم: (٢/٧٤٨) ؛ وانظر: أعلام السنة المنشورة: لحافظ الحكمي: (ص٨٤-٨٥).

(٢) انظر: شفاء العليل: لابن القيم: (ص٥٣١) ؛ وأعلام السنة المنشورة: لحافظ الحكمي: (ص٨٤).

اسمه تعالى ''العزيز''، ومناة من ''المنان'' ، قال قتادة[١] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾[٢]: ((يُشركون))[٣] أي: يُشركون في أسماء الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أن دعوا اللات والعُزّى في أسماء الله عز وجل))[٤] وهذا إلحادٌ حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.[٥]

- القسم الرابع: تمثيلها بصفات المخلوقين؛ كما يفعله الممثلة، حيث يجعلونها دالة على التمثيل، فيقولون: الله سميع بصير قدير، والإنسان سميع بصير قدير، اتفقت هذه الأسماء، فيلزم أن تتفق المسميات، ويكون الله سبحانه وتعالى مماثلاً للخلق، فيتدرجون بتوافق الأسماء إلى التوافق بالصفات؛ وهذا إلحاد، لأن أسماء الله تعالى دالة على معان لائقة به، لا يمكن أن تكون مشابهة لما تدل عليه من المعاني في المخلوق.[٦]

- القسم الخامس: الزيادة فيها؛ بأن يدخل فيها ما ليس منها، كتسمية النصارى الله تعالى بالأب،وكقول الفلاسفة في الله المدبِّر لهذا الكون: إنه علة فاعلة في هذا الكون تفعل، وهذا الكون معلول لها، وبعضهم يسميه العقل الفعال[٧]؛ وهذا كله من

---

(١) قتادة هو: قتادة بن دِعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري التابعي، أبو الخطاب، مفسر القرآن؛ من آثاره: «تفسير القرآن». ولد سنة ستين من الهجرة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة. انظر: هدية العارفين: لإسماعيل البغدادي: (٨٣٤/١) ؛ ومعجم المؤفين: لعمر رضا كحالة: (٦٥٦/٢-٦٥٧).

(٢) سورة الأعراف: (١٨٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٦٢٣/٥).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٦٢٣/٥).

(٥) انظر: بدائع الفوائد: لابن القيم: (٢٩٨/١).

(٦) انظر: المرجع السابق: (٢٩٩/١).

(٧) انظر: بدائع الفوائد: لابن القيم: (٢٩٨/١).

الإلحاد، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، يتوقف في إثباتها على الكتاب والسنة، كما سبق بيانه في القاعدة الأولى من المبحث الأول، فلا يزاد فيها ولا ينقص، وقد قال الإمام سليمان بن مهران[1] رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[2]: (يَلْحَدون: بنصب الياء والحاء من اللحد) وقال في تفسيره: (يدخلون فيها ما ليس منها)[3] ، أي: يسمون الله بما لم يسم به نفسه؛ فما لم يسمِّ الله تعالى به نفسَه، ولم يسمِّه به رسوله صلى اللّه عليه وسلم فلا يجوز أن يسمى به، والإقدام على ذلك هو نوع من الإلحاد في أسماء الله الحسنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[4]: (ومن جعله تسبيحاً للاسم يقول: المعنى: إنك لا تسم به غير الله، ولا تلحد في أسمائه، فهذا مما يستحقه اسم الله)[5]. فعلى هذا التفسير في الآية دليل على أن تسميته بما لم يسم به نفسه من أنواع الإلحاد في أسمائه الحسنى.

ومن هذا التقرير تبين أنه لم يسلم باب الأسماء الحسنى من إلحاد الملحدين، وتعطيل المبطلين بحجج واهية وهمية سقيمة، وآراء فكرية عقيمة، إلا أن الله قد قيض لهذا الدين

---

(١) سليمان: هو أبو محمد، سليمان بن مهران، يقال له الأعمش، الكاهلي، من أئمة الكوفة، شيخ المقرئين والمحدثين، كان أبوه من سبي دُنْبَاوَنْد. رأى أنس بن مالك بواسط ومكة وروى عنه، ولد في السنة التي قتل فيها حسين بن علي، سنة ستين، وقيل: إنه ولد قبل مقتل حسين بسنتين، وكانت فيه دُعابة؛ مات سنة ثمان وأربعين ومائة؛ وقد أخرج ابن المقرئ بسنده عن سليمان بن مهران قال: (من قال لي: الأعمش فهو في حرج). معجم ابن المقرئ: (ص٦١ برقم١٠٣) ؛ وانظر ترجمته في: الأنساب: للسمعاني: (٢٣/٥).

(٢) سورة الأعراف: (١٨٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٦٢٣/٥).

(٤) سورة الأعلى: (١).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٩٩/٦).

علماء يحملون العلم عن سلفهم الصالح من أئمة الدين، وينفون عنه تحريف الغالين، وإلحاد الملحدين، وشُبَه المبطلين، ومن أولئكم الشيخ شاه بديع الدين، جمعنا الله وإيّاه في دار النعيم.

*** تقرير الشيخ السندي لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

قرر الشيخ رحمه الله أن الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته أعظم الإلحاد وأكبره، ولذا لما تكلم الشيخ في إثبات صفة العلو لله تعالى واستوائه على عرشه أنكر على من لم يؤمن بهاتين الصفتين العظيمتين، واعتبر ذلك من الإلحاد في أسماء الله تعالى، لأن إنكار هذه الصفات مستلزم إنكار الأسماء الدالة عليها، وهذا أكبر الإلحاد وأعظمه، يقول الشيخ: (فإنكار العلو أو عدم الإيمان بالاستواء إنكار لأسماء الرب، وأيّ إلحاد أكبر من هذا ؟!)[1].

فظهر من هذه العبارة أن إنكار صفات الباري إنكار لأسمائه جل شأنه، وإنكار أسمائه أعظم الإلحاد وأكبره عند الشيخ.

وذلك لأن أسماء الله تعالى أشرف الأسماء، لأنها أسماء أشرف المعلومات، وهو الله رب العالمين، كما يقول الشيخ: (لما كان الله تعالى أشرف المعلومات كانت أسماؤه أيضاً أشرف الأسماء والأعلام)[2].

ولذا فإن الإلحاد فيها كان أعظم الإلحاد وأكبره.

ولذلك تطرق الشيخ إلى بيان إلحاد الملحدين فيها في عدة مواضع من كتبه، وذكر بعضاً من الأمثلة على إلحادهم في الأسماء والصفات، ونقل من كلام السلف أقسام الإلحاد فيها، فإليكم ما قرَّرَه من ذلك.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٣ مخطوط).

(٢) المرجع نفسه: (ص١٧٢ مخطوط).

تعريف الإلحاد:

ذكر الشيخ في تعريفه للإلحاد في اللغة ما قد سبق من تقرير أهل اللغة أنه الميل عن الشيء؛ فقال في تعريفه: (والإلحاد بمعنى الميل "وترك القصد"[(١)]؛ ويقال: ألحد الرجل، وألحد: إذا مال؛ كذا في «تفسير القرطبي»[(٢)]، وهكذا في كُتب اللُّغة[(٣)])[(٤)].

وأما تعريف الإلحاد في الأسماء والصفات فبيّنه الشيخ بأنه يكون على وجهين، فقال نقلاً عن الراغب الأصفهاني في سياق التأييد والتوضيح: (والإلحاد في أسمائه على وجهين:

- أحدهما: أن يُوصَفَ بما لا يصحّ به وصفُه.

- والثاني: أن يَتأوَّلَ أوصافَه على ما لا يليق به[(٥)])[(٦)].

ثم قال الشيخ السندي بعد النقل المذكور استدلالاً من هذا النقل: (فما يصفونه به هؤلاء الاتحادية فهو قطعاً خلاف شأنه، ثم منه تأويلاتُ المؤوِّلة في صفات الباري تعالى – كتأويل ''استوى'' بمعنى ''استولى''– التي لا يصح لغة، ولا تليق بذاته)[(٧)].

---

(١) في المصدر: (الإلحاد بمعنى الميل والقصد)، والصواب ما أثبتّه؛ لأنه هو الموجود في تفسير القرطبي (٣٢٨/٧) الذي أحال إليه الشيخ.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (٣٢٨/٧).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (٢٣٦/٥) ؛ ولسان العرب: لابن منظور: باب اللام (٤٠٠٥/٥).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢ مخطوط).

(٥) المفردات: للراغب الأصفهاني: (٥٧٧/٢).

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢ مخطوط).

(٧) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢ مخطوط).

فخلاصة هذا التعريف أن الإلحاد في الأسماء على وجهين:

الأول: وصف الله تعالى بما لا يصح وصفه به.

والثاني: التأويل في صفات الله تعالى بما لا يصح في اللغة ولا يليق بذاته، كما مثّل الشيخ لذلك بتأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء.[1]

بيانه لأقسام الإلحاد:

ذكر الشيخ في بيان أقسام الإلحاد في الأسماء والصفات عدة أقوال للعلماء، فذكر قول الراغب الأصفهاني السابق ذكره آنفاً، وعلّق عليه بكلامه المذكور؛ ثم ذكر تقسيم الإمام القرطبي للإلحاد فيها قائلاً: (أخبر الإمام القرطبي أنّ الإلحاد ثلاثة أقسام[2]) ثم أوضح الشيخ السندي هذه الأقسام الثلاثة للإلحاد في الأسماء والصفات بعبارته وأسلوبه، مع ذكر بعض الأمثلة عليها، فقال:

(**أحدها:** بالتبديل والتغيير في أسمائه؛ كما اشتق المشركون لمعبوداتهم ''اللات'' من ''الله'' ، و''العزى'' من ''العزيز''. **والثاني:** الزيادة فيها، واختراع الأسماء أو الصفات التي لا ذكر لها في الكتاب والسنة، مثلاً قول الاتحادية: ''لا داخل في العالم ولا خارج عنه'' أو: ''هو في كل مكان'' أو: ''لا موجود إلا هو'' أو: ''ما رأيت شيئاً إلا رأيت ربي'' وغير ذلك. **والثالث:** النقص منها).

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢، ١٧٣ مخطوط).

(٢) انظر هذه الأقسام في تفسير القرطبي: (٣٢٨/٧).

ثم قال: (قال الإمام القرطبي: معنى الزيادة في الأسماء التشبيه، والنقصان التعطيل؛ فإن المشبِّهَة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطِّلة سلبوه ما اتصف به، ولذلك قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل)[١].

ثم نقل الشيخ تقسيماً ثالثاً للإلحاد في الأسماء والصِّفات، فقال: (وذُكِرتْ في «تفسير المنار» أقسام سبعة للإلحاد في الأسماء، ثلاثة هي التي ذكرها القرطبي، وقال عن الثالث: ترك تسميته بما سمى به نفسه، أو وصفِه بما وصفها به، ومثله إسناد ما أسنده تعالى إلى نفسه من الأفعال، بناءً على أنّ ذلك لا يليق به تعالى، وأنه يوهم نقصاناً في حقه عز وجل؛ كأنّ هؤلاء الملحدين أعلم منه تباركت أسماؤه وجلت صفاته، وأعلم من رسوله صلواته عليه وسلامه بما يليق به وما لا يليق به، وربما يوهم نقض التشبيه أو غير التشبيه، كامتناع بعض المبتدعة من ذكر بعض الآيات والأحاديث في صفات الله تعالى، التي زعموا وجوب تأويلها في عقائدهم ودروسهم، وعدم ذكرها في مجالسهم إلا مقرونة بالتأويل، وادعاء أن معناها غير مراد ... كصفة علو الله تعالى على خلقه ومنها اسم ''العلي'' و''المتعال'' ، ومنها آيات الاستواء، وأحاديث النزول.

وأما القِسم الرابع فقد بَيَّنه هكذا: تحريف أسمائه وصفاته تعالى عما وُضِعت له بِضَربٍ من التأويل تقتضي التشبيه أو التعطيل، فالمشبهة ذهبت إلى جعل الرب القدوس كرجلٍ من خلقه، زاعمة أنه وصف نفسه بصفات يدل مجموعها على ذلك، كالسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، والرجل، و الضحك، والرضا، والغضب؛ والجهمية ذهبت إلى تأويل صفات الله تعالى، حتى جعلته كالعدم.

وأهل السنة والجماعة هم الذين جمعوا بين العقل والنقل في تنزيه الله عن مشابهة خلقه، في ذاته وصفاته وأفعاله، وبين وصفه بما وصف به نفسه، وتسميته بما سمى به نفسه، وإسناد ما أسنده إلى نفسه من الأفعال، كالاستواء على العرش، والعلو على الخلق، وغير ذلك، وأثبتوا له كل ذلك مع كمال التنزيه.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢ مخطوط).

وقال عن القسم الخامس: إشراك غيره فيما هو خاص به من أسمائه باللفظ، كاسم الجلالة ''الله'' و''الرحمن'' و''رب العالمين''... الخ.

وقال عن القسم السادس: إشراك غيره تعالى في معنى أسمائه الخاصة مع تغيير اللفظ ... الخ).

ثم قال الشيخ رحمه الله: (وذُكر القسم السابع هكذا: إشراك غيره في كمال أسمائه التام الذي وُصِفت لأجله بالحسنى؛ كمن يزعم أو يعتقد أن لغيره تعالى رحمة كرحمته، ورأفة، أو غير ذلك من معاني أسمائه، كالمجيب مثلاً .... وإن بعض الذين يدعون غير الله تعالى من الموتى يعتقدون أنهم أقرب وأسرع في إجابتهم من الله تعالى، فيجمعون بين الشركين: شرك دعاء غير الله مع اعتقاد إجابته للدعاء، والكفر به بتفضيل غيره عليه سبحانه في سرعة الإجابة. انتهى ما في «المنار» مختصراً[١])[٢].

وقد اعتبر الشيخ أن هذه الأقسام السبعة داخلة في التقسيم الثُّنائي للراغب الأصفهاني، ولذلك قال بعد أنْ ذكر هذا التقسيم: (في الحقيقة هذه العبارة شرح لعبارة الإمام الراغب، ولو دُقِّق النظر لَعُلم أنَّ هذه الأقسام السبعة تدخل في القِسمَين اللذَين ذكرهما الإمام الراغب)[٣].

فتقسيم الراغب الأصفهاني للإلحاد في الأسماء هو المختار لدى الشيخ، لأن التقسيمات الأخرى ترجع إلى هذا التقسيم الثنائي، وهي بمثابة الشرح والتفصيل له.

---

(١) تفسير المنار: (٩/٤٤٢-٤٤٨).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٢-١٧٣ مخطوط).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٧٣ مخطوط).

الأمثلة على الإلحاد في الأسماء والصفات:

من الأمثلة التي ذكرها الشيخ على إلحاد الملحدين في الأسماء والصفات ما ذكره عن القائلين بوحدة الوجود من نفيهم علو الله تعالى، وأنه في كل شيء، ووضعِهم لذلك حديثاً مكذوباً على الرب تعالى وتقدس، أنه سبحانه قال: ﴿مَا وَسِعَني سَمَائِي وَلا أرْضِي، وَلكِنْ وَسِعَني قلبُ المُؤْمِن﴾[١].

قال الشيخ بعد أن نقل عن العلماء الحفاظ الحكمَ على الحديث وبيان أنه من الموضوعات: (المقصود أن هذه الرواية أيضاً مصنوع في بيت أعداء الدِّين والملحدين، وهو أيضاً باطل باعتبار معناه ...الخ)[٢]. فمثل هذا الاعتقاد من اعتقاد أهل الإلحاد، وهو من الإلحاد في الأسماء والصفات.

ومن الأمثلة كذلك ما بينه الشيخ تعليقاً على ما ذكره في كتابه «التوحيد الخالص»[٣] عن الإمام الذهبي رحمه الله[٤] أنه أخرَج معلَّقاً[٥] مِن حديثِ ابنِ عمر رضي

(١) حديث لا أصل له؛ وقال السيوطي في الدرر المنتشرة (ص١٧٥ برقم ٣٦٣): (لا أصل له) ، وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: (٨٧/٥): (هذا ما ذكروه في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ). وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٢٢/١٨ ، ٣٧٦).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠٣ مخطوط).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٦ مخطوط).

(٤) الذهبي هو: الإمام المؤرخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الدمشقي، أحد الحُفّاظ؛ من مصنفاته الكثيرة: «تاريخ الإسلام»، و«الكبائر»؛ سمع من عمر القواس، وتاج الدين ابن علوان، وآخرين؛ وعنه البرزالي، وصلاح الدين الصفدي، وجماعة؛ توفي في دمشق سنة ثمان وأربعين وسبع مائة. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ليوسف بن تَغري: (١٠/١٤٤-١٤٥) ؛ والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: له: (٢٦٨/٩ برقم ٢٠٣٧) ؛ والأعلام: للزركلي: (٣٢٦/٥).

(٥) الحديث المعلَّق هو: ما حُذف من مبادئ سنده راوٍ واحدٌ فأكثر. انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: لابن حجر العسقلاني: (ص٨٠) ؛ وعلوم الحديث: لابن الصلاح: (ص٢٤).

الله عنهما أنه: ﴿قالَ رجلٌ يا رسُولَ الله! أيُّ البقاعِ خير؟ قال: لا أَدْرِي. فأتاه جبريل فسأله؛ فقال: لا أدري. قال: سلْ ربَّك؛ قال: ما نسأله عن شيء، فانتفض انتفاضة كاد يُصعق منها محمد. فلما صعد جبريل قال الله عزّ وجلّ: سألك محمد أيّ البقاع خير؟ حدِّثْه أنّ خير البقاعِ المَساجِدُ، وأنَّ شرَّ البقاعِ الأسواقُ﴾(1).

فقال الشيخ في وجه الاستدلال بهذا الحديث: (وفيه أيضاً ذكر إخباره -يعني جبريل عليه السلام- النبيَّ ﷺ بعد أن نزل؛ ومعنى ذلك أن الله تعالى في العلو على العرش، لا على الأرض كما يزعمه الملاحدة)(2).

ففي هذه الجملة دلالة على أن عدم تسليم صفة علو الله على عرشه من اعتقاد أهل الإلحاد وزعمهم، وأن وصف الله تعالى بالحلول على الأرض من الإلحاد في أسمائه وصفاته.

وكذلك من الأمثلة التي ذكرها الشيخ على الإلحاد في الأسماء والصفات بيانه أن نفي أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من الإلحاد فيها، فقال: (فإنكار العلو أو عدم الإيمان بالاستواء إنكار لأسماء الرب، وأيّ إلحاد أكبر من هذا؟!)(3).

---

(1) الحديث أورده الذهبي في العلو: (ص٩٩ برقم ٢٣٨) ، وقال: (هذا حديث غريب صالح الإسناد) ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب الصلاة، باب فضل المساجد ومواضع الذكر والسجود (٢/٨٠ برقم ١٩٢٧) وقال: (فيه عطاء بن السائب وهو ثقة، ولكنه اختلط في آخر عمره). وهنا قد روى عنه جرير بن عبد الحميد، وهو ممن روى عنه بعد الاختلاط، كما قال شعيب الأرنؤوط في حاشيته على صحيح ابن حبان (٤/٤٧٦ برقم ١٥٩٩) ؛ وقال: (لكن يشهد له حديث أبي هريرة الآتي، فيتقوى به) وهو ما أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٠١ برقم ٦٧١) في كتاب المساجد، باب فضل السجود في مصلاه بعد الصبح، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وأبغضُ البِلادِ إلى اللهِ أَسْوَاقُها ﴾.

(2) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٧ مخطوط).

(3) المرجع نفسه: (ص١٧٣ مخطوط).

فإنكار صفة علو الله تعالى، وعدم الإيمان بصفة استوائه على عرشه من الإلحاد في صفاته، ونفي أسماء الله الحسنى إلحاد فيها وفي الصفات التي تدل عليها.

وأيضاً من الأمثلة على ذلك استعمال أسماء الله تعالى الحسنى لأغراض قبيحة، كالتفريق بين الشخصين وبين الزوجين، يقول الشيخ رحمه الله في ذلك: (أيّ كفر أكبر من استعمال أسماء الله تعالى المباركة الذي هو الرحمن الرحيم، محب الاتحاد والاتفاق بين عباده، لهذه الأغراض القبيحة والفتنة العظيمة؛ أعني التفريق بين الزوج وزوجته، وبين شخصين من الأشخاص)[1].

فهذه بعض من الأمثلة الواقعية للإلحاد التي أشار إليها الشيخ في أسماء الله وصفاته، أعاذنا الله تعالى من الزيغ والضلال والانحراف فيها، إنه سميع مجيب.

---

(١) قصه هاروت وماروت اور جادو كى حقيقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠٣) ، وقد رسم الشيخ فيه من أجل التوضيح نقوشا ينقشها أهل البدع، ويستعملون فيها الأسماء الحسنى لأجل الشعوذة، وبيّن أنهم يكتبونها على قطعة من الخبز ويلقونها لكلبة سوداء، إلى غير ذلك من طرق الإهانة للأسماء الحسنى عندهم.

المبحث الرابع
صِــفَةُ الــرُّبُـوْبِـــيَّة

الربوبية صفة من صفات الله تعالى المختصة به، دل عليها اسم ''الرب'' من أسمائه الحسنى التي يدعى بها كما دلّ عليها غيره من الأسماء، وهي صفة ذاتية قائمة بالله تعالى، تظهر آثارها في الخلق.

- **معنى الرّب:**

الرّب معناه: المالك والخالق والمدبر والرازق، وما إلى ذلك من معاني الربوبية، قال ابن قتيبة(١): (ومن صفاته ''الرب'' ، والرب: المالك، يُقال: هذا رب الدار، ورب الضيعة، ورب الغلام؛ أي: مالكه، قال الله سبحانه: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾(٢) أي: إلى سيدك)(٣).

وقال في «النهاية»: (''الربّ'' يُطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبّر، والمربِّي، والقيِّم، والمنعِم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ...)(٤).

---

(١) ابن قتيبة هو: أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو جعفر الكاتب، قاض، من أهل بغداد، له اشتغال بالأدب والكتابة؛ روى عن أبيه كتبه المصنفة، وحدث عنه ابن المراغي، وعبد الرحمن الزجاجي، وغيرُهما؛ ولي القضاء بمصر سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، و بها كانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة. انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٥/٣٧٨ برقم٢٢٠٤) ؛ والأعلام: للزركلي: (١/١٥٦).

(٢) سورة يوسف: (٥٠).

(٣) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة: (ص٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير: (٢/١٧٩).

وقال ابن القيم رحمه الله: (والخلق والإيجاد والتدبير والفعل: من صفة الربوبية)[1].

فالله تعالى هو المالك، وله الملك، كما في قوله جلّ شأنه: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]؛

وهو الرازِق، والرزّاق، والرِّزق كله بيده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[4]، ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾[5]؛

وهو خالق كل شيء، وأحسن الخالقين: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[6]؛

وهو المدبر، وتدبير الكون كله بيدِه جل في علاه، فهو كما قال: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ ﴾[7]، وقال: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[8] فهو يدبر الأكوان، يرفع أقواماً ويخفض آخرين، ويعطي من يشاء، ويمنع عمن يشاء، ويحيي هذا، ويميت هذا.

---

(١) مدارج السالكين: لابن القيم: (١/٣٨).

(٢) سورة آل عمران: (١٨٩).

(٣) سورة آل عمران: (٢٦).

(٤) سورة الذاريات: (٥٨).

(٥) سورة البقرة: (٢١٢).

(٦) سورة الأنعام: (١٠٢).

(٧) سورة السجدة: (٥).

(٨) سورة الرحمن: (٢٩).

بل الربوبية صِفة تتضمن سائر الصفات ومعاني الربوبية، ولذا قدمتُ ذكرها في هذا البحث على سائر الصفات لأن الإيمان بها يلزم منه الإيمان بجميع الصفات الدالة على معاني الربوبية، كما قال ابن القيم رحمه الله: (إن ''الرب'' هو القادرُ الخالقُ البارئُ المصور؛ الحيُّ القيّوم؛ العليم السميع البصير؛ المحسن المنعم الجواد؛ المعطي المانع؛ الضار النافع؛ المقدِّم المؤخر؛ الذي يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء؛ إلى غير ذلك مِن معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى)(١).

وكذلك هي صفة تعم جميع أفراد الخلائق، قال ابن القيم رحمه الله: (فاسم ''الرب'' له الجمع الجامع لجميع المخلوقات؛ فهو رب كل شيء، وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره)(٢).

فالله تعالى هو الرب، والخلائق كلها مربوبة، ولذا لا يقال لمخلوق الرب على الإطلاق، بل بالإضافة، لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل: الرَّبُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم، كما في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ ألا وإني نهيتُ أَنْ أَقْرأ القُرآن راكعاً وسَاجِداً، فأما الركوعُ فعظِّموا فيه الرَّب عَزَّ وجَلَّ ... ﴾(٣).(٤)

فالله هو رب العالمين، وله الربوبية المطلقة، والإيمان بصفة الربوبية يستلزم توحيد الله عز وجل في عبادته، كما سيأتي بيان هذا في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

---

(١) بدائع الفوائد: لابن القيم: (٧٨١/٢-٧٨٢) ؛ وانظر: التفسير القيم للإمام ابن القيم: جمعه محمد أويس الندوي: (ص٥٩٨-٥٩٩).

(٢) مدارج السالكين: لابن القيم: (٣٨/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢٢٠/١-٢٢١ برقم ٤٧٩).

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة: (ص٩).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

قد تكلم الشيخ السندي رحمه الله تعالى عن صفة الربوبية واختصاصها بالله تبارك وتعالى، وأنه الرب وحده لا شريك له، فإليكم ما قرره من ذلك في التقاط التالية:

- **مِن الشرك بالله تعالى الشركُ في الربوبية:**

يقول الشيخ رحمه الله تعالى بعد نقله كلام ابن منظور[١] رحمه الله حيث قال: (... والشرك أن يُجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد ...)[٢] قال الشيخ بعده: (يعني أن الشرك بالله تعالى معناه أن يُعيَّن معه مخلوق من المخلوقات شريكاً له في ملكه وربوبيته، أو أن يُسوَّى به مخلوق من المخلوقات، ومن فعل ذلك فهو كافر مشرك، لأن الله تعالى واحد لاشريك له ولا مثل له... الخ)[٣].

أي أن الربوبية صفة مختصة بالله تعالى، لايشاركه في هذه الصفة أحد من خلقه، ومن ادعى الربوبية فهو مشرك، لأنه ادعى ما اختص الله به سبحانه وتعالى.

وقد بَيّن الشيخ السندي أن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق من بني آدم عليه السلام على وحدانيته في ربوبيته، واستدل على ذلك بحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) هو أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي، صاحب «لسان العرب» و«مختار الأغاني» وقد ترك من خطه نحو خمس مائة مجلد؛ الإمام اللغوي، ولي القضائ بطرابلس، وُلد سنة ثلاثين وست مائة للهجرة، وتوفي بمصر سنة إحدى عشرة وسبع مائة. انظر: الأعلام: للزركلي: (١٠٨/٧).

(٢) لسان العرب: لابن منظور: باب الشين (٢٢٤٩/٤).

(٣) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٢).

﴿يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شيئاً، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾(1).

ثم قال في شرح هذا الحديث: (جمع الله تعالى أرواح البشر كلهم من صُلْب آدم بعد خلقه، وأشهدَهم على ربوبيته ووحدانيته، وقد وردت في ذلك ... روايةٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿إنَّ اللهَ أَخَذَ الْمِيْثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنُعْمَانَ -يعني عرفة- وَأخرج من صلبه كل ذرّية ذَرَأَها(2)، فنثَرَهم بين يديه كالذرّ، ثم كلَّمهم قِبلاً(3)، قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾(4) .. ﴾(5).

ثم جعل الله يبعث أنبياءه لِيُذكِّروهم ميثاقهم مع الله، ونُصِحوا مرة بعد مرة أن ربكم هو الله تعالى، فاعبدوه وحده، ولا تشركوا معه أحداً، فإنه الأمر الذي أعطيتم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (١٣٣/٤ برقم٣٣٣٤ ، وكتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (٦٥٣٨/٨).

(٢) ذرأ الله الخلق يذرَؤهم ذَرْءاً إذا خلَقهم، وكأن الذرْء مختص بخَلْق الذُّرِّية. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (١٥٦/٢).

(٣) قِبَلاً: أي عياناً ومقابلة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولِّي أمرَه أو كلامَه أحداً من ملئكته. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (٨/٤).

(٤) سورة الأعراف: (١٧٢-١٧٣).

(٥) رواه أحمد في مسنده: (٢٦٧/٤ برقم٢٤٥٥)، وصححه الشيخ الألباني، انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة: للألباني: (٨٩/١) ؛ و: السلسلة الصحيحة: له: (١٥٨/٤ برقم١٦٢٣).

الميثاق به، ومع ذلك فإن أكثرية الناس اختارت الشرك بإغواء الشيطان لهم، تاركين هذا الميثاق والعهد وراء ظهورهم)[1].

فعُلم من ذلك أن الرب تبارك وتعالى قد أخذ العهد والميثاق من جميع البشر أن يوحِّدوه سبحانه في ربوبيته تعالى، ولا يشركوا معه فيها أحداً من خلقه، لكن الشيطان أغواهم فأوقع كثيراً منهم في ذلك الشرك، كما تبين من ذلك أن من الشركِ الشركُ في ربوبية الله سبحانه وتعالى.

- **لا يَستَحِقُّ أحدٌ معنىً مِن معَاني الرُّبوبيةِ غيرُ اللهِ تعالى:**

ففي سياق الرد على دعاوي مِرْزا غلام أحمد القادياني[2] التي جعلها الشيخ أساساً لبيان قُبْحِ مَذهبه وشناعة معتقداتِه ذكَر شيئاً من ادعاءاته وأكاذيبه، منها بأنه الرّب، وأنه قد حاز على صفاتِ الربوبية من الإحياء والإفناء مِن الرَّب الفعال، وأنَّ أمرَه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ؛ فيكون، وما إلى ذلك مِنْ أباطيله[3]؛

---

(١) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨٥-٨٦).

(٢) هو غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد بن كل محمد برلاس القادياني، المتمهدي، ثم المتنبي، وافتتن به خلق كثير، وقد كفره العلماء، منهم السيد نذير حسين الدهلوي، وغيره؛ وكان مولده نحو سنة ست وخمسين ومئتين وألف، وفي ربيع الآخر سنة ست وعشرين وثلاث مئة وألف أصيب بالهيضة الوبائية في لاهُوْرْ ومات لليلة بقيت من ربيع الآخر من السنة نفسهاونقلت جثته إلى قاديان حيث دُفن بمقبرة سماها بهشتي مقبرة (مقبرة الجنة!). انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: للشريف الحسيني: (١٣١٧/٨-١٣١٩).

(٣) انظر: قادياني اور جهندائي خاندان، بينهما برزخ لا يبغيان (القادياني وقبيلة الجهندائيين، بينهما برزخ لا يبغيان) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٤-٢٥).

فردّ الشيخ مبيناً أن تأييد مثل هذا الاعتقاد لا يمكن أنْ يَصدُر مِن مُسلمٍ يَشهد بشهادة التوحيد، قائلاً: (المقصود أنَّ مِرْزا بحسب دعاويه مجدِّد، ومهدي، ومسيح موعود (مثيل عيسى عليه السلام)، ونبي، ورسول، وزوجة للرب، وولدُ الرب، فالرب، وفي النهاية والد الرب..!!

فهل لمسلمٍ يشهد بكلمة التوحيد أن يتفوّه بكلمة في حماية مِرزا بعد هذه الدعاوي والهفوات ؟..!! لا يمكن وجود أدنى شخص مسلم ينطق لسانُه بكلمة في تأييد مثل هذا المدعي، ولا لصاحب يدٍ تحْمل قلماً أنْ يكتب لفظاً في تصديقه ...)(١).

وذلك بأنه ادَّعى الأباطيل التي منها ادِّعاء الربوبية، وهي صفة استأثرها الله عز وجَلّ لنفسه، فلا يجوز أن يَتصف به أحد غيره تعالى.

وكذلك لما اتُّهِم جَدُّ الشيخِ الأعلى السيدُ رشيد الدين شاه صاحب اللواء الثالث، بأنه كان يؤيِّدُ رأي مِرْزا القادياني وعقائده، وبدأ أصحابه ينشرون رسائل ونُشرات في ذلك لِيقوّوا به مذهبهم، قام الشيخ بالرد عليهم وبيانِ أنّ هذا محض الافتراء عليه، فأقام مقارنة بين معتقدات مِرْزا الباطلة من ادعائه اتصافه بصفات الربوبية، ومعتقدات جده التي وصفها الشيخ أنها اعتقاد عامة المسلمين(٢).

والشاهد منها أنَّ الشيخ بعد أنْ أشار إلى عقيدة مِرْزا مما سبق ذكره من ادعائه الربوبية نَقَل عن جده ما يخالف ويناقض قول هذا القادياني، أنه قال: (الآن اعلمْ وتَيَقَّنْ أنّ هذه الصفات الربوبية خاصة بالله تبارك وتعالى، لا شريك له فيها، لا نبي مرسل، ولا ملك موكل، ولا ولي كامل، وما أعظم هذه القربات والمقامات!.. لكن لا أحد منهم يشارك المِلكَ الحقيقي في شيء)(٣).

---

(١) قادياني اور جهندائي خاندان (القادياني وقبيلة الجَهْنْدائِيِّيْن) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه: (ص٤٨).

(٣) المرجع نفسه: (ص٤٦).

فعُلم من ذلك الفرق بين عقيدته وعقيدة مِرْزا القادياني، كما أن هذا النقل عن جده في سياق تأييد المعنى من الشيخ بديع الدين دليل واضح على المقصود، وهو أنه لا يستحق أحد غير الله تعالى معنًى من معاني الربوبية.

المبحث الخامس
أَدِلَّـــةُ وُجُـوْدِ الْخَــالِـق

إن أدلة وجود الخالق بيّنة واضحة كرائعة النهار لكل من تأملها، وبراهينه أجلى من الشمس لكل نفس أيقظت بصيرتها، فإن وجوده تعالى أَبْيَنُ مِن أنْ يحتاج إلى دليل؛

وليس يصِحّ في الأفهامِ شيءٌ * * * إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ؟![1]

فالأدلة عليه إنما يحتاج إليها من تغيرت فِطرته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً في حق من سلمتْ فطرته، وإن كان مع ذلك قد تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثيرٌ من الناس عند تغير الفطرة وأحوالٍ تعرض لها)[2].

وهي أكثر من أن تُحصر آحادها أو تحصى طرقها[3]، ولذا ذهب العلماء إلى حصرِ أنواعها لا آحادها، فأرجعَ بعضهم آحاد هذه الأدلة إلى أنواع، منها الأدلة الفطرية، والحسية، والعقلية، والشرعية.

وسأذكر ها هنا موجَزاً مِن اعتقاد سلف أهل السنة فيما يتعلق بهذه الأنواع، ودلالتها على وجود الباري سبحانه وتعالى.

---

(١) البيت للمتنبي؛ انظر: ديوان المتنبي: (ص٣٤٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٦/٧٣).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية: (٢/٢٧٠).

أولاً – الأدلة الفطرية:

دليل الفطرة أقوى الأدلة على وجود الخالق عز وجل، لكونه من جِبِلَّة الانسان، حيث لا حيلة له لدفعها، ولذا فإن البشر كلهم مسلمهم وكافرهم أجمعوا على وجود الرب، واستيقنت أنفسهم بذلك، وإنْ جحد بعض الكفرة بألسنتهم ظلماً وعلواً.

قال الإمام ابن تيمية: (بل الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجِبِلَّة؛ ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه، والذين أظهروا إنكار الصانع – كفرعون – خاطبتْهم الرُّسل خطابَ من يعرف أنه حق)[1]

فإنّ أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذي اتفق السلف على ذَمِّه من الجهمية والقدرية[2]؛ وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم.[3]

---

(١) منهاج السنة النبوية: لابن تيمية: (٢/٢٧٠-٢٧١).

(٢) القدرية هي: فرقة المعتزلة؛ سميت بالقدرية لإنكارهم قدرة الله سبحانه السابقة على الأفعال، وجمهورهم ينكرون المشيئة والخلق، وغلاتهم أنكروا مع ذلك علم الله السابق لكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ. وهم ثلاث فِرَق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية؛ فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم؛ والمشركية الذين قالوا بقضاء الله وقدره، وأنكروا الأمر والنهي، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء؛ والإبليسية هم الذين أقروا بالأمرين، لكنهم جعلوا هذا تناقضاً من الرب سبحانه، وطعنوا في عدله وحكمته. انظر: التدمرية: لابن تيمية: (٢٠٧-٢٠٨).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٦/٣٤٠).

فالإيمان بوجود الله عز وجل مفطور عليه الانسان مسلماً وكافراً، والفطرة هي من أقوى أدلة وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

ثانياً – الأدلة الحسية:

وجود الحوادث الكونية دليل على وجود خالقها، ومن الحوادث الكونية الدالة على ذلك حادثةُ الخلق، أيْ: خلق كل الأشياء المخلوقة من بحر ونهر، وشجر وحجر، وجانّ وبشر، وأرض وسماء، وغيرها من الأشياء؛ ففي كل ذرة من مخلوقات الله أدلة على وجوده تعالى ووحدانيته، كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[2].

ووجه الدلالة من هذه الحوادث الكونية: أن يقال إما أن تكون هذه المخلوقات وُجدت صدفة من غير موجِد، أو أنها أوجدت نفسها فقامت بشؤونها، أو أن لها موجداً وخالقاً أوجدها وخلقها من العدم، وعند النظر في هذه الاحتمالات الثلاث يبطل الأول والثاني لاستحالتهما، وإذْ تعذر الأول والثاني لزم أن يكون الثالث هو الصحيح، وهو أن لها خالقاً خلقها، وهو الله جل شأنه، كما قال تعالى في شأن هذا الدليل الحسي العقلي، والبرهان القطعي: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[3].

---

(١) سورة الروم: (٣٠).

(٢) سورة البقرة: (١٦٤).

(٣) سورة الطور: (٣٥).

قال ابن كثير رحمه الله: (أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً)[1].

وذَكر عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى؛ فقال لهم: دعوني.. فإني مفكر في أمر قد أُخبرت عنه؛ ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد!!..

فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، ليس لها صانع؟! فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.[2]

ثالثاً – الأدلة العقلية:

من الأدلة العقلية التفكر والتأمل في خلق السموات والأرض، وغيرِ ذلك من الحوادث الخلقية والآيات الكونية، وكذلك التفكر في الأنفس والنظر فيها، وكِلا هذَين الأمرَين لا يتم التفكر فيها إلا بالعقل، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه المجيد حيث قال: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾[4]

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٤٣٧/٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (١٩٧/١) ؛ وانظر: الأصول الثلاثة: لمحمد بن عبد الوهاب: (ص٩).

(٣) سورة الأعراف: (١٨٥).

(٤) سورة الروم: (٨).

وقال عن النظر في الأنفس: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١] وغيرها من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.[٢]

ومن أمثلة هذه الطريقة العقلية قول الأعرابي لما سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير؛ فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟! [٣]

فهذه المعرفة الحاصلة بالحوادث الكونية على وجود الله تعالى هي من معرفة العقل، لأن هذه الأمور – إذا تؤمل فيها وحُكِّم العقل السليم – واضحة الدلالة على أن هذه الكائنات لها خالق خلقها، و لم يكن وجودها من غير شيء، ولا هي كونت نفسها بتلك الدقة والتناسق العجيب، والإحكام البديع، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأما النظر في الأنفس؛ فقد أمر الله تعالى عباده بالنظر في أنفسهم لِما فيها دلائل قدرته وآثار صنعته ووجوده.

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة[٤].

فهذه الطريقة العقلية لإثبات الخالق طريقة سليمة، وهي خالية من التعقيد والغموض اللذين اكتنفا طرق الفلاسفة والمتكلمين، ولا غرو في ذلك؛ لأنها طريقة القرآن الذي يسره الله تعالى للذكر والادكار، فهي في متناول جميع المستويات العقلية لدى البشر، خلافاً للأدلة العقلية التي مال إليها طوائف من أهل الكلام والفلسفة فإن طرقها

---

(١) سورة الذاريات: (٢١).

(٢) انظر: الاعتقاد: للبيهقي: (ص٣٣-٣٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (١/١٩٧).

(٤) انظر: النبوات: لابن تيمية: (١/٢٩٢) ؛ و الاعتقاد: للبيهقي: (ص٣٥).

طويلة ولا حاجة إليها، وقد تكون ناقصة لا تدل على المقصود، وهي استدلال بالأخفى على الأظهر، والأضعف على الأقوى، وأمّا ما كان من أدلتهم صحيحاً فإنه يعود إلى أدلة القرآن.(١)

رابعاً – الأدلة الشرعية:

بينة معجزات الأنبياء هي إحدى الأدلة الشرعية التي يمكن الاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه، وهي بينة حسية مع كونها شرعية؛ فإن الله تبارك وتعالى لما يبعث رسولاً إلى قوم من الأقوام يجري على يديه معجزات تنبئ عن صدقه فيما ادعاه من كونه رسولاً، وإذا قامت المعجزة، وثبتت الرسالة بها، ثبت وجود مرسِل ذلك الرسول، لأن وجود مرسَل يقتضي وجود مَن أرسله، وهو الله سبحانه وتعالى، فدلت المعجزات على وجود الله الذي خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له.

وفي بيان هذا يقول الإمام البيهقي رحمه الله: (وقد سلك بعض مشايخنا –رحمنا الله وإياهم– في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدّمات النبوة، ومعجزات الرسالة، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق الاستفاضة لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعا إليه النبي ﷺ ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين)(٢).

فتبين أن المعجزات من الأدلة الشرعية على وجود الخالق سبحانه، بل الشرائع كلها دليل على وجود الخالق، كما هي دليل على كمال علمه وحكمته ورحمته، وذلك أن هذه الشرائع لابد لها من مشرع، وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية: (٢٣٨/٨) ؛ والأصفهانية: له: ص(٣٣).

(٢) الاعتقاد: للبيهقي: (ص٣٩–٤٠) ؛ وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٣٧٩/١١).

وكذلك من الأدلة الشرعية على وجود الخالق ما سبق ذكره في بيان الأدلة العقلية من النظر والتفكر في الأنفس، إذ هذا مع كونه دليلاً عقلياً فهو دليل شرعي استدل الشارع به، وأمرنا أن نستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته.(١)

وعلى هذا فالاستدلال بعموم المخلوقات على خالقها أيضاً تعتبر من الأدلة الشرعية، وذلك لأن المخلوقات لا بد لها من خالق، إذْ لم تخلق نفسها ولا غيرَها، ولا هي خُلقت من غير شيء، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(٢) فالله هو خالقها وموجدها ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٣) وقد سبق بيانه في الأدلة الحسية.

---

(١) النبوات: لابن تيمية: (١/٢٩٢-٢٩٣).

(٢) سورة الطور: (٣٥-٣٦).

(٣) سورة الأنعام: (١٠٢).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

قد سبقت الإشارة فيما سلف إلى أن طرق إثبات الخالق وأدلة وجوده غير محصية، ولذلك سلك شيخنا بديع الدين رحمه الله عدة من الطرق لإثبات وجوده تعالى وكونه خالقاً لهذا الكون، مع بيانه أنَّ إثبات وجوده سبحانه وتعالى إنما هو كما يليق بشأنه وليس وجوداً مماثلاً لوجود المخلوق، ولا وجوداً يعتريه النقص من الاتحاد والحلول، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وسنقف على هذه الطرق التي استدل به الشيخ السندي على وجود الخالق سبحانه وتعالى فيما يلي من النقاط:

أولاً – دلالة الأسماء والصفات على وجود الله تعالى:

الأسماء تدل على مسماه، فأسماء الله عز وجل تدل على وجوده، وقد ذكر الشيخ عند شرحه للأسماء الحسنى في مقامات مختلفة ما يدل على ذلك؛

فقال مثلاً عن لفظ الجلالة ''الله'': (وقيل[1]: فيما يتعلق بمعناه: ''الله اسم للموجود الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه'')[2].

وقال شارحاً اسميه تعالى ''الرحمن والرحيم'': (في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إنَّ لله مائةَ رَحْمَة؛ أنزلَ مِنْها رحمةً واحِدةً بيْنَ الجِنّ والإنسِ والبَهَائِمِ والهَوام، فبِها يَتَعاطفُونَ، وبِهَا يَتَراحمُونَ، وبِهَا تعطف

(١) القائل هو الإمام القرطبي، انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (١/١٠٢).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): للشيخ بديع الدين السندي: (ص٣١).

الوَحْش على ولدِها، وأَخَّرَ اللهُ تِسْعاً وتِسْعين رحمةً يرحم بها عباده يوم القيامة ﴾[1] ... فما من ذرّة من رحمة لدى أَحد في الدنيا إلا وهو نتيجة لرحمة الله، ... والرحمة بين الزوج والزوجة من آياته هو، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2] فالمقصود أنه ما يصدر من أحد من رحمة أو نعمة إلا وهو نتيجة لرحمة رب العالمين ...)[3] فالرحمة بين الخلق التي هي من آثار رحمة الله من آياته وبراهين وجوده تعالى.

وقال في بيان معنى الاسم ''الحق'' من أسماء الله تعالى: (الحق: الصادق، والثابت؛ كما يقال: حقيقة الشيء؛ أحقه حقاً، تيقنت كونه ووجوده؛ يعني تيقن وجود الله وكونه حقاً، يعني هو موجود يقيناً)[4]. فيطلق اسم ''الحق'' على الله تعالى لأنه متصف بكمال معنى الوجود.

والله هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، فوجوده أزلي وأبدي، كما قال الشيخ في شرح اسميه تعالى ''الأول ، والآخر'': (كان وجوده قبل وجود كل موجود، ويصير كل موجود معدوماً، ولكنه يبقى موجوداً ...)[5].

فهذه بعض الأمثلة من الأسماء الحسنى التي ذكرها الشيخ فيها دلالتها من حيث المعنى على وجود الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٨/٩٩ برقم٦٤٦٩)، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف؛ ومسلم في صحيحه، واللفظ له: (٢/١٢٦٢ برقم ٢٧٥٢) كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله.

(٢) سورة الروم: (٢١).

(٣) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٦٠-٦١).

(٤) المرجع نفسه: (ص٨٨).

(٥) المرجع نفسه: (ص٩٢).

ثانياً – دلالةُ الخلْق علَى وُجودِ اللهِ تعالى:

وضح الشيخ أن الاستدلال بالآيات الكونية على وجود خالقها من هدي الرسول ﷺ وطريقته، حيث كان يدل أمته على آيات ربهم في الآفاق وفي أنفسهم التي تُبرهن على وجوده وعظمته، ويدعوهم إلى التأمل فيها ليتيقنوا وجود خالقهم ورازقهم، وإلى هذا أشار الشيخ بقوله عن النبي ﷺ : (دعا أمّتَه إلى ربه، ودلّهم على آياته الكبرى، في الآفاق، وفي أنفسهم ...)[1].

ففي هذه الجملة المذكورة آنفاً إشارة إلى وجهين من أوجه الاستدلال العقلي السابق تقريرها على وجود الرب عز وجل، وهما:

الأول: التفكر في خلق السموات والأرض، والنظر في الحوادث الخلقية والآيات الكونية في الآفاق.

والثاني: التفكر في الأنفس والنظر فيها، ليستدل بها على وجود خالقها وبارئها، وآثار عظمته ورحمته وحكمته.

فبين الشيخ أن نبي الله ﷺ دل أمته على آيات ربهم في الآفاق، حيث لو جال الانسان بنظره فيها وتأمل وتمعّن بفكره لَعَلِم أنّ لهذه الكائنات الفسيحة العجيبة رباً وخالقاً أوجدها، وعَلِم عظمةَ ذلك الرب وقدرته.

ولو صَرف بصره عن هذه المخلوقات الكبيرة الهائلة، وأرجعه إلى نفسه الصغيرة لَوَجد أيضاً فيها مِن آثار الصُّنعة الإلهية والغرائب التخليقية ما يُبرهِنُ على وجود بديعٍ لهذه الأكوان، وخالقٍ حكيم في صنعه عليم، فالإنسان له أطوار تكوينية في بَطْنِ أُمّه طَوراً بعد طَور، وبعد خروجه من بطن الأم إلى حضن هذه الدنيا يمر بأطوار شتى، فمن الضعف والطفولة إلى القوة، ثم الرد إلى أرذل العمر، حتى يشتعل رأسه شيباً.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

وقد أشار الشيخ أيضاً إلى هذه المرحلة العمرية للانسان ودلالته على قدرة الله، فقال في بيان الحكمة من النهي عن خضاب شعر الرأس بالسواد: (الحكمة في هذا أن التخليق الإلهي مذكور في القرآن: ﴿...ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ...﴾(1) يعني أن الله تعالى يأتي بمرحلة الضعف والشيب بعد الشباب، وبالخضاب الأسود تخبأ آية القدرة هذه)(2) أي: أن الله تعالى من آياته في خلقه من البشر أن جعل لهم مراحل تخليقية وتكوينية تدل على وجوده وعظيم قدرته، ومنها طروء الضعف والشيب عليهم؛ وتسويد الشعر بعد بياضه في مرحلة الشيبوبة يُخفي هذه الآية الدالة على عظيم قدرته تعالى.

فالمقصود أن الإنسان حيثما أدار بصره، ومهما تمعن بفكره، رأى براهين وجود الله تعالى الخالق لهذه المخلوقات، وهذا النظر إما أن يتجه إلى هذا الكون بما فيه من مخلوقات جسام عظام، وإما أن يتجه إلى الإنسان نفسه.

فعلى الإنسان أن يؤمن بربه تعالى بالتأمل والنظر في آياته وآثار قدرته، كما قال الشيخ بعد أن بيَّن أنه لا يمكن إدراك صفات الرب: (وإنما ينبغي أن يُعبد إيماناً بآثار قدرته)(3).

ثالثاً – دلالةُ الفِطْرةِ عَلى وُجودِ اللهِ تَعَالى:

قد سبق بيان أن الإيمان بوجود الله عز وجل مفطور عليه البشر، وأن الفطرة هي من أقوى الأدلة على وجود الله تبارك وتعالى، فهذه الضرورة التي تنبع من داخل الانسان أن يكون له رب يعبده، وشعوره بالحاجة إليه، بل وتوجهه قلباً ويداً إلى السماء عند وقوعه في مصيبة أو كارثة، طالباً الغوث من رب ينقذه ويفرج عنه، ما هي إلا علامات

---

(١) سورة الروم: (٥٤).

(٢) سياه خضاب كا شرعى حكم (الحكم الشرعي للخضاب الأسود) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨).

(٣) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٨).

على تلك الفطرة التي أودعها فيه فاطر السموات والأرض، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١].

قال الشيخ في بيان دلالة هذه الفِطرة على وجود رب العالمين الخالق لهذا الكون في علوه سبحانه: (وَطَبْعاً أنّ الداعين إذا دعوا يتوجهون إلى السماء؛ فكأن هذا المفهوم فطري لديهم؛ أنّ الله تعالى على العرش بائن عن الخلق، ولهذا فإن الانسان صغيرهم وكبيرهم يتوجه إلى العلو عند الدعاء ...)[٢] فلولا وجود الله تعالى في علوه لما دلت الفطرة على هذا التوجه.

- **إثباتُ وجودِ للهِ تَعالى كَمَا يَلِيْقُ بِشَأْنِه:**

قد أثبت الشيخ السندي لله تعالى وجوداً مبائناً عن الخلق من غير حلول ولا اتحاد، وليس وجوداً كوجود المخلوقات.

يقول الشيخ في شرح قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾[٣] قال: (في هذه الآية الكريمة بيان جلي -علاوةً على كونها بياناً أن الله تعالى على العرش- أنه بائن من الخلق، ولن يصل إلى عرشه أحد، فضلاً عن اتحاد الوجود أو إمكان الحلول)[٤].

ولذلك أنكر الشيخ على الحلولية وأهل وحدة الوجود تعبدهم بذكر لفظ الجلالة مفرداً، وتكراره من غير تأليف له في الكلام، بناءً على ما يزعمون أنه: لا موجود إلا الله،

---

(١) سورة الروم: (٣٠).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٩ مخطوط).

(٣) سورة الإسراء: (٤٢–٤٣).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠ مخطوط).

قال الشيخ: (الصوفية والوجودية كثيراً ما يذكرون بهذا الاسم المفرد، يُردِّدون: ''الله ، الله''، وهذا لا نجد له ثبوتاً عن السلف الصالحين من القرون المشهود لهم بالخير، فضلاً من ثبوته عن رسول الله ﷺ ، والصحابة الكرام ﵃).

ثم أردف بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ما يدل على أن هذه الطريقة المخترعة للذكر مبناه على مذهب أهل وحدة الوجود الذين لا يفرقون بين وجود الله ووجود المخلوق، فمما نقله قوله: (... فظن طائفة من الناس أن ذكر الاسم المفرد مشروع، بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول: لا إله إلا الله، ونحوها، وظن بعضهم أن ذكر الاسم المضمر -وهو: ''هو''- هو أفضل من ذكر الاسم المظهَر، وأخرجهم الشيطان إلى أن يقولوا لفظاً لا يفيد إيماناً ولا هدىً، بل دخلوا بذلك في مذهب أهل الزندقة والإلحاد -أهل وحدة الوجود-، الذين يجعلون وجودَ المخلوقات وجودَ الخالق، ويقول أحدهم: ليس إلا الله، والله فقط، ونحو ذلك[1])[2].

فتبين من هذا أن لله عز وجل وجوداً حقيقياً بائناً عن الخلق، وليس الوجود المزعوم لدى أهل وحدة الوجود، سبحانه وتعالى عما يصفون.

وقد ورد سؤال للشيخ فيه ذكر أقسام الناس في حقيقة التوحيد، قال السّائل في أوّله: (توجد في المسلمين في الوقت الحاضر أقسامٌ خمسة لنظرياتهم عن التوحيد؛ مجموعة من العلماء الكرام يشرح التوحيد هكذا: أنّ الكائنات كلّها مخلوقة لله تعالى، وهو بائن عنها، وهو بنفسه وذاته مستو على العرش العظيم، وهو وراء والوراء)[3] فأجابه الشيخ بجواب مفصل طويل، وابتدأ هذا الجواب بقوله: (التشريح الأول للتوحيد هو الصحيح، وهو عقيدة جميع أهل الإسلام في السلف)[4]

---

(١) الرد على المنطقيين: لابن تيمية: (ص٣٦).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣٩-٤٠).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢ مخطوط).

(٤) المرجع نفسه: (ص٣ مخطوط).

فبين الشيخ للسائل في هذه العبارة أن هذا التشريح الذي نقله في سؤاله عن العلماء هو التشريح الحق الذي عليه اعتقاد السلف بأجمعهم.

وهذا التشريح يثبت وجود الله عز وجل وجوداً بائناً عن الخلق، في العلو، كما يليق بشأنه تعالى وتقدس.

وقد أطال الشيخ النفس في بيان صحة هذا التشريح وبيان بينونة وجود الله تعالى عن وجود خلقه وعلوه تعالى، وذكر لذلك أنواعاً من الأدلة، أذكر هنا أمثلة مما ذكره مما يوفي بالمقصود، ويوضح الفرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق، وسيأتي بيان بعضها إن شاء الله في مبحث العلو، والله ولي التوفيق.

- المثال الأول: النصوص التي فيها نزول الكتب السماوية[(١)]:

وقد ذكر الشيخ عدداً كبيراً من الآيات القرآنية التي تدل على نزول الكتب السماوية، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ... ﴾[(٢)] وقوله سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[(٣)] وغير ذلك من الآيات، ثم قال مبيناً وجه الدلالة منها: (في هذه الآيات الكريمات بيان أن القرآن الحكيم والكتب الأخرى السابقة أُنزلت من السموات على أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام لهداية الناس، والاستدلال من هذه الآيات من وجهين، أولاً أن الله تعالى على العرش فوق الخلق؛ وأنه أنزل الكتب، ولما

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٥-٢٠ مخطوط).

(٢) سورة البقرة: (٤).

(٣) سورة آل عمران: (٣-٤).

كان النزول الهبوط من العُلو إلى السُّفل، والمنزل عليهم هم عباده، ثبت من ذلك كون الله تعالى بائناً عن الخلق ...)[1].

- المثال الثاني: النصوص التي فيها إرسال الرسل عليهم الصلاة والتسليم[2]:

وقد ذكر الشيخ السندي رحمه الله في ذلك أيضاً نصوصاً كثيرة التي تدل على إرسال الرسل من الله تعالى العلي الأعلى؛

منها قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[3] وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾[4].

ثم بين الشيخ وجه الدلالة من هذه الآيات قائلاً: (وظاهر من هذه الآيات وباهر أن هناك مباينةً بين الخالق والمخلوق، وفرقاً بين العابد والمعبود، وصار قول أهل الاتحاد أنه ''لا موجود إلا الله'' غلطاً، لأنه لو لم يكن هناك وجود آخر فمن الذي بعثه الله تعالى رسولاً؟ وإلى مَن أرسَل؟ وعلى مَن أَنزَل كتبَه –من القرآن والتوراة والانجيل والزبور– وغيرها؟ كَبُرتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كذِباً)[5].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٠ مخطوط).

(٢) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢١-٣٢ مخطوط).

(٣) سورة آل عمران: (١٩٤).

(٤) سورة البقرة: (١١٩).

(٥) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٢ مخطوط).

- **المثال الثالث: الآيات التي فيها ذكر الوحي**(١):

وبين الشيخ أنها على ثلاثة أقسام: قسم فيها ذكر الوحي إلى الملائكة؛ وقسم فيها ذكر الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وقسم ثالث فيها ذكر الوحي إلى أشياء أخرى.

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿...وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ...﴾(٣) وغيرها من الآيات.

ومثال الثاني: قول الله جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ ...﴾(٤) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾(٥) وأُخَرُ من الآيات.

ومثال القسم الثالث: قول الربّ تعالى وتقدّس: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾(٦) وكقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾(٧) وغير ذلك من الآيات.

---

(١) انظر: المصدر نفسه: (ص٣٣-٣٥ مخطوط).

(٢) سورة الأنفال: (١٢).

(٣) سورة فصلت: (١٢).

(٤) سورة آل عمران: (٤٤) ؛ وسورة يوسف: (١٠٢).

(٥) سورة النساء: (١٦٣).

(٦) سورة النحل: (٦٨).

(٧) سورة الزلزال: (١-٥).

ووجه الدلالة على مباينة وجود الخالق عن وجود المخلوق من هذه الآيات الكريمات: هو ما وضحه الشيخ السندي بقوله: (المقصود أن الموحِي الذي يوحِي شيءٌ، والموحَى إليه الذي يوحَى إليه شيءٌ آخر.

فما أعمى بصيرة الوجودية! حيث لا يفهمون الفَرْق بينهما، وفي القرآن المجيد في شأن زكريا عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[1] فهل هو وقومه وجود واحد!..

وقال في موضع آخر: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[2] فهل هاهنا لا مغايرة ولا مباينة بين الوجودية؟!.. ثم قال: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾[3] وها هنا أيضاً توجد المغايرة.

الحاصل أن آيات الوحي جميعها تنبئ بالوضوح أن الله تعالى فوق العرش، بائن عن الخلق؛ قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره: "وأما قوله: ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[4] فإنَّ تأويله: نُنَزِّله إليك. وأصل الإيحاء: إلقاءُ الموحِي إلى الموحَى إليه؛ وذلك قد يكون بكتاب، وإشارة وإيماء، وبإلهام، وبرسالة الخ"[5] ...)[6].

فتبينت المباينة بين الموحِي -الله تعالى- وبين الموحَى إليه؛ كما اتضح أيضاً بالأمثلة السابقة أن وجود الله تعالى ليس كوجود المخلوقات، بل هو وجود مغايرٌ وجودَها، وهو كما يليق بشأنه من غير حلول ولا اتحاد.

---

(١) سورة مريم: (١١).

(٢) سورة الأنعام: (١١٢).

(٣) سورة الأنعام: (١٢١).

(٤) سورة آل عمران: (٤٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٥/٤٠١).

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٥ مخطوط).

المبحث السادس
الـرَّدّ عَــلَى الـدَّهْـرِيـَّة

سلَف في المبحث السابق إثبات وجود الخالق، وذُكِرَت أنواع من الأدلة على وجوده سبحانه وتعالى، مما لم يبق بعده من شك في وجود الله جل شأنه، كما قال تعالى على لسان رسُله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] فـــ(وجود الله معلوم من الدين بالضرورة، وهو صفة لله بإجماع المسلمين، بل صفة لله عند جميع العقلاء، حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا مُلْحِد دهري)[2] لأن الدهرية هم الذين استكبروا في أنفسهم وعَتَوا عُتُواً كبيراً، فأنكروا وجود موجدٍ لهذا الكون الهائل، ومنظِّمه بهذا النظام الدقيق البديع.

ولكن المقصود من إقامة هذا المبحث هنا هو الرَّد على ما ينبني على هذا الاعتقاد من إنكار البعث والحياة يوم المعاد، وزعمهم أنه ما يهلكهم إلا الدهر، لأن هذا في الحقيقة إنكار لصفتين عظيمتين من صفات الرب جل شأنه، وهما صفتا الإحياء والإماتة.

ولما ثبت وجود الله تعالى، وثبت أنه تعالى هو خالقنا وموجدنا من العدم، فهو الذي له الإحياء والإماتة، وهو الذي يحيينا ويميتنا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٥٦﴾[3].

وليس كما يزعم الملاحدة والدهريون الذين ينكرون البعث ويقولون أن الذي يهلكنا إنما هو مرور الزمن، كما حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ

---

(١) سورة إبراهيم: (١٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: (١٣٨/٣ رقم الفتوى ٦٢٤٥).

(٣) سورة يونس: (٥٦).

وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾[1] وقولهم: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

وإنّ من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفة الإحياء والإماتة لرب العالمين، فالله تعالى هو المحيي والمميت، وإليه ترجع الخلائق، قال الإمام الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] في توجيه قول من قال: أهم كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم؛ قال: (فإنه عنَى بذلك أنهم كانوا نطَفًا لا أرواحَ فيها، فكانت بمعنى سائر الأشياء المَواتِ التي لا أرواح فيها؛ وإحياؤه إياها -تعالى ذكره-: نفخُه الأرواح فيها، وإماتتُه إياهم بعد ذلك: قبضُه أرواحهم، وإحياؤه إياهم بعد ذلك: نفخُ الأرواح في أجسامهم يوم يُنفخ في الصُّور، ويُبْعثُ الخلقُ للموعود)[4].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (معلوم بالسمع اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية القائمة به، كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض والطي والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك، بل والخلق والإحياء والإماتة)[5].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله جل ثناءه: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ ﴾[6]: (إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم

---

(١) سورة الجاثية: (٢٤).

(٢) سورة المؤمنون: (٣٧).

(٣) سورة البقرة: (٢٨).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (١/٤٤٨).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) سورة الحجر: (٢٣).

يميتهم، ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع، وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومَن عليها، وإليه يرجعون)[1].

فالإحياء والإماتة صفتان من صفات الرب تعالى، وهما صفتان من صفاته الفعلية مختصتان به، لا شريك له في شيء من ذلك، وعُلم من ذلك أن نسبة هاتين الصفتين إلى الدهر أو الطبيعة إلحادٌ عظيم، وهو مِن أبطلِ الباطل.

ثم إنه بثبوت هاتين الصفتين الجليلتين الإحياء والإماتة لله عز وجل بطل القول بإنكار البعث، ففي «تفسير السراج المنير» في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[2] قال: (.. ﴿ يُحْىِۦ ﴾ أي: له صفة الإحياء، فيحيي ما شاء من الخلق، بأن يوجده على صفة الحياة كيف شاء، في أطوار يقلبها كيف شاء، ومما شاء، ﴿ وَيُمِيتُ ۖ ﴾ أي: له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار، فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء ...)[3].

فالذي يحيي ويميت هو القادر على أن يبعث الخلق، لأن المقصود من البعث هو إحياء الموتى وقيامهم من القبور يوم القيامة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٤/٥٣١).

(٢) سورة الحديد: (٢).

(٣) تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني: (٤/٢٠١).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

قرَّر الشيخ رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله هو الذي يحيي ويميت، ويبعث الأمواتَ يوم المعاد، فصفة الإحياء والإماتة تختص برب العالمين، ونسبة هذا الأمر لغيره تعالى من الدهر والطبيعة وغيرها من أبطل الباطل، وهو من أعظم الإلحاد في صفات الرب جل جلاله.

- **بيانه اختصاص صفة الإحياء والإماتة بالله تعالى:**

بين الشيخ السندي رحمه الله تعالى أن صفة الإحياء والإماتة مما اختص بها رب العالمين، لا شريك له في هذه الصفة، يقول الشيخ عند ذكره حديث النبي ﷺ أنه قال: ﴿مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بِهَا وَجْهه ورُوحهُ، مُصَدِّقًا بِهَا لِسَانهُ وَقَلْبه، إِلاَّ فَتقَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فتْقاً حَتَّى يَنْظُرَ الربُّ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أهلِ الدُّنيا، وَحُقَّ لِعَبْدٍ إذا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ﴾(1).

قال الشيخ: (معنى قول هذا الدعاء بالتصديق والإخلاص: أن يكون جميع أعمال العبد موافقاً له، أي أن لا يعتقد في أحد سوى الله تعالى أنه كاشف الضر و المستجيب في الحاجات، أو أنه مالك النفع والضر، أو أنه محيي ومميت ... فهذه الفضيلة المذكورة إنما هي لحامل مثل هذه العقيدة)(2).

---

(1) أخرجه النسائي في سننه الكبرى: (٩/١٧-١٨ برقم٩٧٧٢) وقد تفرد به من بين أصحاب الكتب الستة؛ وسنده ضعيف. انظر: صحيح وضعيف المفاريد، المسمى: الرياض المستطابة في صحيح وضعيف أحاديث مفاريد الصحابة: للحجوري: (ص١١٣).

(2) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

فتقرر أن الذي يحيي ويميت إنما هو الله سبحانه وتعالى، لا أحد يشاركه في ذلك.

- **إنكار الشيخ على من أشرك مع الله تعالى في صفة الإحياء والإماتة:**

قد رد الشيخ على بعض من ادّعى الاتصاف بصفة الإحياء والإماتة من دون الله عز وجل، كمِرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى بأنه أُعطي صفة الإحياء والفناء من الرب تبارك وتعالى، يقول الشيخ في سياق ذمه والرد عليه ومقام السخرية منه والتعجب: (... وعلاوةً على ما ذُكِر كان قد حصل على صفات الربوبية! حيث يكتب في ذلك: "أُعطِيْتُ صفةَ الإحياء والفناء من الرب الفَعَّال" ..!!) إلى أن قال: (فهل لمسلم يشهد بالكلمة ينطق بلفظة في حماية مِرْزا بعد هذه الادّعاءات والهفوات؟! ... بل خالفه علماء الدين، وبينوا دجاليته ومَكْرَه للأمة المحمدية ﷺ)[1]

فتبين من هذا أن مجرد تأييد شخص يدّعي اتصافه بهذه الصفات من الربوبية يستحيل أنْ يحصل من مسلم، فضلاً عن أن يكون المسلم هو الذي يدّعي الاتصاف بها، وعُلم من ذلك أن ادعاء صفة الإحياء أو الإماتة لغير الله تعالى من العقائد الكفرية التي لا ينبغي لمسلم أن يعتقدها.

- **بيانه دلالة أسماء الله تعالى على ذلك:**

إن أسماء الله تعالى الفعلية منها ما يدل على البعث والنشور، وإعادة الحياة إلى الأموات، وأن الله هو الذي يميت ويحيي، ويبعث مَن في القبور، وفي إثبات هذا كله رد على الدهرية في اعتقاداتهم الباطلة، ومزاعمهم الفاسدة.

---

(١) قادياني اور جهندائي خاندان (القادياني وقبيلة الجهندائيين) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٤-٢٦).

فقد عدّ الشيخ -رحمه الله- من ضمن أسماء الله تعالى صفتيه: ''المحيي'' و''المميت''[1]، وذكر لـــ: ''المُحيِي'' ثلاثة معان عن العلماء، فقال: (المحيي:

١- الذي أوجد الحياة في الخلق، وأحياهم.[2]

٢- وأحيا الأرض الموات بإسكانه.[2]

٣- ونور القلوب الميتة بنور الدين.[3] ...)[4].

---

(١) هذان الوصفان الجليلان ثابتان لله عز وجل من غير ريب، والعلماء اعتبروهما من أسامي صفات الفعل؛ فهي من أسمائه التي تطلق عليه باعتبار الفعل؛ وكذلك المعيد، والباعث، والجامع، ونحو ذلك مما سيأتي في هذا المبحث وغيره من المباحث القادمة، وسيأتي مزيد من التعليق على نحوها من الأسماء في أول المبحث السادس والثلاثين من هذا الفصل. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٦٨/٦) ؛ وبدائع الفوائد: لابن القيم: (٢٨٧/١).

(٢) هذان المعنيان الأول والثاني مستفادان عن الزجاج؛ انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٥٦) حيث قال: (المحيي: الله الذي أحيا الخلق، بأنْ خلق فيهم الحياة، وأحيا الموات بإنزال الحيا وإنبات العُشب، وعنهما تكون الحياة، وقال الله عز وعلا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾سورة الملك).

(٣) هذا المعنى الثالث مستفاد عن الإمام البيهقي رحمه الله؛ انظر: الأسماء والصفات: للبيهقي: (١٨٦/١)؛ حيث قال: (قال أبو سليمان فيما أخبرت عنه في معنى المحيي: هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحياة، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث؛ ويحيي القلوب بنور المعرفة؛ ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٨٩-٩٠).

فالإحياء بجميع معانيه الثلاثة إنما هو لله الحي القيوم، فهو الذي يوجد الحياة ويُحيي الخلق بإحداث الحياة فيه في الأولى والآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

والله هو الذي يحيي الأرض بعد موتها، وهذا فيه دلالة على إحياء الله الموتى يوم البعث، كما في القرآن المجيد: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[2].

وهو الذي يحيي القلوب الميتة بنور الهدى والإيمان، قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ...﴾[3] وقال جل ثناءه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾[4] في سورة الحديد بعد أن ذكر قسوة القلوب في قوله: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[5]. فثبت أن الإحياء من صفات الله عز وجل المختصة به، لا يشاركه فيها شيء من مخلوقاته.

---

(١) سورة البقرة: (٢٨).

(٢) سورة الروم: (٥٠).

(٣) سورة الأنعام: (١٢٢).

(٤) سورة الحديد: (١٧).

(٥) سورة الحديد: (١٦).

ثم ذكر الشيخ معنى ما ذكره الإمام البيهقي رحمهما الله تعالى عن اسمه تعالى ''المميت'' فقال: (المميت: مُمِيتُ الخلق بسلْب الحياة عنهم، وهذا الاسم يتضمن المدْح كصفة الإحياء، لأنه بيده وحده الحياة والموت، وليس بيد أحد غيره)[1].

ونقل عن الزجاج رحمه الله[2] بمعناه في بيان معنى هذا الاسم أنه: (هو الذي خلق الموت والحياة)[3].

فدل هذا الوصف الجليل على أن الله تعالى هو خالق الموت، وله صفة الإماتة بسلْب الحياة عن الأحياء، وليس ذاك من أمر الدهر الذي يزعمونه.

وكذلك من أسماء الله جل جلاله التي أورده الشيخ: ''الباعث''، وهو الذي يَبْعَثُ الخلْقَ لِيومِ المَعاد، فالله تعالى هو الذي يبعثهم بالإحياء من الممات، يقول الشيخ رحمه الله تعالى في بيان معناه: (الباعث: موجِد الموجودات من العدم، وباعث الانسان من القبور ...)[4] فالله تعالى هو الذي يبعث الخلق مِن قبورهم، ويحييهم من جديد بعد إماتتهم في الدنيا، وليس ذاك هو الدهر الذي يهلكهم ويحييهم.

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٠) ، وانظر: الأسماء والصفات: للبيهقي: (١/١٨٦).

(٢) الزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السَّريّ، الزجاج، البغدادي الإمام، نحويُّ زمانه؛ له تآليف جمة، منها: «الانسان وأعضاؤه»، وكتاب «النوادر»؛ وكان من ندماء المعتضد، ومن أهل الفضل والدين المتين؛ لزم المبرد، وأدَّب ابن الوزير؛ أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، وجماعة؛ مات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وقيل غير ذلك. انظر: تاريخ العلماء النحويين: للتنوخي: (ص٤٠-٤٤). ؛ وسير أعلام النبلاء: (١٤/٣٦٠).

(٣) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٠) ، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٥٦) حيث قال: (المميت: الله تعالى، خلَق الموتَ، كما أنه خالقُ الحياة، لا خالقَ سواه، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الموت).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٨٧).

وكذلك ذكر الشيخ مما يدل على ذلك من أسماء الله الحسنى اسمه ''المُعيد''، وهو: الذي يعيد الخلق من جديد، وما هو عليه بعزيز، فالله الذي فطر الخلق أول مرة يُعِيد خَلْقهم، كما قال تعالى في محكم التتريل: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾﴾(١).

يقول الشيخ في معنى هذا الاسم الجليل: (المعيد: الخالق مرة أخرى)(٢).

ثم نقل عن الزجاج وغيره بمعناه أنه: (مُعِيدُ الخَلْق يومَ القيامة للحساب والكتاب)(٣).

فعُلم أن الله تعالى سيُعيد خلقهم ويحييهم ليوم لا ريب فيه، ولا يتركهم سدى يحيون ويموتون، من غير حساب ولا كتاب، وقد على هذا المعنى اسم الله تعالى ''المعيد''.

وأيضاً من أسمائه الحُسْنى الدالة على بعثه الخلائق يوم الحساب اسمه تعالى: ''الجامع''؛ يقول الشيخ في بيان معنى هذا الاسم المبارك: (الجامع: جامع المخلوقات للحساب يوم القيامة "كذا ذكره الزجاج"(٤))(٥).

---

(١) سورة الإسراء: ٤٩-٥١.

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٨٩).

(٣) المرجع نفسه: (ص٨٩) ؛ وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٥٦) حيث قال: (المعيد: هو الذي أعاد الخلائق كلهم ليوم الحساب كما أبدأهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾..).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٦٣).

(٥) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٦).

فالله هو الذي يجمع الخلق ببعثهم مِن مراقدهم وقبورِهم يوم الجمع، كما قال الرب تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾[1].

وكذلك مما يدل على ذلكم قوله رحمه الله في تفسير اسم الله تعالى ''القَهَّار'' حيث قال: (القهّار: الذي يقهر الطُّغاة والأعداء بالقُوَّة والغَلَبة، والمخالفين بالآيات والدلائل، وعامّةَ الخلْق بالإِمَاتة؛ وكل شيء له وجود فإنه عاجز أمام قدرته، وهو في قبضته)[2].

فاتضح من ذلك كلِّه أن الأسماء الحسنى منها ما يدلُّ على أن الله تعالى يبعث الخلق وينشرهم، ويعيد الحياة إلى الأموات، وأنه سبحانه هو الذي يحيي ويميت، لا شريك له في صفاته، وبطل قول الدهرية إنه ما يُهلِكهم إلا الدهر، فإنهم ما لهم بذلك من علم، إنْ هم إلا يظنون.

---

(١) سورة النساء: (٨٧).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٧).

المبحث السابع
الـــرَّدُّ عَلَـى الْقَـدَرِيَّـــةِ

الله تعالى قادِرٌ على كُلِّ شَيْء، وهو ذو القدرة التامة، والأمر النافذ، لا يخرج عن مقدوره شيء، هو الخالق والمالك، يفعل ما يشاء ويختار، كتب كل شيء وعلمه، لا تخفى عليه خافية، ولما كان الإيمان بالقَدَر يدخل في باب الإيمان بصفات الله تعالى من الإيمان بقدرة الله تعالى ومشيئته وخلقه وعلمه أوردت هذا المبحث في هذا الموضع لمناسبته بهذا الفصل، وسيكون الكلام فيه على نحو ما يلي:

- **تعريف القَدَرية:**

القدَرِية هم المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، ويرون أنّ العبد يخلق أفعاله، ويستقل بها، وأنها غير تابعة لمشيئة الله عز وجل، فأخرجوها عن قدرة الله تعالى وخلقه، فأثبتوا خالقاً مع الله تعالى! لذلك سُموا مجوس هذه الأمة، لأن المجوس قالوا بإثبات خالقين: النور، والظلمة، وغلاة القدرية ينكرون علم الله تعالى المتقدم، وكتابته السابقة.[1]

يقول أبو منصور عبد القاهر البغدادي[2] رحمه الله في بيان عقيدة المعتزلة القدرية: (ومنها: قولهم جميعاً بأن الله تعالى غيرُ خالقٍ لأكسابِ الناس ولا لشيء من أعمال

(١) انظر: الفَرق بين الفِرق: للبغدادي: (ص١١٤) ؛ والمِلَل والنِّحَل: للشهرستاني: (٥٦/١).

(٢) هو عبد القاهر بن طاهر، أبو منصور البغدادي، أحد أعلام الشافعية، حدث عن إسماعيل بن نُجيد، وبِشر بن أحمد، وطبقتهم؛ وحدث عنه أبو القاسم القُشيري، وأبو بكر البيهقي، وخلق؛ له كتاب «التكملة» في الحساب، و«الفرق بين الفِرق»، وغير ذلك؛ توفي سنة إحدى وعشرين وأربع مائة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان: (٢٠٣/٣ برقم٣٩٢) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (٥٧٣/١٧ برقم٣٧٨).

الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صُنْعٌ ولا تقدير؛ ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قَدَرِية)[1].

- **عقيدة أهلِ السّنة والجماعة في ذلك:**

مذهب أهل السُّنة والجماعة في باب القَدَر كغيره مبني على الكتاب والسنة، كما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة، فيعتقدون أن الله تعالى هو خالق كل شيء ومالكه من جميع الأعيان القائمة بنفسها، وصفاتها التي تقوم بها، من أفعال العباد وغيرها، ولا يكون في الكون شيء إلا بمشيئته تعالى وقدرته، يفعل ما يشاء؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حجة لأحد عليه في واجبٍ ترَكه، ولا محرّم فعَله، بل له الحجة البالغة على عباده، مع اعتقادهم أنّ العبد له مشيئة وقدرة، وليست مشيئته مستقلة، بل هي تابعة لمشيئة رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[2].

يقول الإمام أبو بكر الآجري: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أنَّ الله تعالى ذِكره أمر العباد باتباع صراطه المستقيم، وأن لا يعوجوا عنه يميناً ولا شمالاً، فقال تعالى ذِكره: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[3] ثم قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾[4] ففي الظاهر أنه جل ذكره أمرهم بالاستقامة واتباع سبيله، وجعل في الظاهر إليهم المشيئة، ثم

---

(١) انظر: الفَرق بين الفِرق: للبغدادي: (ص١١٤-١١٥).

(٢) سورة التكوير: (٢٨-٢٩).

(٣) سورة الأنعام: (١٥٣).

(٤) سورة التكوير: (٢٨).

أعلمهم بعد ذلك: إنكم لن تشاءوا إلا أن أشاء أنا لكم ما فيه هدايتكم، وأنّ مشيئتكم تبع لمشيئتي)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أصل هذه المسألة: أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربُّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير أفعال العباد؛

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه؛

وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقدْ قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدّر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون.

وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أُنُف، أي: مستأنَف!)[2].

فاتضح أن عقيدة أهل السنة في باب القدر هي الوسط؛ وهي أن الله خالق كل شيء، وهو القادر على كل شيء، وله المشيئة، وكان بكل شيء عليماً، وهم مع كونهم يثبتون للعبد مشيئة وإرادة يجعلونها تابعة لمشيئة الله وإرادته، فلا العبد يخلق أفعاله، ولا هو

(١) الشريعة: للآجري: (١/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/٤٤٩-٤٥٠).

بمجبور عليها، حيث لا يستطيع أن يتصرف في نفسه، فله إرادة ومشيئة، ولكن إرادته ومشيئته تابعتان لإرادة الله تعالى ومشيئته.

- **بُطْلانُ قولِ الْقَدَرية:**

يكفي لبطلان قول القدرية أنه لم يساندهم في مقولتهم دليل، لا من الكتاب ولا من السنة، بل خالفوا في ذلك قولَ رب العالمين، وقول الأنبياء، وعباد الله الصالحين، بل و لم يوافقوا فيها مقالة إخوانهم الطالحين.

وقد قال بعض أهل السنة في شأن مقولتهم: (والله ما قالت القدرية كما قال الله تعالى، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس؛

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

وقالت الملائكة: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[2]

وقال النبيون منهم شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾[3]

وقال أهل الجنة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[4]

وقال أهل النار: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾[5]

---

(١) سورة التكوير: (٢٩).

(٢) سورة البقرة: (٣٢).

(٣) سورة الأعراف: (٨٩).

(٤) سورة الأعراف: (٤٣).

(٥) سورة المؤمنون: (١٠٦).

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ...﴾[1])[2].

فاتضح من هذه الآيات البَيِّنات وأمثالها في القرآن بطلان قول القدرية أن العبد مستقلٌّ بأفعاله، وأنها ليست بمشيئة الله، سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن أن يقع في ملكه شيء من خير أو شر من غير مشيئته وإرادته.

---

(١) سورة الحجر: (٣٩).

(٢) الشريعة: للآجري: (١/٣٣٣).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

سَلَك الشيخ رحمه الله تعالى عقيدة أهلِ السُّنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة، فبين أن للعبد مشيئة واختياراً وقدرة في أفعاله، وليس هو مستقلاً فيها بمشيئته، بل مشيئته تتبع مشيئة رب العالمين، فكلٌّ ما يحصل في مُلك الله تعالى من خير أو شر، ونفع أو ضر، من أفعال العبد أو غيرها، فإنه إنما يقع بمشيئة الجبار وقدرته سبحانه، فكل نفع في الكون حاصل بأمر الله تعالى ومشيئته، يقول الشيخ عما يقع من أفعال العباد من إكرام للغير وسخاء وجود: (كل عزة وَجود فهو من الله، ولو أنَّ مخلوقاً يُكرِم أحداً أو يجود عليه فهو أيضاً بأمرِه)[1].

وكذلك الضّر لا يقع إلا بإذنه يقول الشيخ في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[2]: (لا يضر شيء إلا بإذن الله ... وفي الحقيقة في هذا تسلية للمؤمنين، وأن يكون دائماً على الله توكلهم، ففي «روح المعاني»: "وفيه دليل على أنّ فيه ضرراً مودَعاً، إذا شاء اللّه تعالى حالَ بينه وبينه، وإذا شاء خَلّاه وما أودعَه فيه، وهذا مذهبُ السَّلَف في سائر الأسباب والمسبّبات"[3]..)[4].

ثم ذكر الشيخ أقوال بعض العلماء في ذلك فقال: (قال الحسن البصري[5] رحمة الله عليه: "مَن شاء الله سلّطهم عليه، ومَن لم يشأ الله لم يسلّطْ، ولا يستطيعون من أحد

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٥).

(٢) سورة البقرة: (١٠٢).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي: (٣٤٥/١).

(٤) قصه هاروت وماروت اور جادو کی حقیقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٠-١١١).

(٥) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، ولد بالمدينة سنة واحد وعشرين من الهجرة، وشبّ في كنفِ عليّ بن أبي طالب، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب، له كتاب: «فضائل مكة». توفي سنة عشرة بعد المئة. انظر: الأعلام: للزركلي: (٢٢٧/٢).

إلا بإذن الله"[1] ..)[2] فتسلطُ السَّحَرة على المسحورين لا يقع إلا بإذنه سبحانه، فالضَّرَرُ الحاصل من سِحر السَّحرَة إنما هو بإذن الله تعالى ومشيئته، وليست السَّحَرة ولا غيرهم مستقلِّين بأفعالهم ومشيئتهم، بل هي تابعة لمشيئته تعالى وإرادته.

فاتضح من ذلك أنّ الشيخ يرى أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله تعالى وإذنه، ولا يحصل من نفع أو يقع من ضر إلا بأمره وإرادته، فهو مسبب جميع الأسباب، كما قال الشيخ عند شرحه لِاسْمَي الله تعالى ''الضار'' و''النافع'': (الله تعالى هو: ''النافع'' و''الضار''، وهما يدلان على قدرته الكاملة وحكمته، فالخير والشر كله بيده، وهو مُسبِّب أسباب الخيرِ كلِّه، ودافع الشُّرور[3]، وكل ما يقع من أحد من نفع أو ضر فهو يقع تحت مشيئته)[4].

فقد أثبت الشيخ في هذه الجملة وقوع النفع والضر من العباد، وهذا من أفعالهم، مع بيان أن هذه الأفعال من العبد ليست بمحض مشيئته، بل هي تتبع مشيئة رب العالمين، فتبين أن الله تعالى هو الذي يخلق أفعال العباد، وبمشيئته وقدرته الكاملة تقع، وليس العبد بخالق لها، ولا بمستقل بها، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وكذلك مسبِّبُ أسباب الرّزق هو الله تعالى، كما يتضح هذا في قول الشيخ رحمه الله حيث يقول: (... كيف يرضى الله تعالى لمخلوقه الذي أوجده من العدم، وأعطاه

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٣٦٤/١).

(٢) قصه هاروت وماروت اور جادو كى حقيقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١١-١١٢).

(٣) أشار الشيخ في هذا الموضع أن هذا المعنى مأخوذ من شرح الزجاج؛ انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٦٣).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٧).

البهجة والقوة والطاقة، ووهبه العقل والرشد، ورَزَقه بأن وهَب له أسباب الرزق، أن يصير عابداً لغيره، وذاكراً له!.. كلا..)[1].

فعُلم أن الذي هيّأَ للانسان أسباب الرزق هو الله تعالى، فهو سبحانه وحدَه مسبِّبُ الأسباب.

وكذلك الإضلال والهداية بيد الله وحده، فلا يضلّ أحد عن سبيله ولا يهتدي إلا بعد إرادته ومشيئته لذلك، كما قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[2] قال: (أيْ: بإرادته وأمره)[3]، وقال أيضاً في موضع آخر: (الحمد لله هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)[4]، فثبت أنه لا يطيعهم المطيع ولا يهتدي المهتدي إلا بإرادة منه تعالى وأمره.

كما أنه هو الذي يُوفِّقه للطاعة ويُيَسِّرها له، وإلا لَمَا استطاعها أحد، كما قال الشيخ في وصف الله تعالى: (... لن يفلح أحدٌ في حصول مقصده إنْ لم يُيَسّرْه الله، والعقل والحواسّ الخمسة مِن خلْقِه تعالى وعطائه)[5].

فاتَّضحَ أنَّ مَن لم يُوفقْه الله للطّاعة والهداية لن يستطيع الوصول إلى ذلك، لأن الهداية إنما هي بيد الله عز وجل.

وبَيَّن الشيخ كذلك أنه ليس شيء يخرج عن قُدرة الله تعالى، فإنه القادر المقتدر، وهما من أسماء الله الحسنى جَلَّ جلاله كما ذكرهما الشيخ منها، وبَيَّن أنّ (القادر هو

---

(١) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨٣).

(٢) سورة البقرة: (٦٤).

(٣) قصه هاروت وماروت اور جادو كى حقيقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٢).

(٤) الوسيق في جواب الوثيق: لبديع الدين السندي: (ص١٣).

(٥) اسلام مين عورت كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٥).

الذي ينفذ أمره بلا واسطة ...)[1] و(المقتدر: هو الذي لا يخرج شيء عن قدرته ...)[2].

فالله هو القادر المقتَدِر على كُلِّ شيء، تقوم بقُدرته جميع المخلوقات من جميع الأعْيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، مِن أفعال العباد وغيرها، كما قال الشيخ في بيان معنى ''القَيُّوم'' مِن أسماء الله تعالى أنه: (القائم الدائم بلا فناء ولا زوال، وبقدرته قيام جميع الخلق)[3] فعُلم أنه لا يخرج شيء من مخلوقاته عن قدرته جل وعلا.

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩١).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: (ص٩٠).

المبحث الثامن
صِفَةُ الْخَلْقِ والمُلْكِ والتَّصْوِيْر

صفة الخلق والملك والتصوير من الصفات الثابتة لله تعالى التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما يليق بشأنه، لايشاركه فيها أحد من خلقه، لا مَلَك مقرَّب ولا نبي مرسَل، وهي من صفات الربوبية، والإيمان بها من الإيمان بتوحيد الربوبية، قال الله تعالى عن اختصاص صفة الملك به: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾(1).

وقد ورد لفظ المُلْك والمَلِك ومالِكُ المُلك في العديد من الآيات الكريمات، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾(2)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ﴾(3)، وقوله جل جلاله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾(4) وغير ذلك من الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمُلك قد يراد به القدرة على التصرف، والتدبير، ويراد به نفسه التدبير، والتصرف، ويراد به المملوك نفسه، الذي هو محل التدبير، ويراد به ذلك كله)(5)، فهذا هو المُلك.

وفي بيان معنى المَلِك قال الزجاج رحمه الله: (قال أصحاب المعاني: المِلك: النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كل مالك ينفذ أمره وتصرفه فيما يملكه، فالمِلك أعم من المالِك،

(١) سورة المائدة: (١٢٠).

(٢) سورة البقرة: (١٠٧).

(٣) سورة طه: (١١٤).

(٤) سورة آل عمران: (٢٦).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٨/١٩٥).

والله تعالى مالِكُ المالِكِين كلِّهم، والملاك إنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى)[1] فالمَلِك هو النافذ الأمر في ملكه، ولذلك المالك الحقيقي هو الله، وما نُسب إلى غيره تعالى من المخلوقات من المُلك فإنما هو من جهة الرب تعالى يضعه حيث يشاء، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2].

فالمُلك صفة من صفات الرب تبارك وتعالى، وتعني ملكه لكل شيء، وتصرفه فيه وتدبيره من دون مدافعة ولا ممانعة.

والله كذلك هو الخالِقُ والمصَوِّر، ومِن صفاته الخلْق والتصوير، قال تعالى عن هاتين الصِّفتين: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾[3] قال إمام المفسِّرين أبو جعفر الطبري رحمه الله في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبودَ تَصلُح له العبادةُ غيرُه، ولا خالقَ سواه، البارئ الذي بَرَأ الخلْق، فأوجدَهم بقدرته، المصوِّر خلقَه كيف شاء، وكيف يشاء)[4].

والخالق: من الخلق، وأصله التقدير المستقيم؛ والبارئ: من البرء، وأصلُه خلوصُ الشيء عن غيره، وقيل البارئ: الخالق البريء من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام؛ والمصَوِّر: مُبدِعُ صُوَر المخترعات ومرتبها بحسب مقتضى الحكمة.

فالله خالق كل شيء، بمعنى أنه موجده من أصل، ومن غير أصل؛ وبارئه بحسب ما اقتضته الحكمة من غير تفاوت ولا اختلال؛ ومصوِّره في صورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله.

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٣٠).

(٢) سورة آل عمران: (١٨٠).

(٣) سورة الحشر: (٢٤).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٢٢/٥٥٥).

وعلى هذا فالتقدير يقع أولاً، ثم الإحداث على الوجه المقدر يقع ثانياً، ثم التصوير بالتسوية يقع ثالثاً.(١)

والخالق من العدم إنما هو الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) ولكن الخلق قد يرد بغير هذا المعنى فينسب لغير الله عز وجل، كما حكى الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾(٣)، فنسب لنفسه الخلق، لكنه إنما يخلق من الطين، والذي يخلق من العدم هو الله تعالى وحده، لا شريك له في ذلك، ولهذا يوصف بأنه أحسن الخالقين، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾(٤).

فالخلق إذا أضيف إلى الله تعالى فمعناه الإيجاد من العدم، وهذا لا يقدر عليه أحد إلا الله الخالق الحقيقي، وإذا أضيف إلى غيره من المخلوقات، فإنما هو تحويل الشيء من صورة إلى صورة، وليس الإيجاد من العدم، لأن الخلق على هذا المعنى من اختصاص الربِّ جل شأنه.(٥)

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر: (٣٩١/١٣).

(٢) سورة فاطر: (٣).

(٣) سورة آل عمران: (٤٩).

(٤) سورة المؤمنون: (١٤).

(٥) انظر: النبوات: لابن تيمية: (١٠٧١/٢) ؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٤٢٤/٥).

*** تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:**

(الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلْقَه ثم هَدى، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، كان و لم يكن شيء فأحدَثَ الأشياءَ كما شاء وقضى، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [١] ... الخالِق البارِئُ المصَوِّر، لهُ الأسْماء الحُسْنى)[٢].

هذه الجملة الاستهلالية المذكورة آنفاً مقتبَسة من كلام الشيخ السندي رحمه الله تعالى، وفيها إثبات عديد من صفات الله عز وجل، إلا أن من أبرزها صفة الخلق، والمُلْك، والتَّصْوير، فالله تعالى هو وَحده الخالق والمالك والمصوِّر، له الأسماء الحسنى، ففيما يلي أذكر من تقريرات الشيخ السندي عن هذه الصفات الثلاثة:

أولاً- صِفَةُ الْخَلْق:

بيَّنَ الشيخ أنّ أصلَ الخلْق يأتي التقدير، فقال رحمه الله تعالى: (الخالق: هو المقدِّر؛ لأنّ أصل الخلق بمعنى التقدير، يقال مثلاً: خلقت الشيء خلقاً: إذا قدّرته، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾[٣] أيْ: وتقدّرون إفْكاً؛ فالمعنى: أنّ الله تعالى مقدّر الخلق، ومنشئه، ومتمّمه، ومدبِّره)[٤].

فالخلْق هوالتقدير، والله تعالى هو الخالق، أيْ: مقدِّرُ الخلائق ومنشئها ومتمّمها ومدبرها.

---

(١) سورة طه: ٥-٦.

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: ص١ (مخطوط).

(٣) سورة العنكبوت: (١٧).

(٤) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٦).

والخلق من صفات الله تعالى دلَّ عليها اسمه ''الخالق'' الذي عدّه الشيخ من ضمن أسماء الله تعالى الحسنى[1]، فالخالق هو الله تعالى وحدَه، وقد بيّن الشيخ أن الله هو الذي خلق الأشياء كلها، فما من شيء سواه إلا وهو مخلوق من مخلوقاته تعالى، كان الله و لم يكن شيء معه، فأحدثها من العدم، وخَلَقها كما شاء، وأعطى كلَّ شيءٍ خلْقه، كما مرّ في الجملة السابقة من قوله: (الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلْقَه ثم هَدى، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، كان و لم يكن شيء، فأحدث الأشياء كما شاء وقضى ... الخالق البارئ المصوِّر، له الأسماء الحسنى)[2].

فثبت من هذه الجملة أن الخالقَ من أسماء الله جلَّ جلاله، والخلْقُ مِن أوصافه، والمخلوق مِن إحداثه، أوجده من العدم، كان الله و لم يك شيء قبله، فخلَق الخلْق، وأعطى كلَّ شيء خلقه.

وقد ذكر الشيخ في هذه الجُمْلة من أسماء الله الحسنى اسمَين عظيمين كلاهما يدلان على صفة الخلق له سبحانه، وهما: الخالق، والبارئ؛

فأما الخالق فدلالته واضحة على الخلق، لأنّ أسماء الله تعالى لَيستْ أعلاماً مجرَّدة، بل هي أعلام وأوصاف، كما تقدّم بيانُ ذلك بالتفصيل فيما سبق من تقرير الشيخ السندي رحمه الله تعالى لذلك[3]، فاسم الله ''الخالقُ'' عَلَمٌ ووَصف؛ عَلَمٌ باعتبار دلالته على الذات، ووصفٌ باعتبار دلالته على معناه الذي دل عليه اشتقاقه، وهو الخلق.

وأما اسم الله تعالى ''البارئ'' فهو أيضاً يدل على صفة الخلق، لأن البرء خلْق على صِفة، كما قال الإمام الزجاج رحمه الله في «تشريح أسماء الله الحسنى»: (يقال برأ اللهُ الخلْقَ فهو يبرؤهم برءاً إذا فَطَرهم؛ والبرء خلق على صفة)[4].

---

(١) انظر: تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٦).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٣) انظر: القاعدة الثالثة من المبحث الأول في الباب الأول.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٣٧).

وقد قال الشيخ السندي رحمه الله في بيان معناه أن: (الباريئ: هو الخالق)[1] فعُلم أن كلًّا من الاسمَين الجليلين: ''الخالق'' و''الباريئ'' يدل على صفة الخلق لله تعالى، لكن البرء كما تقدم خلق على صفة.

فلا يخرج شيء سوى الله تعالى عن كونه مخلوقاً له، ولذلك قال الشيخ: (الكل مخلوق لله تعالى)[2] وقال في موضع في شرح أسماء الله الحسنى: (الوكيل: الذي يفوَّض إليه جميع الأمور، على اعتقاد أنه هو المالك لجميع المخلوقات ...)[3] فكل شيء سواه فهو مخلوق من مخلوقاته وهو مالكه جل شأنه.

كما أن البشر أيضاً من هذه المخلوقات، خلقه رب العالمين من زوج واحد، يقول الشيخ أنَّ الله تعالى بيّن: (أنّا خَلَقْناكم من زوجٍ واحد، مِن أبٍ واحد، وأُمٍّ واحدة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[4] خلقكم مِن زوجٍ واحد ﴿ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[5] ..)[6].

وقال في موضع آخر: (لكن الله تعالى جعل الانسان أشرف المخلوقات)[7].

فالبشر أيضاً كغيره مخلوق من مخلوقات الله، بل كل شيء سواه مخلوقُه، وهو

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٧).

(٢) اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٥).

(٣) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٨٨).

(٤) سورة النساء: (١).

(٥) سورة الحجرات: (١٣).

(٦) حقوق العباد (أردو): لبديع الدين السندي: (ص١٩).

(٧) اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٥).

الخالق، كما في قول عمرو بن دينار[1] التابعي رحمه الله حيث نقله الشيخ أنه قال: (أدْرَكْتُ الناسَ مُنذُ سبعينَ سَنة أصْحابَ رسولِ اللهِ فمَنْ دُونَهُم يقولونَ: اللهُ خالِقٌ، وما سِواهُ مخلوقٌ، إلا القرآن...)[2].

فكل شيء اللهُ خالقه، وكل ما سوى الله من الأشياء مخلوقه، وليس له شريك في هذه الصفة.

- **إِضافةُ الْخَلْقِ إِلى غيرِ اللهِ تَعَالى:**

لما كان الْخَلْق قد يُنسب لغير الله تعالى -كما سَبق بيانه في هذا المبحث- قال الشيخ إنّ: (الله هو الخالق الحقيقي، والمالك الحقيقي)[3].

فأشار بذلك أن الْخَلْق قد يُنسب لغير الله تعالى، وذلك على معنى تحويل الشيء من صورة إلى صورة، أما بمعنى إيجاد الشيء من العدم فذلكم الخالق إنما هو الله وحده، ولذلك وصَفه الشيخ بأنه: (الخالق الحقيقي)، أي: الذي له الخلق في الحقيقة؛

---

(١) عمرو بن دينار هو: أبو محمد، المكي الأثرم، من التابعين؛ سمع ابن عمر وابن عباس وجابر، وغيرهم من الصحابة؛ روى عنه شعبة وسفيان بن عيينة وغيرهما، وغيرهم؛ قال أبو زرعة عنه: مكي ثقة. توفي سنة ست وعشرين ومئة. انظر: الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي: (٢٣١/٦ برقم ١٢٨٠) ؛ و"سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٣٠٠/٥- ٣٠٧ برقم ١٤٤) ؛ وشذرات الذهب: لابن العماد: (١١٥/٢).

(٢) العلو للعلي الغفار: للذهبي: (ص١٥٦ برقم٤٢١) ؛ قال الذهبي: قد تواتر هذا عن ابن عيينة. وصححه الألباني في مختصر العلو: (ص١٦٤) ؛ وقد نقله بديع الدين السندي في كتاب: حق وباطل عوام كى عدالت مين (الحق والباطل في محكمة العوام) أردو: (ص٤١-٤٢).

(٣) اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٧) وانظر منه أيضاً: (ص٢٤ ، ٤٥).

فالبشر إذا أطلق عليه الخلق فالمراد من خلقه هو تحويل ذلك الشيء الذي خلقه الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى، لا خلق إيجاد من العدم؛ ومثل هذا يسمى اشتراك الصفة، ولا يعني التماثل، كما قرر ذلك الشيخ.

يقول رحمه الله تعالى وهو يبين الفرق بين بعض صفات الله تعالى وصفات خلقه: (وإليك مثال لفهم ذلك: أن لله تعالى صفةَ الحياة، والعلم، والسمع، والبصر، واليد، والعَين، والوجه، وغير ذلك من الصفات؛ أوَ ليس للانسان كذلك صفات بهذه الأسماء؟.. بلى؛ فإن القرآن حيث ذكر هذه الصفات لله ذكرها كذلك للانسان؛ ...

فهل يلزم من ذلك الشرك؟ حاشَا وكلا ...)[1] انتهى.

فتبين من ذلك أن لا مماثلة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، ومن ذلك صفة الخلق لله تعالى، وإضافة الخلق إلى خلقه، فإنه لا وجه للمماثلة بينهما.

- **الخالق هو المستحق للعبادة:**

بين الشيخ السندي رحمه الله أن العبادة لا تكون إلا للخالق جلّ شأنه، لأن صرف العبادة لغيره تعالى من كفران نعمة من أنعم عليه بخلقه، فإنه سبحانه لو لم يخلقْه لكان معدوماً ولم يكن شيئاً مذكوراً، يقول الشيخ في بيان ذلك: (... كيف يرضى الله تعالى لمخلوقه الذي أوجده من العدم، وأعطاه البهجة والقوة والطاقة، ووهبه العقل والرشد، ورَزَقه بأن وهَب له أسباب الرزق، أن يصير عابداً لغيره، وذاكراً له؟!.. كلا..)[2] أي لن يرضى الله أن يعبد مخلوقُه غيرَه تعالى، فالعبادة لا يستحقها إلا الخالق جلّ ذكره.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦٨-١٦٩ مخطوط) ، وانظر منه أيضا: (ص١٥٨ مخطوط).

(٢) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨٣).

ثانياً – صِفَةُ المُلْك:

مَن كانت هذه صفته أنه خالق كل شيء وموجده كان مالكاً لِما خلقه وأوجده، ولذلك -والله أعلم- لما ذكر الشيخ صفة خلق الله لكل شيء في الجملة الاستهلالية السابق ذكرها أردف بذكر الآية التي تدل على عموم ملك الله سبحانه، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾[1] فكلٌّ شيء سواه مخلوقُه، والمخلوق يكون مِلكاً لمن خلقه، فله الخلق وله المُلك، لأنه لما كان الله عز وجل هو المنفرد بالخلق، فإنه إلزاماً ينفرد بالملك.

وقد ذكر الشيخ من أسماء الله تعالى الحسنى ''المَلِك''[2] و''مالِك المُلْك''[3] ووصفه بأنه ''المالك الحقيقي''[4] مما يبرهن على إثباته صفة المُلْك لله تعالى.

- **بيانه أن مُلك الله تعالى مبني على الرحمة والعدل:**

إثبات صفة المُلك لرب العالمين لايعني أنه تعالى لا يعدل بين مملوكه كبعض ملوك الدنيا، بل أحكامه في ملكه وخلقه مبنية على العدل والرحمة، وما ربك بظلام للعبيد؛

يقول الشيخ رحمه الله في شرح البسملة: (يعني أن هذه الأحكام أحكام المَالِك الرحمن الرحيم، وقوانينه كلها مبنية على الرحمة، ليس فيها شيء يكون مبنياً على غير العدل)[5] فأحكام الله تعالى في مُلكه وقوانينُه مبينية على محض العدل والرحمة.

---

(١) سورة طه: (٥-٦).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٤).

(٣) المرجع نفسه: (ص٩٥).

(٤) انظر: اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٧).

(٥) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٦٠).

- **مالك الرِّزق هو الله:**

الرِّزْق بيد الله جل جلاله، وهو مالك الرِّزق بنوعيه: الرزق الظاهري الذي هو قوت البدن، والرزق الباطني الذي هو النور والهداية، يقول الشيخ رحمه الله تعالى: (الرزق قسمان:

- الأول: ظاهري؛ يعني القوت والغذاء والطعام الذي ينفع الجسم.

- والثاني: باطني؛ وهو الذي يكون نوراً للإيمان في القلب، وهادياً للدين.

ففائدة الرزق الظاهري تعود على الجسم؛ والرزق الباطني للحياة الأبدية، يعني للآخرة، وكلا القسمين هو مالكهما ويوصلهما برحمته إلى عباده)[1].

فالرزق كله مالكه هو الله تعالى، فهو الذي يرزق عباده غذاءهم وطعامهم الذي يقتاتون به، وهو الذي بيده أمر هدايتهم، فيهدي إلى الطريق المستقيم من يشاء، ويضل عنه من يشاء، إنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

- **مالكُ النَّفعِ والضُّرّ هو اللهُ تعالى:**

بين الشيخ رحمه الله تعالى أنّ مِن مُلك الله تعالى النفعُ والضر، فالله هو الذي يملك النفع والضر، يقول الشيخ عند ذكره حديث النبي ﷺ أنه قال: ﴿مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بهَا وَجْهه ورُوحهُ، مُصَدِّقًا بِهَا لِسَانهُ وَقَلْبه، إلاَّ فَتقَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فتْقاً حَتَّى يَنْظُرَ الربُّ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أهلِ الدُّنيا، وَحُقَّ لِعَبْدٍ إذا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ﴾[2].

قال الشيخ السندي في شرحه لهذا الحديث المبارك: (معنى قول هذا الدعاء بالتصديق والإخلاص: أن يكون جميع أعمال العبد موافقاً له، أي أن لا يعتقد في أحد

---

(١) المرجع السابق: (ص٧٨).

(٢) سبق تخريجه في المبحث السادس من هذا الفصل.

سوى الله تعالى أنه كاشف الضر و المستجيب في الحاجات، أو أنه مالك النفع والضر ...)[1] وذلك لأن مالك النفع والضر هو الله وحده جل جلاله، وهو الضار النافع.

- **إضافة المُلك إلى غير الله تعالى:**

بيّن الشيخ رحمه الله أن المَلِك هو: (الذي يستطيع إنفاذ جميع أوامره، وهذه الصفة ليست لملك من الملوك، بل هو مالك المالِكِين)[2].

ففي عبارة الشيخ هذه بيان أن النافذ الأمر في مُلكه هو المِلِك الحقيقي، وهو الله جل جلاله، ولا أحد سواه يوصف بهذه الصفة، فإن ملاك الدنيا وإنْ أضيف إليهم المُلك فإنهم لايملكون تنفيذ كل ما أمَروا به، بل هي صفة اختص بها رب العالمين، ولذلك هو مالك المالكين، وكان من أسمائه الحسنى ''مالِك المُلْك'' ، فكما أنَّ الخَلْق هو في حقيقة الأمر إنما هو لله تعالى الذي خلق الأشياء من العدم، فكذلك المُلْك الحقيقي إنما هو لِرَبّ العالمين الذي له مُلك كل شيء ابتداءً وانتهاء، وإلى هذا إشارة في قول الشيخ حين يصف الله تعالى بأنه: (المالك الحقيقي)[3] فإن في هذه الكلمة من قول الشيخ إشارة إلى أن المُلك قد يُنسب لغير الله تعالى، ولكن المالك الحقيقي هو الله سبحانه، فله الملك في المبتدا عند إنشاء الخلق، وفي المنتهى عند زوال الأرض، حيث لن يبقى من الملوك سواه.

---

(١) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

(٢) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٧٤).

(٣) انظر: اسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٧).

وقد ذكر الشيخ من أسمائه تعالى الحسنى: ''مالك الملك'' وبَيّن أنه: (الذي يعطيه من يشاء، وينزع عمن يشاء، مالك الملوك، يصرفهم تحت أمره ونهيه)[1].

فملوك الدنيا مُلكهم إنما هو مستفاد من مالك المُلك رب العالمين، ومحض عطائه، ولذا فإن الشيخ بَيّن أن مُلك نبي الله سليمان عليه السلام إنما كان من عطاء الله تعالى له، فيقول الشيخ عنه عليه السلام: (بل كان نبياً صالحاً لله، وقد وهبه الله تعالى هذه الحكومة والمُلك، كما قال الباري تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]

ففيه بيان بَيِّنٌ أنّ مُلك سليمان عليه السلام وتسخيرَ الرِّياح له، وكونَ الجن تحت يده متبعين لأمره، كل ذلك كان عطاء الله ...)[3] فليس هو مُلك مستقل أبدي.

- **بيانه أن من الشرك الشركُ في صِفةِ المُلك:**

يقول الشيخ رحمه الله تعالى بعد أنْ نَقل كلامَ ابن منظور حيث قال: (...والشرك أن يُجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد...)[4] قال الشيخ بعده: (يعني أن الشرك بالله تعالى معناه أن يُعيَّن معه مخلوق من المخلوقات شريكاً له في مُلكه

---

(١) تشريح الأسماء الحسنى (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٩٥)، وقد أشار الشيخ إلى أن هذا المعنى مستفاد من كلام الزجاج، انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج: (ص٦٢).

(٢) سورة ص: (٣٥-٤٠).

(٣) قصه هاروت وماروت اور جادو كى حقيقت (قصة هاروت وماروت وحقيقة السحر) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١٢).

(٤) لسان العرب: لابن منظور: باب الشين (٤/٢٢٤٩).

وربوبيته، أو أن يُسوَّى به مخلوق من المخلوقات، ومن فعل ذلك فهو كافر مشرك، لأن الله تعالى واحد لاشريك له ولا مثل له... الخ)[١].

فعُلم أن صفة الملك على وجه الكمال صفة مختصة برب العالمين، لاشريك له فيها، ومن ادعى هذه الصفة فهو مشرك، لأنه ادعى ما اختص الله به سبحانه.

ثالثاً – صفة التصوير:

الله تعالى من أسمائه الحسنى ''المصوِّر''، ومن صفاته العليا صفة التصوير، وقد عدّ الشيخ السندي رحمه الله هذه الصفة من صفات الله تعالى، وذكر أنّ من أسمائه تعالى: المصوِّر؛ حيث قال في وصفه جلّ شأنه: (الخالق البارئ المصوِّر، له الأسماء الحسنى)[٢].

فالمصوِّر من أسماء الله الحسنى، الدالّ على صفة التصوير، فالشيخ يثبت هذه الصفة كما أثبها أهلُ السُّنة والجماعة؛ أن الله تعالى هو الذي يصوّر الخلق كيف يشاء، وعلى أيّ وصف يشاء، وأعطى كل شيء صورته، يقول الشيخ في شرح الآية الكريمة: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[٣] قال في معناها: (أعطى كلَّ شيء شكلَه وصُورته الخاصة به، ثم هَدى)[٤].

فالله هو المصوِّر الذي أعطى كل شيء صورتَه، بل وجميع أوصاف الخلق هي من إيداع الله تعالى فيه، كما قال الشيخ: (الأوصاف التي في الانسان وغيره هوالذي أودعها

---

(١) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٢).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٣) سورة طه: (٥٠).

(٤) توحيدِ رباني (التوحيد الرباني) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٩٤).

فيه)[1] ومن هذه الأوصاف التي أودعها الله تعالى فيه: صورتُه التي خلَقه عليها، فالله يصوّر الخلق على أي وصف وصورة شاء.

وخلاصة ما سبق أن الله تعالى هو المتفرّد بصفة الخلق والمُلك والتصوير، خلق الخلق على أي صورة شاء، وهو الذي يملك خلقه، لا شريك له في هذه الصفات أحد من خلقه.

---

(١) إسلام مين عورتون كا مقام (مقام المرأة في الإسلام) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨).